



مكتبة الآداب في جامعة حلب
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مصادر التراث والبحث في المكتبة العربية

محمود فاضل خوري

المدرس في كلية الآداب

مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م



مصادر التراث والبحث في المكتبة العربية



مكتبة جامعة حلب
كلية الآداب

مصادر التراث والبحث في المكتبة العربية

محمود فخوري

المدرس في كلية الآداب

السنة الأولى - قسم اللغة العربية

١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

لأمتنا العربية صرح حضاري عريق ، متعدد الجوانب ، واسع الأفاق وما التراث الفكري - بوجوهه المختلفة - إلا جانب واحد من تلك الجوانب الغنية . وعلى الرغم من الكوائن والآفات المتلاحقة التي أطاحت بجانبها كثيراً من هذا التراث الفكري الحافل ، فقد بقي لنا منه روائع خالدات ، وأوابد وافرات تفوق في جملتها ما لدى الأمم الأخرى .

على أن هذا الموروث الباقي من المكتبة العربية لم يطبع منه ، مع ذلك ، إلا النزر اليسير ، وما زالت المكتبات العامة والخاصة في الشرق والغرب عامرة بالمخطوطات العربية التي تتناول مختلف العلوم والفنون والآداب ، والتي تحكي قصة تلك الحضارة الزاهية ، وتنطق بمآثرها وفضلها على العالم ، وتترقب من سدة هذا التراث أن ينهضوا سعيهم لتحقيق الجيد من تلك المخطوطات ونشرها لتنفيد منها الأجيال اللاحقة ، كما أفادت منها الأجيال السابقة .

وقد أتيح لي أن أدرس مادة « المكتبة العربية » في كلية الآداب بجامعة حلب بضعة عشر عاماً ، وأن أسهم أسهاماً متواضعاً في تحقيق بعض الكتب ، وكنت - ولا أزال - أتابع ما تزجيه المطابع من ثمرات العقول والأفكار في تراثنا العربي ، قديمه وحديثه . . . وجعلني ذلك أتعرف كثيراً من جوانب هذا التراث في علومه الانسانية خاصة ، . . . ولعل هذا كله هو الذي هيا لي أن أصنف هذا الكتاب الذي يضع بين يدي القارئ صورة مشرقة لبعض ما تضمنته المكتبة العربية ، عسى أن تشده إلى هذا التراث الحي من جهة - وتراث الأمة هو تاجها - ومبعث عزتها - وأن تأخذ بيده إلى المطالعة والبحث من جهة أخرى .

ولما كانت كتب التراث والبحث المطبوعة والحرية جداً ، ومشتتة جداً ، جاء هذا الكتاب ليقدم إلى القارئ جملة من تلك المصادر الأساسية التي لا يحسن بملئقف جهلها ، منسوقة في مجموعات بحسب الموضوعات التي تختص بها أو تغلب عليها ، وذلك في ميادين الشعر ، واللغة والمعاجم ، والثقافة الأدبية ، والتراجم عامة ، وما يتصل بذلك من بعض المؤلفات الحديثة أو المعاصرة ، مما يقتضي مساهمة التطور في حركة التأليف والتصنيف ، ولا سيما إذا كانت السلسلة متصلة الحلقات .

وقد اقتضاني هذا التنسيق أن أوطىء لكل اضمامة من تلك الكتب بتمهيد يورخ لحركة التأليف والتصنيف في هذا الميدان ، ثم يعقبه تعريف مفصل بكل كتاب من كتب تلك المجموعة ، بادئا بلمحة موجزة عن حياة مؤلفه وأشهر آثاره ، ومثليا بالحديث عن الكتاب نفسه : موضوعه ، ومحتواه ، وطنيقتة وخصائصه ، وقيمتة ، وما قد يؤخذ عليه . ولم أحاول أن أتقصى كل طبعاته إذا كانت كثيرة ، بل اقتصرته على ذكر أجودها إن كان هناك تفاوت فيما بينها ، والا أشرت إلى أشهرها أو أكثرها تداولاً ، لأن احصاء الطبعات كلها أمر لا طائل وراءه في مثل هذا الكتاب الوسيط ، ولا سيما بعد أن كثرت الطباعة بطريقة التصوير ، مع اغفال اسم الناشر وتاريخ الطبع ، في كثير من الأحيان .

وقد حرصت على أن أقدم التعريف بكل كتاب في يسر وثشويق يجملان للكتاب قريبا من نفس القارئ بعيداً عن السردية والجفاف العلمي ، اللذين يؤديان إلى تداخل أوصاف الكتب ، بعضها في بعض ، وربما ختمت الكلام على بعض المجموعات بتذييل رأيته ضرورياً للتعريف الموجز بكتب أخرى في الموضوع نفسه ، حرصاً على ألا يفوت القارئ تعرفها والامام بها .

وبذلك كله جاء كتاب « مصادر التراث والبحث » هذا متكاملًا ، يجمع بين النصوص الأدبية واللغوية ، والتحقيقات العلمية ، والاحكام النقدية والجمالية وسير الاعلام وحياتهم ، فيجني القارئ قطوفاً مختلفة المذاق من هذه الألوان الشائقة ، إلى جانب ما يحوزه من معلومات ومعارف عن « الكتب » التي كانت موضع التعريف والدراسة .

وأنا لا أزعم ، بعد هذا ، أن كل ما جئت به في هذا الكتاب هو جديد ، فهناك أمور سبقني إلى تناولها باحثون أجلاء ، أفدت من مؤلفاتهم التي كانت صوى لي ومنازل أسترشدها ، وفي مقدمتها كتابان إثنان كانا رائدين في مجال التعريف بتراثنا العربي العريق ، أولهما « حركة التأليف عند العرب » (١) لأستاذنا الفاضل الدكتور أمجد الطرابلسي ، الذي حاضرنا بهذا الكتاب في كلية الآداب بالجامعة السورية (جامعة دمشق اليوم) ، وثانيهما « مصادر التراث العربي » (٢) للأستاذ الدكتور عمر الدقاق .

(١) ظهرت طبعته الأولى في دمشق سنة ١٩٥٤ - ١٩٥٥ م .

(٢) طبع أول مرة في حلب سنة ١٩٦٨ . ثم تعاقبت بعد ذلك الكتابين كتب مطبوعة مؤلفة في هذا الاتجاه للأساتذة والدكاترة التالية أسماؤهم : طاهر أحمد مكي ، ومحمد عجاج الخطيب ، وعزة حسن ، وعمر رضا كعالة ، ومحمد ماهر حمادة ، ومصطفى الشكعة ، وعبد الرحمن عطية ، وعز الدين أسماويل ، والسيد تقى الدين ، ومحمد رضوان الداية .

وفي الوقت نفسه ، لا بد أن يكون هناك أشياء جديدة. تضاق. وتزداد ، لأن حركة التأليف ونشر التراث لم تقف قط ، ولن تقف في يوم من الايام ، فلا بد أن يساير الكتاب ركب التطور والتجديد ، فالتأليف في ميدان كتب التراث والبحث قابل للتجديد والتطور ، ما دامت هناك كتب تنشر وتحقق -، فتعني موارد البحث والدراسة ، ويكون بين يدي كل مؤلف ما يعينه على مزيد من التحليل والموازنة وإبداء وجهات النظر ، على ضوء ما يتوصل اليه من نتائج ، وما يستنبطه من قواعد وأسس لا ينجح أثرها في تحديد مسار حركة التأليف عند العرب ، ومناهج التصنيف لديهم في تلك العلوم الانسانية .

ذلك مبلغ الجهد والطاقة ، وأرجو أن أكون قد رسمت بضع لبنات في صرح تراثنا العربي ، والتعريف بأهم مصادر التراث والبحث في المكتبة العربية . فإذا نظر اليها القارئ بعين الرضا فانهما عن كل عيب كليلة ، وليس ترى عين الكريم سوى الحسن .

والله الموفق

حلب ١٩٨٨/٣/٣١

محمود فاخوري

عصور الأدب العربي

اعتاد مؤرخو الأدب العربي أن يقسموا أطوار هذا الأدب ومراحله الى عصور ، تميز كل عصر منها بخصائص ومقومات مختلفة ، وهذه العصور ترتبط بالأحداث السياسية ، أو المناسبات التاريخية ، أو الأمر الحاكم ، تسهيلا للدراسة ، ومراعاة لموضوعات الأدب والمؤثرات فيه :

١ - **العصر الجاهلي** (أو : عصر ما قبل الاسلام) : وهو يبدأ قبل الاسلام بنحو قرنين على الأكثر ، بحسب النصوص التي وصلت إلينا ، وينتهي بظهور الاسلام .

٢ - **العصر الاسلامي** : وهو قسمان :

أ - **عصر صدر الاسلام** : يبدأ بظهور الاسلام ، ويشمل عصري النبوة والخلفاء الراشدين ، وينتهي سنة ٤٠ هـ - ٦٦١ م ، ومدته نصف قرن تقريبا .

ب - **العصر الأموي** : يبدأ بخلافة معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٠ هـ - ٦٦١ م وينتهي بخلافة مروان بن محمد سنة ١٣٢ هـ - ٧٥٠ م . وقد امتد اثني عشر عاما مجريا ، تولى الخلافة فيها الفرعان : السفياي والمرواني . وانتهى بسقوط دولة بني أمية .

٣ - **العصر العباسي** : امتد خمسة قرون وربع القرن ١٣٢ هـ - ٦٥٦ هـ - ٧٥٠ - ١٢٥٨ م . وهو أربعة أقسام (١) :

أ - **العصر العباسي الاول** : مدته قرن واحد ١٣٢ هـ - ٢٣٢ هـ بدءا من خلافة أبي العباس السفاح ، وقيام الدولة العباسية ، وينتهي سنة تولي المتوكل الخلافة .

ب - **العصر العباسي الثاني** : يبدأ بخلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ ، وينتهي بقيام دولة البويهيين في بغداد سنة ٣٣٤ هـ .

(١) أشرنا في هذه التقسيمات ما هو شائع بين الدارسين . على أن هناك تقسيمات أخرى للعصر العباسي نفسه ، تطلب في كتب تاريخ الأدب العربي وما إليها .

ج - **العصر العباسي الثالث** : وهو العصر الذي حكم خلاله البويهيون (٣٣٤ - ٤٤٧ هـ) ونشطت فيه حركة التأليف ، كما ازدهرت الثقافة العربية في المشرق والمغرب معا .

د - **العصر العباسي الرابع** : (٤٤٧ - ٦٥٦ هـ) ويمتد من تولي السلاجقة أمور الدولة في بغداد حتى سقوط الدولة العباسية على أيدي التتار بقيادة هولاكو . وقد كانت البلاد في هذه الحقبة مسرحا للفتن والحروب والاضطرابات السياسية .

٤ - **العصر الأندلسي** : افتتحه الأمير عبد الرحمن الداخل ، صقر قرطب ، منذ أن استقل بامارته في الأندلس عن الدولة العباسية سنة ١٣٨ هـ - ٧٥٥ م ، وانتهى هذا العصر بسقوط غرناطة سنة ٨٩٧ هـ - ١٤٩٢ م . وحكم خلاله ، بعد العهد الأموي في الأندلس (١٣٨ - ٤٢٢ هـ) دول مختلفة مثل : ملوك الطوائف ، والدولة الزيرية ، والعامرية ، والجهورية ، والمرابطيين ، والموحدين ، وأخيراً دولة بني الأحمر في غرناطة .

٥ - **العصر المملوكي** : (٦٥٦ - ٩٢٢ هـ) ، (١٢٥٨ - ١٥١٦ م) ، يبدأ بسقوط بغداد ، وينتهي باستيلاء العثمانيين على بلاد الشام ومصر وغيرهما عقب معركة مرج دابق ، قرب حلب ، بين جيش المماليك بقيادة السلطان قانصوه الغوري ، وجيش العثمانيين بقيادة السلطان سليم .

٦ - **العصر العثماني (١)** : (٩٢٢ - ١٢١٣ هـ) ، (١٥١٦ - ١٧٩٨ م) ، وخلال هذا العصر حكم العثمانيون البلاد العربية التي أصبحت ولايات تابعة للسلطنة العثمانية في الآستانة (استانبول) .

٧ - **العصر الحديث (أو : عصر النهضة الحديثة)** : ويمتد هذا العصر إلى يومنا هذا (٢) . أما بدايته فتعتبر منذ دخول نابليون إلى مصر سنة ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م ، وإن لم يكن خروج العثمانيين من البلاد العربية في وقت واحد ، إذ أنهم خرجوا من هذه البلاد في سنوات مختلفة ، ومن الصعب جداً الاتفاق على سنة واحدة ينتهي بها حكم العثمانيين للبلاد العربية .

(١) يطلق بعض الدارسين على العصرين المملوكي والعثماني اسم « عصور الدول المتتالية » أو « عصور الانحطاط » أو « عصور الانحدار » . والمجال لا يتسع هنا لمناقشة هذه التسميات وأمثالها .

(٢) وربما جمل بعضهم بداية عصر النهضة منذ تولي محمد علي باشا الحكم سنة ١٢٢٠ هـ - ١٨٠٥ م .

الباب الأول

المجموعات الشعرية

تمهيد في رواية الشعر العربي ونذونه

الشعر العربي - كما قيل - ديوان علم العرب ، وسجل حياتهم ، وهو مظهر عبقريتهم ، ومنتهى حكمتهم . بل هو - كما قال ابن رشيق - « فخارهم العظيم ، وقسطاسهم المستقيم » ، به يأخذون ، واليه يصيرون . ولم يكن لهم علم أصح منه ، فلا غرو أن يكون له قيمة عظيمة في أيامهم الحافلة ، وأسواقهم الأدبية ، وأن يكون عامة السامر عندهم ، ومدار حلقات القوم لديهم ، يحفظونه تارة ، ويروونه تارات ، ويتدارسونه في المواسم يوم كانت تضرب للنابغة الذبياني قبة الأدم في عكاظ ، فيحكم بين الشعراء والشواعر ، من أمثال حسان بن ثابت ، والأعشى ، والخنساء .

ومن المعروف أن « القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الأطعمة ، واجتمع النساء ، يلعبن بالمزاهر ، كما يصنعون في الاعراس ، ويتباشر الرجال والولدان ، لأنه حماية لأعراضهم ، وذبح عن آحسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، واشادة بذكورهم » (١) .

وما زال هذا دأبهم وهجراهم في الاسلام بعد الجاهلية أيضا ، اذ أصبح الشعر جوهر ميادين السياسة والأدب ، وأس « مناهج » التربية والتعليم ، وصاحب القدح الممل في التهذيب والتثقيف . وقد جاء في مائثور الحديث النبوي : « لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين » ، وهيها أن تدع الأينق حنينها .

وأوصى الفاروق أحد أبناؤه بقوله : « احفظ مخاسن الشعر يحسن أدبك » ، كما كتب هذا الخليفة الراشد الى أبي موسى الأشعري قائلا : « مر من قبلك بتعلم الشعر ، فانه يدل على معالي الاخلاق ، وصواب الرأي ، ومعرفة الأنساب » .

وقال أول خليفة أموي : « اجعلوا الشعر أكبر همكم ، وأكثر أدبكم » . ذلك كله يدل على مكانة الشعر في نفوس العرب ، واحتفائهم به مهما تقلبت بهم الدهور . ومن ثم كان هذا الشعر غزير المادة لديهم منذ الجاهلية ، وازداد غزارة فيما تلاها من عصور ، حتى أن قصائده ومقطوعاته أكثر من أن

(١) العمدة ٦٥/١ . يتباشرون : يبشر بعضهم بعضا .

يحيط بها محيط ، أو يقف من وراء عددها واقف ، ولو أنفذ عمره في التنقيح عنها وعن قائلها من الشعراء ، واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال .

وكان العرب يتناقلون الشعر حفظاً ورواية عن أصحابه . أو بعضهم عن بعض ، وقد عرفوا ما يسمى بالمدارس الشعرية القائمة على رواية الشعر والتأثر به معاً : كالمدرسة الأوسية التي تبدأ صعوداً من الحطيثة ، الشاعر المخضرم ، الذي كان راوية زهير بن أبي سلمى وابنه كعب بن زهير ، كما كان زهير راوية زوج أمه الشاعر أوس بن حجر . ومن هذه الحلقات أيضاً حلقة أخرى تبدأ بكثير عزة ، الذي كان راوية جميل بثينة ، وجميل هذا كان راوية الشاعر المخضرم هذبة بن الخشرم ، وكان هذبة راوية الحطيثة .

ولما جاء الاسلام شغل العرب عن الشعر-بالجهاد والفتوح ، وغزو فارس والروم ، - كما يقول ابن سلام - ثم اطمأنوا بالأمصار- واستقرت دولتهم ، وعندئذ راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا الى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير » حتى قال أبو عمرو بن العلاء : « ما انتهى اليكم مما قالته العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير » (١) .

ومع ذلك فقد نشطت رواية الشعر في صدر الاسلام ، وفي العصر الأموي خاصة لأسباب مختلفة ، وكان للمصيبات القبلية أثرها في هذا الميدان ، الى جانب التنافس بين الحواضر الاسلامية في الحجاز والشام والعراق ، وكثرة مجالس العلم والأدب والشعر لدى الرعاة والرعية على السواء . وقد هيا هذا كله لتدوين الاشعار وجمعها منذ أواسط القرن الثاني للهجرة ، مع بداية قيام الدولة العباسية ، ونشاط حركة التدوين في ميادين العلوم والآداب (٢) ، ووضع علم النحو وجمع مفردات اللغة العربية ، والأحاديث النبوية ، بل ان الشعر نفسه قد أصبح محوراً لكثير من العلوم والثقافات ، فالأديب مثلاً يتدقق ما فيه من مجالي الجمال والفن ، وأساليب البيان ، وكل عالم واجد في هذا الشعر ما يروي غليله وينقع ظمأه ، سواء في ذلك النحوي ، والبلاغي ، واللفوي ، والمؤرخ ، والمفسر ، والمحدث . ومن اليهم .

(١) طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ٢٢ - ٢٣ . والوافر : التام الذي لم ينقص منه شيء .

(٢) لم يكن التدوين بدءاً في هذه الفترة ، فقد عرف قبل ذلك بسنين طويلة ولكن على نطاق ضيق جداً وبصورة محدودة ، وتجلي ذلك في شيء يسير جداً من الاشعار والأخبار والأيام والأحاديث النبوية ، هذا الى جانب القيام بجمع القرآن وكتابته في خلافتي عمر وعثمان .

وكان من وراء ذلك أيضاً شعر مفتعل موضوع ، لا خير فيه ، وقد سلط على الشعر من خلف الأحمر وحمّاد الراوية وغيرهما ما أفسده ، ولا مجال هنا لتفصيل القول في دوافع نحل الشعر ، والمهم أن العلماء الأثبات قد بينوا ذلك وتمقبوه ، حتى قال ابن سلام : « وليس يُشكّل على أهل العلم زيادة الرواة ، ولا ما وضعوا ، ولا ما وضع المولدون » (١) .

لم يقتصر جمع الشعر إذن على الرواية الشفوية فحسب ، بل عكف كثير من الرواة على التصنيف الجدي والتدوين الشامل ، وقلما كانوا يعتمدون في هذا الجمع على الصحف القليلة المدونة ، لأن هذه الصحف كانت عرضة للتعريف والتصحيح ، لسوء الخط ، وفقدان النقاط والشكل ، وتعدد النسخ ، وكثرة التداول بين الأيدي ، ولأن أصحاب هذه الصحف لم يأخذوا ما فيها « عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء ، وليس لأحد — إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على ابطال شيء منه — أن يقبل من صحيفة ، ولا يروي عن صحفي » (٢) .

وتنوعت أعمال الرواة في تدوينهم للشعر العربي وجمعهم لأشتاتسه ، بعد أن تلقوه من أفواه رواة القبائل ومن الأعراب في البوادي ، بل كان الأعراب أنفسهم يفدون أحياناً على الحواضر ليأخذ عنهم الرواة والعلماء : الشعر واللغة والأخبار والأيام .

ومن أشهر أولئك الرواة : المفضل الضبي ، وأبو عمرو الشيباني ، والأصمعي ، وأبو سعيد السكري ، ومحمد بن حبيب ، وأبو الحسن الطوسي

وقد اتجه قسم من هؤلاء الرواة إلى جمع دواوين الشعراء ، كل شاعر على حدة ، فأبو عمرو الشيباني جمع دواوين : امرئ القيس ، ولبيد بن ربيعة ، وتميم بن أبي بن مقبل ، ودريد بن الصمة ، والأعشى والحطيئة . . . ومحمد بن حبيب جمع أشعار ذي الرمة ، والفرزدق ، وجران العود ، والصمة القشيري . ومن هذا ترى أن الشاعر الواحد قد يجمع شعره راو أو أكثر ، ولذلك تختلف الروايات وعدد القصائد بحسب جامعها أو راويها .

(١) طبقات فحول الشعراء ٤٠

(٢) المصدر نفسه ٦ . والصحفي : الذي يأخذ علمه عن صحيفة مكتوبة ، لم يعرض على العلماء ، ولم يتلق علمه بالرواية .

ومن هؤلاء الرواة أنفسهم ، أو من غيرهم ، من اتجهوا الى جمع أشعار قبائل معينة ، كل قبيلة في ديوان مستقل ، فهذا أبو سعيد السكري يقوم بجمع أشعار خمس وعشرين قبيلة ، كبنى هذيل ، وشيبان ، ويزبوع ، وطيس ، وكنانة ، وضبة ، ومخزوم ، ومزينة . . كما أن أبا عمرو الشيباني جمع أشعار ما يزيد على ثمانين قبيلة . ولكن ، للأسف ، لم يصل إلينا من دواوين أشعار القبائل سوى ديوان واحد هو « ديوان الهذليين » الذي جمعه وشرحه أبو سعيد السكري ، ويضم أشعار حوالي أربعين شاعرا من قبيلة هذيل .

هذا الى أن هناك جماعة من الرواة اتجهت الى تصنيف ما يسمى بكتب الاختيار ، ونعني بها المجموعات الشعرية المختلفة التي تضم مختارات شعرية من مختلف العصور والأصقاع ، تتنوع بتنوع محتوياتها وطرائقها وكيفية ترتيب قصائدها ومقطوعاتها ، ومنها : المفضليات ، والأصمعيات ، وجمهرة أشعار العرب ، و « الحماسات » المختلفة ، والأشياء والنظائر وغيرها .

تلك سمات حركة رواية الشعر العربي وتدوينه ، وخصائص تلك الحركة في طرائقها ومناهجها ومسارها على مر العصور في الحواضر والبادي ، وسوف نقف في الصفحات التالية عند أشهر المجموعات الشعرية ، في القديم والحديث ، سواء في ذلك كتب الاختيار ، ودواوين القبائل ، أما الدواوين الشعرية المفردة فلا سبيل الى الوقوف عندها ، لقلة الفائدة منها في نطاق هذا الكتاب .

* * * *

المفضليات

للمفضل الضبي

المؤلف : هو المفضل بن محمد الضبي ، من أهل الكوفة . كان راوية للأشعار والأخبار وأيام العرب ، وأحد القراء البارزين ، ومن علماء اللغة والفريب . وكان موثقاً في روايته ، اذ عرف بالصدق والامانة في النقل ، خلافاً لرواة الكوفة الآخرين ، كخلف الأحمر ، وحماد الراوية ، توفي سنة (١٦٨ هـ) . وطبع من مؤلفاته : أمثال العرب ، والمفضليات .

الكتاب : « المفضليات » هي إحدى المجموعات الشعرية التي اختار فيها الأئمة المتقدمون عيون الشعر العربي ومحاسنه . ويضم هذا الكتاب نخبة من القصائد الجيدة لشعراء قدامى ، من جاهليين ومخضمين وإسلاميين أوائل .

ويروى في سبب تأليف « المفضليات » أن المفضل الضبي كان فيمن اشترك في ثورة إبراهيم بن عبدالله . الطالببي ، على أبي جعفر المنصور ، الخليفة العباسي الثاني (- ١٥٨ هـ) . فلما أخفقت تلك الثورة وظفر المنصور بالمفضل ، عفا عنه ، وألزمه تعليم ابنه المهدي ، فاختر له تلك الأشعار التي سميت بالمفضليات .

وتذكر بعض الروايات أن إبراهيم بن عبد الله كان مختبئاً عند المفضل وفي أثناء ذلك اختار عدداً من القصائد ، مما تضمنه مكتبة المفضل ، وقدمها إليه ، فأتم المفضل عليها باقي الكتاب .

وقيل : ان الأصمعي وبعض تلامذته زادوا في تلك القصائد عدداً آخر ، حتى اكتملت في نظامها النهائي .

فهذه الروايات تثبت للمفضل الضبي نصيباً من الاختيار ، ولكن يصعب الجزم بما كان أصلاً ، وما كان مزيداً .

ويغلب على الظن أن المفضل الضبي ترك كتابه بلا تسمية ، فجاء من بعده فاطلقوا عليه اسم « المفضليات » تمييزاً له من كتب الاختيار ، الأخرى .

ويبلغ عدد القصائد في هذا الكتاب (١٢٨ - ١٣٠) بحسب رواياتها والنسخ التي وصلت إلينا . وقد تتقدم بعض القصائد أو تتأخر ، بين نسخة وأخرى . أما عدد الشعراء فهو ٦٦ شاعراً ، معظمهم من الجاهليين ، وقليل

منهم مخضرمون واسلاميون . وقد يذكر للشاعر الواحد عدة قصائد ، حتى بلغ عدد الأبيات جميعا ٢٧٠٠ بيت .

وتعد « المفضليات » أقدم مجموعة صنفت في اختيار الشعر العربي ، وذلك منذ منتصف القرن الثاني للهجرة ، وبذلك حفظت لنا جانباً هاماً من الشعر القديم الذي كان عرضة للضياع . وقد أثبتت القصائد فيها كاملة ، لم يُقتطع منها شيء . إلا أنها لم ترتب ترتيباً معيناً ، بل سردت سرداً عشوائياً ، دون أن تخضع لترتيب زمني ، أو ترتب بحسب الموضوعات ، أو بحسب القوافي ، كما أنها خالية من المقدمة . وقد افتتحت بالقصيدة الاولى لتأبط شراً ، ومطلعها :

يا عيدُ ما لك من شوق وإسراقٍ ومرٍّ طيف على الأهوالِ طرّاق(١)

ثم تتوالى القصائد تباعاً حتى نهاية الكتاب .

وشعراء المفضليات كلهم مجيدون ، وفيهم المشهورون وأصحاب الدواوين الشعرية : كبشر بن أبي خازم ، وسلامة بن جندل ، وعلقمة بن عبدة الفعل . وفيهم المقلون والمغمورون ، مثل : أفنون التغلبي ، وعبد يغوث الحارثي ، وربيع بن مقروم الضبي .

ويمكن النظر الى « المفضليات » - من ناحية مضمونها - على أنها مرآة لحياة العرب في عاداتهم وأخلاقهم ، ومحاسن شيمهم ، وما كان لهم من الحروب والوقائع .

وقد طبعت « المفضليات » مراراً في القاهرة ، وبيروت ، وأجود طبعاتها تلك التي حققها أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، وألحقا بها فهارس جيدة ومفيدة .

ومن شروحها المطبوعة : شرح أبي محمد الأنباري « - ٣٠٥ هـ » وشرح الخطيب التبريزي (- ٥٠٢ هـ) .

أما أشهر قصائدها ، فمنها :

١ - قصيدة الشاعر الجاهلي « عبد يغوث الحارثي » ، الذي وقع أسيراً في أيدي أعدائه ، ولما جهزوه للقتل قال تلك القصيدة ، وأولها :

(١) العيد : ما يعتاد الانسان من حزن وشوق . مالك . ما أعظمك . الايراق : الأرق .

الأصمعيات للأصمعي

الأصمعي : هو عبد الملك بن قريب . ونسبته الى جده « أسمع » . كان زاوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان ، كما كان صاحب أخبار ونحو وغريب ، نشأ في البصرة ، وكان كثير التطواف في البوادي ، يقتبس علومها ، ويتلقى أخبارها ، ويتحف بها الخلفاء ، فيكافأ عليها بالمعاطيا الوافرة . توفي سنة ٢١٦ هـ .

ومن مؤلفاته المطبوعة : الابل ، والأضداد ، والنخل والكرم ، وخلق الانسان ، وفحولة الشعراء ، والأصمعيات .

وكتابه « الأصمعيات » كصنوه « المفضليات » من المجموعات الشعرية القديمة ، ويعد متمما لكتاب المفضل الضبي . وهو يضم مختارات من الشعر الجاهلي ، والمخزرم ، والاسلامي الذي يمتد حتى أواسط العصر الاموي .

ويغلب على الظن أن تلاميذ الأصمعي هم الذين أطلقوا على كتابه هذا اسم « الأصمعيات » تمييزاً لاحدى المجموعتين من الأخرى ، كما كان الشأن في « المفضليات » .

وعلى الرغم من هذا التمييز ، فقد وقع الاختلاط بين بعض قصائد الكتابين ، منذ القديم ، حتى ذكر بعض العلماء قصائد من المفضليات على أنها أصمعيات . وربما كان من أسباب ذلك التداخل أن كثيرا من الوراقين القدامى كانوا يجمعون بين الكتابين في مجلد واحد ، وأن المجموعتين تتشابهان في طريقة الاختيار ، حتى ان بضعة عشر شاعرا تكررت أسماؤهم أو قصائدهم في الكتابين معا .

ويبلغ عدد قصائد « الأصمعيات » ٩٢ قصيدة في طبعها الاخيرة المحققة ومجموع أبياتها ١٤٣٩ بيتا . أما الشعراء فعددهم ٧١ شاعرا ، اختير لبعضهم قصيدة واحدة ، ولآخرين قصيدتان أو أكثر .

ومختارات « الأصمعيات » يغلب عليها القصر ، حتى تصل الى البيتين أحيانا كما في أصمعية يزيد بن الصنّوق . وفيها قصيدة واحدة طويلة تبلغ ٤٤ بيتا للشاعر الأموي سوار بن المضرب .

وفي الشعراء من هو مشهور : كامرئ القيس ، وطرفة بن العبد ، وعمرو ابن معدي كرب . وفيهم المغمور : كاحيعة بن الجلاح ، وضابئة بن العارث .

ونلاحظ في قصائد « الأصمعيات » ما لاحظناه في « المفضليات » من فقدان الترتيب ، على أي وجه من الوجوه . وتعد خير متمم لمجموعة المفضل من حيث تصوير واقع الشعر العربي القديم ومناحيه الفكرية والاسلوبية ، وتمثيله لحياة العرب في مختلف جوانبها . وهي خالية من المقدمة . وقد بدأها الاصمعي مباشرة بقصيدة سُحيم بن وثيل الرياحي ، التي أولها :

انما ابنُ جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني(١)

وقد طبعت « الأصمعيات » في الغرب والشرق ، وأجود طبعاتها تلك التي حققها أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، وأنجزا طبعها أول مرة سنة ١٩٥٥ م ، ثم أعيد طبعها وتصويرها مرارا . وفي آخرها فهارس متنوعة تيسر الاستفادة من الكتاب .

وتبقى شهرة الأصمعيات دون شهرة المفضليات ، مع أن القارئ يجد نفسه أكثر إعجابا وأشمل طربا بنماذج الاصمعيات منه بأختها المفضليات ، فالأصمعي أديب راوية ظريف ، وقد انعكست شخصيته الى حد كبير على مختاراته ، أما مختارات المفضل فيغلب عليها القوة وفخامة الاسلوب والغرابة في الألفاظ(٢) .

ومن أشهر قصائد « الأصمعيات » :

١ - قصيدة الشاعر الصعلوك عروة بن الورد ، وأولها :

أقلبي عليّ اللوم يابنة منذر	ونامي ، فان لم تشتهي النوم فاسهري
ذريني ونفسي ، أم حسان ، انني	بها قبل ألا أملك البيع مشجري
أحاديث تبقّى ، والفتى خير خالد	إذا هو أمسى هامة تحت صير(٣)
ذريني أطوف في البلاد لعلني	أخليك ، أو أغنيك عن سوء محضر
فان فاز سهم للمنية لم أكن	جروعا ، وهل عن ذاك من متأخر
وان فاز سهمي كفكم عن مقاعد	لكم خلف أدبار البيوت ومنظر

(١) ابن جلا : يعني ابن من كشف الأمور وأوضحها . الثنايا : جمع ثنية وهي الطريق في الجبل . طلاع : بالجر على أنه وصف لأبيه ، وبالرفع على أنه من صفته هو . يريد أنه جلد مغالب للصعوبات . أضع العمامة : أسفر وأرفع اللثام عن وجهي .

(٢) ترك للطلاب أن يوازنوا بين « الأصمعيات » و « المفضليات » بعد اطلاعهم على الكتابين أنفسهما ، من جهة ، ومن خلال ما قرؤوه عنهما ، هنا ، من جهة أخرى .

(٣) الصير ، بتشديد الياء المكسورة : القبر .

٢ - قصيدة دريد بن الصمة في رثاء أخيه عبدالله ، ومنها :

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى
وما أنا إلا من غزية ، ان غوت
تنادوا ، فقالوا : أردت الخيل فارسا
وان يك عبد الله خلى مكانه
صبا ما صبا ، حتى علا الشيب رأسه
وهون وجلي أننى لم أقل له :
فلم يستبينوا الرشدا الا ضحى الغد
فويت ، وان ترشد غزية أرشد
فقلت : أعبد الله ذلكم الردي ؟
فما كان وقافا ، ولا طائش اليد
فلما علاه قال للباطل : ابعدي
كذبت ، ولم ابخل بما ملكت يدي

* * * *

جمهرة أشعار العرب للأبي زيد القرشي

المؤلف وعصره : هو أبو زيد ، محمد بن أبي الخطاب القرشي . لا نعرف عنه أكثر من ذلك ، إذ لم تذكره كتب التراجم والطبقات . ومن هنا جهد الباحثون المعاصرون في تحديد عصره على الأقل ، فراحوا يستوحون ذلك من المقدمة الطويلة التي أنشأها أبو زيد لكتابه جمهرة أشعار العرب ، ومن الكتب التي نقلت من الجمهرة ، أو ذكرتها في العصور التالية . حتى اختلفوا في تعيين عصره . وربما كان ابن رشيح المتوفى سنة ٤٦٣ هـ أول من ذكر جمهرة القرشي ونقل عنها . وهذا يلقي ضوءاً يسيراً على العصر ، ويجعلنا نجزم أن القرشي قد عاش في النصف الأول من القرن الخامس للهجرة ، أو أنه من رجال القرن الرابع على الأكثر . آية ذلك أنه يروي ، في أكثر من موضع من مقدمته ، عن رجل يدعى « المفضل بن عبدالله المجبري » - وهو غير المفضل الضبي (١) - والمفضل المجبري مجهول أيضاً ، ولكنه من أحفاد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، يفصل بينهما خمسة رجال في سلسلة النسب . ثم إن المجبري هذا يروي في مقدمة الجمهرة « عن أبيه عن الأصمعي » ، كما يروي في موضع آخر منها « عن أبيه ، عن جده ، عن أبي عبيدة » . وعلى هذا يكون « المفضل المجبري » من رجال القرن الثالث ومطلع القرن الرابع ، ويكون أبو زيد القرشي - راوي الجمهرة ومؤلفها - من رجال القرن الرابع . وسائر الأسانيد التي ترد عن غير طريق المفضل في المقدمة تتفق في هذه النتيجة على وجه التقريب (٢) .

الكتاب : تضم « جمهرة أشعار العرب » مختارات شعرية قديمة ، من العصر الجاهلي ، ومن العصرين : الإسلامي والأموي . وعلى هذا الكتاب وحده تقوم منزلة أبي زيد القرشي وشهرته .

وقد قسم القرشي كتابه الى قسمين متميزين ، هما : المقدمة ، والأشعار المختارة . وهذا ما يميز الكتاب عما سبقه من كتب الاختيارات :

-
- (١) ورد اسم « المفضل الضبي » في مقدمة جمهرة أشعار العرب ، مرة واحدة فحسب ، وهو سهو من النساخ ، وصوابه « المفضل المجبري » كما ورد في المواضع الأخرى من المقدمة ، وفي المواضع كلها من نسخة أخرى مخطوطة .
- (٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب « مصادر الشعر الجاهلي » للدكتور ناصر الدين الأسد ٥٨٧ .

أما المقدمة ، فهي طويلة جدا ، وتقع في ثمانين صفحة ونيف ، وهي ذات طابع نقدي ، ولا نظير لها في كتب الاختيار المتقدمة ، الماثلة ، كالمفضليات والاصمعيات . ونتبين فيها ست فكر بارزة :

١ - ذكر أبو زيد أولا أنه اقتصر على الفصحاء من شعراء الجاهلية والاسلام ، الذين يُستشهد بشعرهم في معاني القرآن والحديث .

٢ - ثم قابل بين لغة الشعر ولغة القرآن ، وأظهر أن القرآن لم يأت العرب بلغة جديدة ، فكل ما فيه من مجاز وغريب استعمله العرب في أشعارهم ، وقصدوا به الى المعنى الذي قصد اليه القرآن .

٣ - وانتقل بعد ذلك الى أول من قال الشعر منذ القديم ، فروى أشعارا للملائكة ، وآدم ، وإبليس ، والعمالقة ، وعاد ، وثمود . . . روى ذلك وهو غير مطمئن الى صحته .

٤ - رأي النبي (ص) وأصحابه في الشعر ، وموقفهم منه ، وقد كان عليه السلام يسمع الشعر ويجيز عليه ، وهو القائل : « ان من الشعر لحكمة ، وان من البيان لسحرا » .

٥ - الكلام على شياطين الشعراء وبعض أخبارهم ، مثل : لافظ بن لاحظ (شيطان امرئ القيس) ، وهاذر (شيطان النابغة الذبياني) ، وهبيد ابن الصلادم (صاحب عبيد بن الأبرص) ومُدرِك بن واغم (شيطان الكميت) .

٦ - تعيين طبقات فحول الشعراء القدامى باسهاب ، وذكر أسمائهم ، والمفاضلة بينهم ، وإيراد طرف من أخبارهم ، وأقوال العلماء فيهم . ومن هؤلاء الشعراء : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة الذبياني ، والأعشى ، وليبيد وعمرو بن كلثوم ، وطرفة بن العبد ، ودريد بن الصمة ، وعروة بن الورد . . (من الجاهليين) وكعب بن زهير ، والحطيئة ، والشماع بن ضرار . . (من المخضرمين) ، وجريز ، والفرزدق ، والأخطل ، وذو الرمة (من الأمويين) .

وأما قسم الأشعار المختارة من « الجُمهرة » فقد جعله أبو زيد في سبعة أقسام متكافئة ، وفي كل قسم منها سبع قصائد لسبعة من الشعراء ، فمجموعها ٤٩ قصيدة ، موزعة على النحو التالي :

١ - المعلقات - وأصحابها هم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والاعشى ، وليبيد ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة . ومعلقة النابغة عند القرشي هي الرائية التي مطلعها :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تعيّنون من نؤي واحجار(١)

٢ - المجهرات : دُعيت بذلك تشبيها لها بالناقة المجهرة ، وهي المتداخلة الخلق ، كأنها جمهور الرمل ، أي ان هذه القصائد عالية الطبقة ، محكمة السبك ، قوية التسج . وأصحابها : عنتر بن شداد ، وعبيد بن الأبرص (٢) ، وعدي بن زيد ، وبشر بن أبي خازم ، وأمّية بن أبي الصلت ، وخداش بن زهير ، والنمر بن تولب . وكلهم جاهليون ، عدا النمر فهو مخضرم .

٣ - منتقيات العرب : أي المختارات . وهن للمسيب بن علس ، والمرقش الأصغر ، والمتلمس ، وعروة بن الورد ، والمهلل بن ربيعة ، ودريد بن الصمة ، والمتنخل الهذلي . وكلهم جاهليون .

٤ - المذهبات (٣) : أي المموهة بالذهب ، أو المكتوبة بمائه . وأصحابها من الأوس والخزرج خاصة ، وفيهم جاهليون ومخضرمون . وهم : حسان ابن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، ومالك بن العجلان ، وقيس بن الخطيم ، وأحيحة بن الجلاح ، وأبو قيس بن الأسلت ، وعمرو بن أمية القيس .

٥ - عيون المراثي : لأبي ذؤيب الهذلي ، وعلقمة الحميري ، ومحمد بن كعب الغنوي ، والأعشى الباهلي ، وأبي زبيد الطائي ، ومالك بن الزيب ، ومتمم بن نويرة . (وهم جاهليون واسلاميون) .

٦ - مشوبات العرب : وهن اللاتي شابهن - أي خالطن - الكفر والاسلام : للنابغة الجعدي ، وكعب بن زهير ، والقطامي ، والحطيئة ، والشماخ ، وعمرو بن أحمر ، وابن مقبل . (وفيهم مخضرمون وأمويون) .

٧ - الملححات : أي التي أحكم نظمها وتلاحم شعرها . وأصحابها كلهم أمويون ، وهم : الفرزدق ، وجريز ، والأخطل ، والراعي ، وذو الرمة ، والكميت بن زيد ، والطرماح .

(١) عوجوا : قفوا ، أو انزلوا . الدمنة : آثاد الديار . النؤي : أخدود يحفر حول الخيمة لمنع المطر .

(٢) مجهرتا عنتر وعبيد ، هنا ، هما المملقتان أنفسهما ، ضمهما أبو زيد الى المجهرات ، دون المملقات السبع السابقة .

(٣) اسم مفعول ، بضم الميم وفتح الذال وتشديد الهاء المفتوحة . وفعله « ذهب » . ويجوز تسكين الذال مع تخفيف الهاء المفتوحة . وفعله حينئذ : « ذهب » . وكلاهما بمعنى .

وهذا التقسيم السباعي لم يبتدعه أبو زيد القرشي من عنده ، وإنما كان ذلك معروفا لدى أهل العلم والرواية ، قبل ظهور كتابه . وهذا ما يدل عليه كلامه في المقدمة بعد ذكره المعلقة السبع حيث يقول : « وقد أدركنا أكثر أهل العلم يقولون : أن بعدهن سبعا ما هن بدونهن ، ولقد تلا أصحابهن أصحاب الأوائل ، فما قصروا ، وهن : المجهرات . . الخ » . وبعد أن انتهى من تعداد شعراء المجموعات السبع ، قال : « قال المفضل [المجبري] : فهذه التسع والأربعون قصيدة عيون أشعار العرب في الجاهلية والاسلام ، ونفس شعر كل رجل منهم » .

ويلاحظ أن تلك التسميات السبع هي صفات للقصائد ، ولا تتمايز فيما بينها ، وهي ليست أكثر من مصطلحات ورموز لتمييز بعض القصائد من بعض ، والتفريق بين دلالات هذه الاسماء بعيد المنال ، من الوجهة النقدية والفنية .

على أن « جمهرة أشعار العرب » تبقى مجموعة قيمة من الشعر المختار ، إذ أنها تنفرد بقصائد لا نجدها في مصدر آخر ، وإن كان عدد من قصائدها قد ورد في كل من المفضليات والأصمعيات . ثم إن أبا زيد هو المؤلف الوحيد ، بين أصحاب كتب الاختيارات ، الذي صنع لكتابه مقدمة نقدية تعد خطوة رائدة في مضمار النقد ، وكانت مبعث شهرة كبيرة للكتاب نفسه ، وتأثير قوي في ميدان اللغة والأدب ، وإن كان المؤلف قد تورط في بعض الخيالات والغيبيات .

ولا بد من التذكير بأن جميع ما في « الجمهرة » من اسناد ورواية وأخبار وأحكام نقدية ، محصور في المقدمة نفسها . وأما القسم الثاني من الكتاب — أي الأشعار المختارة — فهو خال من ذلك كله ، وقد اقتصر على اثبات النصوص الشعرية بعناوينها فحسب دون أي شرح ، وكان همّ القرشي متجهاً الى الفحول المكثرين ، ومن هنا امتازت قصائد جمهرته بالطول ، ويتبين لنا في كثير منها مزايا الملاحم الصغيرة ، لما فيها من سرد الحوادث ، وتفصيل الوقائع ، وتمثيل المشاهد ، وبداهة الفكر ، حتى عدت في أعلى طبقات الشعر القصصي . كما أن فيها من بديع التصور ، والسذاجة ، وحسن التصرف البديهي ، وإجادة الرصف ، وإبداع الوصف ، وأحكام التشبيه ما يسمو بها الى أرفع درجات الشعر الموسيقي .

هذا ، وقد طبعت جمهرة أشعار العرب مراراً في مصر ، وبسبوت ، والرياض . وأجود طبعاتها اثنتان ، صدرت أولاهما في القاهرة سنة ١٩٦٧ في مجلدين بعناية علي الجاوي ، والثانية في الرياض سنة ١٩٨١ بتحقيق د . محمد علي الهاشمي ، في ثلاثة أجزاء .

ونختار فيما يلي أبياتاً من قصيدة الشاعر الاموي مالك بن الريب التميمي ،

وقد أثبتها أبو زيد القرشي في قسم « المراثي » من كتابه «جمهرة أشعار العرب»
وفيها يرثي مالك نفسه وهو في خراسان ، بعيداً عن وطنه ، حين أحس بدمه
أجله :

ولا ليت شعري ، هل أبيتن ليلبة
فليت الغضا لم يقطع الركب' عرضه
يجنب الغضا ، أ'زجي القلاص النواجيا
وليت الغضا ماشى الركاب ليااليا

* *

ولما ترامت عند مرو منيتي
أقول لأصحابي : ارفعوني ، لأنني
فيا صاحبي رحلي دنا الموت' فانزلا
أقيما علي اليوم أو بعض ليلة
وقوما ، اذا ما استل روحي ، فهيثا
وخطا بأطراف الأسنة مضجعي
ولا تحسداني بـإـارك الله' فيكميا
خذاني ، فجراني ببردي اليكمنا
وقد كنت' عطفا اذا الخيل' أدبرت

وخلّ بها جسمي ، وحانت وفاتي
يقر بعيني أن سهيل بدأ ليا(١)
برابية ، انني مقيم ليااليا
ولا تعجلاني ، قد تبين شائيا
لي القبر والأكفان ، ثم ابكيا ليا
وردا على عيني' فضل ردائييا
من الأرض ذات العرض أن توسعا ليا
فقد كنت' قبل اليوم صعبا قياديا
سريعا ، لدى الهيجا ، الى من دعانيا

* * * *

(١) سهيل : نجم يطلع من جهة اليمن ، موطن الشاعر .

حماسة أبي تمام

جمعها الشاعر العباسي المشهور أبو تمام الطائي (١٩٠ - ٢٣١ هـ) .
وهو شاعر ذو ثقافة واسعة ، عربية ومترجمة ، وصاحب مذهب جديد في
الشعر ، يقوم على اختراع المعاني ، والباسها صوراً يبدو فيها كدُّ الذهن
وأعمال الفكر .

وقد ألف أبو تمام عدة مجموعات شعرية ، وصل إلينا منها اثنتان هما :
الحماسة ، والوحشيات (أو الحماسة الصغرى) . والأولى هي التي تهمننا هنا .

وكتاب « الحماسة » يضم مختارات رائعة من الشعر العربي القديم ،
بدءاً من العصر الجاهلي ، حتى عصر أبي تمام نفسه .

فمن الجاهليين : عنتر بن شداد ، وحاتم الطائي ، وعروة بن الورد ،
وتأبط شراً ، والنايفة الذبياني . . .

ومن المخضرمين : عمرو بن معدى كرب ، والنايفة الجعدي .

ومن شعراء العصر الأموي : جرير ، والفرزدق ، والمقنع الكندي ،
وعمر بن أبي ربيعة ، ولبلى الأخيلية .

ومن شعراء العصر العباسي ، وفيهم من عاصر أبا تمام نفسه : مطيع بن
إياس ، ومسلم بن الوليد ، وأبو نواس ، وأبو العتاهية ، . .

وقد خص أبو تمام شعراء قبيلته « طيء » بنصيب واف من اختياره ،
كما خص المرأة بنماذج من رفيع الشعر ولا سيما في باب الرثاء ، مثل : قتيلة
بنت النضر ، وعاتكة بنت زيد . وبذلك بلغ مجموع القصائد والمقطعات ٨٨١
يعرف كل منها باسم « حماسية » وصاحبها « حماسي » ، وهي تطول حتى تصل
القصيدة الى بضعة وأربعين بيتاً أو تقصر حتى تغدو القطعة بيتاً أو بيتين .
كما بلغ عدد الشعراء جميعاً نحو ٥٠٠ شاعر ، وقد يختار أبو تمام للشاعر
الواحد عدة قصائد أو مقطوعات في مواضيع وأبواب مختلفة .

قسم أبو تمام حماسته الى عشرة أبواب مستمدة من موضوعات الشعر
وأغراضه العامة ، وهذه الأبواب هي :

(الحماسة ، والمراثي ، والأدب ، والنسيب ، والهجاء ، والأوصاف
والمدح ، والصفات ، والسير والنماس ، والمُلح ، ومذمة النساء) .

وسمى أبو تمام كتابه هذا باسم الباب الأول منه (الحماسة) وهو أعظم الأبواب ، ويقارب ثلث الكتاب . ولم يلجأ الى ترتيب معين داخل كل باب ، كان يكون بحسب الأفكار الجزئية مثلاً ، أو أن يراعي التسلسل الزمني للشعراء . ويرتب القصائد على القوافي . كل ذلك لم يفعل أبو تمام منه شيئاً وإنما اكتفى بذلك التقسيم الى عشرة أبواب فحسب . ومع ذلك فقد سبق أبو تمام غيره الى هذا التقسيم الذي استمده من طبيعة موضوعات الشعر نفسه وتفرعه الى أغراض متعددة ، محكماً ذوقه في اختياره للشعر ، وإهماله لما أهمله منه ، وقلما يثبت القصيدة كاملة بل يختار أجود أبياتها ، معظمها أو أقلها . هذا الى أنه بدأ بالشعر المختار مباشرة ، ولم يحاول أن يمهد لعمله بمقدمة يشرح منهجه وطريقته في الاختيار .

وحظيت حماسة أبي تمام بشهرة واسعة منذ عصر صاحبها ، وأعجب الأدباء والعلماء بمنهجها وقدرها قيمتها حق قدرها ، حتى أصبحت نموذجاً يحتذى ، فالف بعضهم كتباً على مثالها وسموها باسمها ، كالبحثري ، وابن الشجري ، والبصري ، كما تصدى آخرون لشرحها واكتناه أسرارها ، حتى تتحقق الاستفادة منها على خير الوجوه . وقد بلغ عدد شراحها حوالي عشرين : كالمرزوقي ، والفارسي ، والتبريزي ، والصولي ، وابن جني ، والآمدي ومنهم من عني بأعراب أبيات الحماسة ، كما اكتفى آخرون بإيراد الأخبار المتعلقة بالشعراء وقصائدهم ، دون شرح المعاني .

طبعت حماسة أبي تمام مراراً في الشرق والغرب ، وبعض طبعاتها مصحوب بشرح مختصر ، وبعضها الآخر مع شرح المرزوقي (٤٢١ هـ) ، أو شرح زيد بن علي الفارسي (٤٦٧ هـ) أو شرح الخطيب التبريزي (٥٠٢ هـ) (١) ومن أشهر قصائدها :

١ - قصيدة حطان بن المعلى في بناته الصغيرات (في باب الحماسة) :
 أنزلني اللهـر' على حكمه من شامخ عال الى خفض (٢)
 وغالني اللهـر' بوفر الغنى فليس لي مال سوى عِرْضي (٣)

(١) هذه الشروح الثلاثة أوفى شروح الحماسة ، المطبوعة ، وأوسعها ، على تفاوت فيما بينها . وقد طبع شرح المرزوقي بالقاهرة سنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م في أربعة أقسام بتحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون . أما شرح الفارسي فقد طبع ببيروت سنة (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) في جزأين حققهما د. محمد عثمان علي ، وقدم لهما الجزء جعله « دراسة موازنة في مناهج شروح الحماسة وتطبيقها » . وأما شرح التبريزي فقد طبع في أوروبا ، ثم في بولاق بمصر سنة ١٢٩٦ هـ في أربعة أجزاء . وأخيراً نشره محمد محيي الدين عبد الحميد في أربعة أجزاء أيضاً طبعت في القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .

(٢) الى خفض : الى مكان منخفض .

(٣) غالني : أخذني من حيث لا أدري . بوفر الغنى : بسبب الغنى الكثير .

أبـكـانيَ الدـهرُ ويا ربـما
لـولا بـنـيـات كـزـغـيب القـطا
لـكان لـي مـضـطـرـبٌ واسـع
وانـما أولـادُنا بـيـنـنا
لو هـبـت الـريـحُ علـى بـعضـهم
أضـحـكـني الدـهرُ بما يـرـضـي
رُـدـدـن مـن بـعض الـى بـعض (١)
فـي الأـرض ذاتِ الطـول والـعـرض
أكـبادُنا تـمشـي علـى الأـرض
لـامـتـنـعت عـيـني مـن الغـمـض

٢ - قصيدة بشامة بن حزن النهشلي (في باب الحماسة) ومنها قوله :

انا معيوك يا سلمى فحيينا
وان دعوت الى جلى ومكرمة
انا بني نهشل لا ندعى لأب
ان تبتدر غاية يوما لكرمة
وليس يهلك منا سيد أبدا
انا لنرخص يوم الروح أنفسنا
لو كان في الألف منا واحد فدعوا
وان سقيت كرام الناس فاسقينا
يومنا سراة كرام الناس فادعينا
عنه ، ولا هو بالأبناء يشرينا
تلق السوابق منا ، والمصلينا
الا افتلينا غلاما سيذا فينا
ولو نسام بها في الأمن اغلينا
من فارس ؟ خالهم اياه يعنوننا (٢)

* * * *

-
- (١) رددن من بعض الى بعض : اجتمعن لي في مدة يسيرة ، الواحدة بعد الأخرى .
(٢) الجلى : الأمر العظيم . والسراة ، بفتح السين : مفردا سري وهو الشريف .
ويشرينا : يبيعنا . والسابق والمصلي : هما الأول والثاني من خيل الحلبة التي
تخرج للسباق ، وهي عشرة . والافتلاء : الافتطام ، والأخذ عن الأمر . وأغلين
جعلت غالية ، أو وجدت غالية . وضمير نون النسوة للأنفس . والألف بعده
للاطلاق .

الوحشيات للأبي تمام الطائي

تذكر الروايات أن أبا تمام الطائي قصد أمير خراسان فمدحه ، ولما قفل راجعاً ، مر في طريقه بمدينة همذان ، وتوقف عند صديقه أبي الوفاء بن سلمة الذي أنزله وأكرمه . ووقع يومئذ ثلج عظيم قطع السبل ، وحال دون السفر ، أسابيع مديدة ، وكان عند مُضيف أبي تمام خزانة كتب فوضعها بين يديه ليقضي بعض وقته في مطالعتها والاشتغال بها . فاستطاع خلال ذلك أن يؤلف خمسة كتب من المختارات الشعرية ، وهي : (الحماسة ، الوحشيات ، اختيار من أشعار الفحول ، اختيار من أشعار القبائل ، اختيار من أشعار المحدثين) (١) .

ويشك بعض الباحثين في صدق هذه الرواية ، وفي مقدمتهم طه حسين الذي يرى أن أبا تمام كان دائب العمل في اختيار الشعر مما يحفظه من أشعار المتقدمين ، ويعقب على ذلك الخبر بقوله : « . . . ولكن هذا غير ممكن ، وغير معقول ، فقد كانت اقامته رهن زوال الثلج ، وهذا لا يتجاوز الأشهر القليلة ، ومن المستحيل أن يُصدق أنه قد اختار هذه الكتب في شهرين أو ثلاثة » (٢) .

والحق أنه لا غرابة في ذلك ، إذا عرفنا أن جمهوراً كبيراً من العلماء والمصنفين ألفوا كثيراً من كتبهم في مُدد يسيرة كابن الجوزي ، والسيوطي . . . لأن العلم محفوظ لديهم في الصدور قبل أن يرجعوا إلى السطور ، حتى قال قائلهم :

علمي معي ، حيثما يمت أحمله صدري وعاء له ، لا بطن صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق

ثم أن أبا تمام راوية من رواة الشعر العربي وحفاظه ، فليس كثيراً عليه أن يستعين بذاكرته إلى جانب استعانه بالمصادر الأخرى وهو يدون اختياراته الشعرية . هذا إلى أنه ربما طاب له المقام مدة أخرى بعد زوال الثلج وسير السابلة ، فصنف تلك المختارات الشعرية ، التي كان منها كتاب « الوحشيات » .

(١) طبع منها : الحماسة والوحشيات ، فحسب ، دون الكتب الثلاثة الأخرى التي تختلف أسمائها قليلاً ، من مصدر إلى آخر . وليس هنا مجال التحقيق في صحة تلك الأسماء .

(٢) من حديث الشعر والنثر ٩٨ .

و « الوحشيات » كتاب يضم طائفة من الشعر العربي القديم : الجاهلي والمخضرم ، والاسلامي ، والمحدث ، أي حتى عصر أبي تمام نفسه .

وقد سماه أبو تمام « الوحشيات » - أي القصائد الوحشيات - لأن هذه الأشعار أوابد وشوارد ، كوحوش الفلوات ، لا تُعرف لدى جمهرة الناس ، ولا يالفونها ألفتهم لغيرها من الأشعار .

وسماه العيني « كتاب الوحشي » ، كما اشتهر أيضا باسم « الحماسة الصغرى » تمييزاً له عن الحماسة الأولى التي تعرف بالكبرى .

وممن ذكر « كتاب الوحشيات » من القدماء : الخطيب التبريزي في مقدمة شرحه للحماسة الكبرى ، والقاضي الباقلاني (٤٠٣ هـ) في كتابه « اعجاز القرآن » حيث يقول : « والأعدل في الاختيار ما سلكه أبو تمام ، من الجنس الذي جمعه في كتاب (الحماسة) ، وما اختاره من (الوحشيات) ، وذلك أنه تنكب المستنكر الوحشي ، والمبتذل العامي ، وأتى بالواسطة » .

وقد جرى أبو تمام في تبويب « الوحشيات » على وجه يقارب ما فعله في أبواب حماسته الأولى ، فقد جعلها في عشرة أبواب أيضا ، إلا أنه أسقط باب « السير والنعاس » ووضع بدلا منه « باب المشيب » .

أما طريقته في هذا الكتاب فلا تزيد على جمع الشعر في كل باب ، من دون أن يسير فيه على طريقة علمية أو فن جديد ، أو أن يشير إلى مناسبة ما يذكره من قصائد ومقطوعات . كما أنه ترك كتابه بلا مقدمة أيضا .

وأشعار « الوحشيات » في مجموعها أقل من أشعار الحماسة الأولى ، إذ بلغ عدد القصائد والمقطوعات ٥٠٧ وقد استأثر الباب الأول منها ، وهو باب الحماسة ، بما يزيد على ثلث الكتاب ، في ذكر الحرب والفروسية وضروب الشجاعة والفخر بالنسب والكرم . والباقي موزع على الأبواب التسعة الأخرى . ومعظم اختيارات الوحشيات مقطوعات يغلب عليها القصر ، وقلمنا نمثر فيها على قصيدة طويلة .

ولم يشرحها أحد من القدماء أو المحدثين حتى اليوم . وهي على كل حال تأتي دون الحماسة الكبرى في حسن الاختيار وجودة الانتقاء .

وشعراء « الوحشيات » منهم الجاهلي : كالشنفرى ، وتابط شراً ، والسموأل ، ودريد بن الصمة . ومنهم المخضرم : كأبي محجن الثقفي ، وحُميد بن ثور ، ولبيد . والاسلامي : كمجنون ليلى ، وجدير ، والفرزدق . والمحدث : كابن هرمة ، وبشار بن برد ، وأبي نواس . وهناك عدد كبير من

المغمورين ، كمدي بن غطيف ، وسلمة بن عياش... والمجهولين: «آخر ، أعرابي . رجل من طييء » . ونصيب شعر النساء ضئيل جداً في « الوحشيات » ، ومنه على سبيل المثال قصيدة « الفارعة » الشيبانية في رثاء أخيها الوليد بن طريف الشيباني ، وفيها تقول :

أيا شجر الغابور ما لك مورقاً	كانك لم تحزن على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى	ولا المال الا من قنا وسيوف
فان كان ارداه يزيد بن مزيد	فرب زحوف فلهما بزحوف
كانك لم تشهد طعناً ، ولم تقم	مقاماً على الأعداء غير خفيف
فقدناك فقدان الربيع ، وليتنا	فدينك من دهمائنا بالوف
فلا تجزعا يا ابني طريف فانني	أرى الموت حلالا بكل شريف

طبعت « الوحشيات » في القاهرة سنة ١٩٦٣ م في سلسلة « ذخائر العرب » بتحقيق عبد العزيز الميمني ، ومراجعة محمود محمد شاكر . ثم أعيد طبع الكتاب تصويراً سنة ١٩٧٠ م .

* * * *

حماسة البحرني

البحرني شاعر عباسي من منبج ، عاش في القرن الثالث للهجرة (٢٠٥ - ٢٨٤ هـ) وقد جمع في شعره بين جزالة البدو ورقة الحضرة . اتصل بالخليفة المتوكل ولازمه . وكانت بين البحرني وأبي تمام صلة وثيقة ، وصداقة وشيجة . بل ان البحرني يعد تلميذاً لأبي تمام ، لأنه تأثر أستاذه الطائي في شعره وأغراضه ، ونهل من أدبه وفنه ، ولا سيما في مطلع حياته ، وبدء شهرته ، حتى استقامت له طريقته الشعرية ، ومذهبه الأدبي في ديباجة الشعر وصوغه .

ولم يشأ البحرني أن يتخلف عن أستاذه في ميدان التصنيف أيضاً ، فكان أول من قلّد أبا تمام في جمع تلك الاختيارات الشعرية الرائعة التي سماها « الحماسة » أيضاً ، مستمداً أياها من دواوين الشعراء وصدور الرواة ، وما ثبت في حافظته الواسعة من الأشعار أيام الطلب .

وقلّد البحرني أستاذه أيضاً في الفترة الزمنية التي خضعت لذلك الاختيار ، أعني الشعر القديم الذي يمتد من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي ، فاقتار للجاهليين من أمثال : امرئ القيس ، وأوس بن حجر ، وحاتم الطائي ، وعروة بن الورد . . . وللمخضرمين مثل الحطيئة ، والخنساء ، ولبيد بن ربيعة . . . وللأمويين : كجرير ، والفرزدق ، والأخطل ، وليل الأخيلية ، والمقنع الكندي ، والراعي النميري . . .

أما الشعراء المحدثون فقد كان لهم بعض النصيب من تلك الاختيارات ، ولا سيما متقدموهم من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، مثل بشار بن برد ، ومطيع بن أياس ، وصالح عبد القدوس .

وبذلك وصل عدد الشعراء في حماسة البحرني الى ٦٠٠ شاعر تقريباً .

ومن الجدير بالذكر أن البحرني لم يكد يختار شيئاً للقريبين من أيامه ، أو المعاصرين له ، كأبي العتاهية ، والعباس بن الأحنف ، وأبي نواس ، ومسلم ابن الوليد ، وكلهم مجيدون كبار ، وتستطيع أن تعد معظم أشعارهم اختيارات ، حتى أستاذه أبو تمام ، الذي سبقه الى الموت بنصف قرن ، لم يحظ بببيت واحد من شعره يكون له حيز في حماسة تلميذه ، وفي هذا عقوق ظاهر ، وتضييع لحق أستاذ اعترف له البحرني بالفضل حين قال عنه « والله ما أكلت الخبز الا به » .

وفي حماسة البحرني ، بعد هذا ، مختارات لشعراء مجهولين ، أشار اليهم بمثل قوله : « قال آخر » ، « وقال غيره » ، « ولبعضهم » . وقد يكتفي بذكر

قبيلة الشاعر دون اسمه فيقول مثلاً : « لرجل من بني الحارث بن كعب » ،
و « لرجل من بني تميم » و « لرجل من طليع » . الخ .

وإذا كان البحري قد جرى على آثار أستاذه الطائي في فكرة تصنيف
حماسته ، وفي تسميتها ، واغفال مقدمتها ، فإنه انفرد عنه في الطريقة
والتبويب :

١ - فهو لم يعتمد على مبدأ الأغراض الشعرية العامة التي جعلها أبو
تمام عشرة فحسب ، بل وزع البحري مختاراته على موضوعات جزئية ،
وأفكار فرعية لكل غرض . وبذلك أصبحت حماسته في (١٧٤) باباً .

٢ - وقد نتج عن صنيع البحري ذلك ، أن القصيدة الواحدة أحياناً قد
تجزأت وتناثرت إلى مقطوعات موزعة على عدة أبواب ، تقل أو تكثر . تبعاً
للمعاني الجزئية التي تحملها تلك القصيدة ، وهذا ما جعل القصر يخلب على
اختيارها البحري في حماسته ، حتى بلغ عددها ١٤٥٤ مقطوعة وقصيدة .
وعمله هذا - على ما فيه من مأخذ - يوفر على القارئ كثيراً من الجهد ، ويسر
له الحصول على شواهد شعرية لمختلف المعاني والأغراض .

٣ - وولفت النظر في هذا الكتاب أن البحري لم يفرد فيه للحماسة
باباً صريحاً ، على الرغم من أنه استعار هذه التسمية لكتابه . ولكن يلاحظ أنه
عوض عن ذلك بأن سرد سبعة وعشرين باباً ، من أول حماسته ، تشتمل
عناوينها على معانٍ جزئية متفرعة من موضوع الحماسة ، مثل : حمل النفس
على المكروه ، والفتك ، وركوب الموت خشية العار ، والتحريض على القتل
بالثأر ، والامتناع من الصلح ، والتشمير عند الحرب ، وذم الفرار والتعير
به ، واستطابة الموت عند الحرب . الخ .

وأول مقطوعة استهل بها البحري حماسته في الباب الأول (فيما قيل في
حمل النفس على المكروه عند الحرب) قول عمرو بن الأظفان الخزرجي ، وهو
شاعر جاهلي :

أبت لي عفتي وأبسى بلانسي	وأخذني الحمد بالثمن الربيع (١) *
واعطائي على المعسور مالي	وضربي هامة البطش المشيع (٢)
وقولي كلما جشأت وجاشت :	مكانك تحمدي أو تستريحني (٣)
وادفع عن مكارم صالحات	واحمي بعد عن عرض صحيح

-
- (١) الربيع : الربيع الثمين .
(٢) المعسور : الفقير . المشيع : المجد في الأمر .
(٣) جشأت نفسه : ارتفعت واضطربت . ومثله جاشت .

وهذه الأبيات كانت السبب في ثبات معاوية يوم صفين وعدم فراره ،
فقد روي عنه أنه قال : لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفين وهممت
بالفرار ، فما منعني الا قول ابن الاطنابة :

أبت لي عفتي وأبى بلائي ... (الى آخر الأبيات) •

٤ - وخص البحتري المرأة بباب طويل ختم به حماسته ، وأورد فيه
مختارات من أشعار النساء ، مثل : ليلي الأخيلية ، والغنساء ، وقتيلة بنت
النضر ، وليلي بنت طريف ، ولكنه اقتصر فيه على موضوع الرثاء فحسب ،
وجعل عنوانه : « باب في مختار أشعار لجماعة من النساء في المراثي » •



طبعت حماسة البحتري في بيروت ومصر ، في مجلد واحد ، ولم تحظ
بعناية أحد من الشراح القدامى أو المعاصرين ، خلافا لحماسة أبي تمام •

ومن أشهر اختيارات البحتري قصيدة المقنع الكندي التي يقول فيها :

<p>ديوني في أشياء تكسبهم حمدا وبين بني عمي لمختلف جددا وان هدموا مجلي بنيت لهم مجدا (١) زجرت لهم طيرا ، تمر بهم ، سعدا (٢) طلعت لهم فيما يسرهم نجدا (٣) قدحت لهم في نار مكرمة زندا (٤) أبادهم الا بما يبعث الرشدا وصلت لهم مني المحبة والودا وليس كريم القوم من يحمل الحقدا سجيس الليالي، أو يزيروني اللعدا (٥)</p>	<p>يعاتبني في الدّين قومي وانما وان السني بيني وبين بني أبي فان أكلوا لحمي وفرت لحومهم وان زجروا طيرا بنحس تمر بي وان هبطوا غورا لأمر يسوءني فان قدحوا لي نار زند تشينني وان بادھوني بالعداوة لم أكن وان قطعوا مني الأواصر ضلّة ولا أحمل الحقْد القديم عليهم فذلك دأبي في الحياة ودأبهم</p>
---	---

- (١) أكلوا لحمي : اغتابوني • وفرت لحومهم : تركت أعراضهم موقورة سالمة •
- (٢) أي اذا تمنوا لي النحس والشؤم ، تمنيت لهم حسن الطالع والسعد الحميد •
- (٣) الغور : الأرض المنخفضة ، وعكسها النجد •
- (٤) الزند ، بفتح الزاي : العود الذي تقدح به النار ، ج زندا وأزند •
- (٥) سجيس الليالي : على مدى الأيام • يزيروني اللحد : يجعلونني أزور القبر
يعني موته ومفارقته الحياة • والفعل منصوب بان المضمرة بعد « أو » وإثبات
النون ضرورة شعرية •

وهذه القصيدة اختارها أبو تمام في حماسته قبل البحتري ، ولكن بين روايتيهما اختلافاً في بعض الأبيات ، زيادة ونقصاناً ، كما تختلف رواية بعض الألفاظ هنا وهناك .

ذلك كله يدل على أن منزلة حماسة البحتري تأتي في المرتبة الثانية بالقياس إلى حماسة أستاذه الطائي ، وظلت كذلك حتى اليوم ، فإذا قيل : « كتاب الحماسة » أو « الحماسة » فالمعنى به حماسة أبي تمام ، وإذا أطلق الكلام فقيل : « هذا الشاعر حماسي » أو « هذه القصيدة حماسية » فالمراد بذلك حماسة أبي تمام أيضاً .

* * * *

الحماسة الشجرية لابن الشجري

وهذه حماسة ثالثة ألفها الشريف هبة الله بن علي ، المعروف بابن الشجري البغدادي (٥٤٢ هـ) - وهو من أئمة اللغة والنحو والأدب - كان ذكي الفؤاد ، فصيح اللسان ، حاضر البديهة ، حلو الحديث ، ذا فضل ووقار .

له عدد من المؤلفات تحمل نسبته ، أشهرها : الأمالي الشجرية ، ومختارات ابن الشجري ، والحماسة الشجرية .

أما (حماسته) فقد تأثر فيها بمنهج سابقه : أبي تمام والبحري معاً ، ومزج بين طريقتيهما في وقت واحد ، حيث قسم الكتاب إلى أبواب رئيسية عامة ، بحسب الأغراض الشعرية ، على مثال أبي تمام ، عددها تسعة ، وهذه الأبواب هي :

- ١ - باب الشدة والشجاعة .
- ٢ - باب اللوم والعتاب .
- ٣ - باب المراثي .
- ٤ - باب المديح .
- ٥ - باب الهجاء .
- ٦ - باب الأدب .
- ٧ - باب النسيب .
- ٨ - باب الصفات والتشبيهات .
- ٩ - باب الملتح (١) .

ولكن ابن الشجري فرع بابي (النسيب) و (الصفات والتشبيهات) فقط إلى عدد من الأبواب الجزئية ، على طريقة البحتري :

أما (باب النسيب) فقد جزأه إلى سبعة أبواب هي : (الحنين إلى الأوطان ، الارتياح عند هبوب الرياح ، الاشتياق عند لمعان البروق ، النزاع عند نوح الحمام ، الشوق عند حنين الأبل ، الطيف والخيال ، مقطعات من غزل شعر جعاعة من المحدثين) .

(١) ليس في هذا الباب ما هو جديد ، لأن أكثر مختاراته يمكن ردها إلى أحد الأبواب السابقة : كالهجاء ، والوصف وما إلى ذلك . ومعظمها ليس من الملاحاة في شيء .

وأما (باب الصفات والتشبيهات) فقد فرعه ابن الشجري الى واحد وعشرين فصلاً جزئياً ، مثل : (صفات النساء ، وصف النار ، الصفات والتشبيهات في الليل والنجوم والمجرة ، والهلال ، والصبح ، الصفات في الشيب والشباب والخضاب ، صفات الكتب والخط وآلته ...) .

وبذلك أصبح مجموع الابواب العامة والجزئية ٣٧ باباً (٩ + ٧ + ٢١) تضم ٩٤٣ حماسية لشعراء بلغ عددهم ٣٦٥ عدا المجهولين الذي لم يصرح بأسمائهم .

وإذا كان ابن الشجري قد احتذى أبا تمام والبحتري في طريقة الاختيار ، والتبويب وتسمية الكتاب ، واثبات أشعار الجاهليين والاسلاميين ، فإنه يمتاز أيضاً بأمور أخرى لها أهميتها :

١ - فهو يولي أشعار المولدين أو المحدثين اهتماماً أكبر في اختياراته : كابي نواس ، وأبي تمام ، وأبي العتاهية ، والبحتري ، وابن الرومي ، وابن المعتز ، والشريف الرضي ، بل إنه وأصل متابعة مسيرة الشعر المختار حتى عصره ، أي القرن السادس للهجرة ، فاختر أشعاراً للجرجاني ، ولزيد بن الحسن الكندي وغيرهما .

وبلغ من اهتمامه بالمحدثين أن أفرد لهم فصلاً خاصاً أيضاً في باب النسب بعنوان « مقطعات من غزل شعر جماعة من المحدثين » زيادة على ما تفرق من أشعارهم في بقية الأبواب ، وفي موضوعات أخرى غير الغزل والنسب .

٢ - ولم يضمن ابن الشجري على الشاعرات العربيات بنصيب من الشعر المختار ولكن أكثر اختياراته لهن في الرثاء ، مثل : الخنساء ، وليلى الأخيلية ، وليلى بنت طريف ...

٣ - وإذا كان ابن الشجري قد أغفل التقديم لكتابه بما يوضح منهجه وطريقته في الاختيار ، فإن شخصيته قد بدت ظاهرة في جوانب أخرى من الكتاب ، من ذلك أنه ذكر مناسبات بعض القصائد ، ولورد أخباراً وروايات تتعلق بتلك القصائد ، كما شرح بنفسه جملة من الأبيات أو مفرداتها الصعبة على الفهم ... وكل ذلك لم يفعله الطائيان قبله .

٤ - وأخيراً ، فإن ابن الشجري لم يتمسك بتسمية « الحماسة » للباب الأول من كتابه ، وإنما استعاض عنها بما يفيد معناها ، فسماه « باب الشدة والشجاعة » . وقد اعتدنا أن يكون هذا الباب في حماستي أبي تمام والبحتري أطول الأبواب وثالث الكتاب ، ولكنه لم يكن كذلك في الحماسة الشجرية ، إذ بلغ عدد حماسياته ١٨١ وهي تعادل خمس الكتاب تقريباً .

طبعت الحماسة الشجرية أول مرة في حيدر آباد سنة ١٩٢٦ في جزء واحد
ثم طبعت ثانية في دمشق سنة ١٩٧٠ في جزأين ، يتضمنان شروحات مفصلة في
هوامش الكتاب ، مع فهرس وافية تيسر الانتفاع به (١) .

* *

ومن القصائد الجيدة المشهورة في « الحماسة الشجرية » تلك التي قالتها
ميسون بنت بحدل ، زوجة معاوية بن أبي سفيان ، تتشوق الى مسقط رأسها
في البادية ، وتفضلها على قصر الخلافة في الحاضرة ، واليك ما قاله ابن الشجري
في القصيدة وخبرها (٢) :

« روى الكلبي عن عوانة ، قال : لما زُفت ميسون بنت بحدل من بادية
كلب الى معاوية ، وهو بريف الشام ، ثقل عليها الغربة والبعد عن قومها ،
فسمعها ذات يوم تقول :

لبيت تغفّق' الأرواح' فيــــه	أحب الي من قصر منيف (٣)
وأصوات' الرياح بكل فج	أحب الي من نقر الدفوف
وبكر يتبع الأظلمان صعب	أحب الي من بغل زفوف (٤)
وكلب ينبج الطراق عني	أحب الي من قط الوف (٥)
ولبس' عباءة وتقر عيني	أحب الي من لبس الشفوف (٦)
وخرق من بني عمي نجيب	أحب الي من عالج عنيف (٧)

فلما سمع معاوية ذلك قال : أنا والله العالج العنيف ، وازداد بها 'عجباً' ،
وعليها شحاً واليها ميلاً » .

* * * *

- (١) حقق طبعة دمشق : عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي .
- (٢) أوردتها ابن الشجري في « باب الحنين الى الأوطان » وهو أول الأبواب السبعة المتفرعة
من الباب الرئيسي الذي سماه « باب النسيب » .
- (٣) الأرواح : الرياح .
- (٤) البكر : بفتح الباء : الفتى من الابل . والزفوف : السريع ، الحسن المشي .
- (٥) الطراق : أبناء السبيل ، أو الذي يقدمون ليلاً .
- (٦) الشفوف : الثياب الحريرية الرقيقة .
- (٧) الخرق : الفتى الحسن ، الكريم الطبع ، أو السخي الجواد . والمراد بالملج
هنا : الضخم الغليظ .

مختارات البارودي

جامع هذه المختارات الشاعر المعاصر محمود سامي البارودي (١٨٤٠ - ١٩٠٤ م) الذي نشأ في القاهرة وكان رئيساً للوزارة قبيل الثورة العربية ، وهو حامل لواء النهضة الشعرية الحديثة ، وله الفضل في احياء الشعر ، وبعثه من رقدته .

وقد دفعه حبه للشعر القديم الى أن يُقبل على دواوين أصحابه قراءة وحفظاً واختياراً ، فكانت حصيلة ذلك مختاراته الشعرية التي سميت باسمه .

ولا شك أن هناك دافعاً آخر ساقه الى هذا الاختيار ، هو تقويم المملكة الأدبية ، وتنمية الموهبة الشعرية عن طريق الحفظ والمدارسة ، بتقديم مجموعة مختارة من أجمل الشعر الذي قيل في العصر العباسي فحسب ، دون غيره من العصور ، منذ منتصف القرن الثاني الهجري حتى مطلع القرن السابع .

ذلك أن البارودي انتخب ثلاثين شاعراً عباسياً ، بدءاً من بشار بن برد - أول المحدثين - حتى ابن عني (- ٦٣٠ هـ) معاصر صلاح الدين الأيوبي ، واختار البارودي لكل من هؤلاء الشعراء الثلاثين مجموعة مناسبة من شعره ، حتى بلغت جملة الأبيات المختارة حوالي أربعين ألف بيت ، تطول القصيدة فيها تارة ، أو تقصر القطعة تارة أخرى فتصل الى البيت أو البيتين .

وقد قام منهج المؤلف في تبويب كتابه على الأمور الآتية :

١ - قسم الكتاب الى سبعة أبواب بحسب الأغراض الشعرية العامة ، وهي : (الأدب ، والمديح ، والرثاء ، والصفات ، والنسيب ، والهجاء ، والزهد) .

٢ - واختار في كل باب من تلك الأبواب السبعة شعراً وافراً لكل من أولئك الشعراء الثلاثين المحدثين على التوالي ، مراعيًا في ترتيب أسمائهم تسلسلهم الزمني ، وأسبقيتهم في الوجود :

١ - بشار بن برد (- ١٦٧ هـ) .

٢ - العباس بن الأحنف (- ١٩٢ هـ) .

٣ - أبو نواس (- ١٩٨ هـ) .

٤ - مسلم بن الوليد (- ٢٠٨ هـ) .

٤ - أبو المتاهية (- ٢١١ هـ) .

.....

.....

٢٨ - 'عمارة اليميني (- ٥٦٩ هـ) .

٢٩ - سبط ابن التعاويذي (- ٥٨٣ هـ) .

٣٠ - ابن عَنِين (- ٦٣٠ هـ) .

وربما أهفل البارودي بعضاً من هؤلاء الشعراء في أحد الأبواب السبعة ، وذلك حين لا يعثر على شيء من أشعارهم تتصل بالفرض الذي ساق الباب من أجله .

٣ - ورتب أشعار كل شاعر على حروف المعجم ، في كل باب ، مبتدئاً بما رويته (١) الهمزة ، فالباء ، فالتاء ... وهكذا إلى الألف .

٤ - وقد حرص المؤلف على أن ينتخب الجيد من الشعر ، لفظاً ومعنى ، ولكنه كان يتصرف أحياناً في ترتيب بعض الأبيات من القصيدة الواحدة ، أو يبدل حرفاً مكان آخر إذا اقتضى السياق والمقام هذا التبديل .

٥ - وصنع البارودي لمختاراته ديباجة قصيرة في أقل من صفحة ، اقتصر فيها على ذكر أسماء الشعراء الثلاثين الذين اختار لهم ، وعدد الأبيات التي وزع عليها اختياراته الشعرية . وقد أملى هذه الديباجة في عرض موته ، الذي حال بينه وبين توضيح منهجه وطريقته في « مختاراته » .

وقد نشرت « مختارات البارودي » في أربعة مجلدات ، ذيلت صفحاتها بشرح بعض المفردات الغامضة .

* * * * *

ومن المفيد أن نضرب مثالين يأخذان بيد القارئ إلى فهم طريقة ذلك الكتاب ، وكيفية الرجوع إليه والبحث فيه عما يريد من قصائد :

(١) الروي : هو الحرف الذي تبني عليه القصيدة وتنسب إليه ، فيقال : هذه قصيدة هينية ، أو رائية ، أو لامية ، إذا كان رويها عيناً ، أو راء ، أو لاما ...

١ - لأبي تمام قصيدة بائية مدح بها المعتصم يوم عمورية ، مطلعها :

السيفُ أصدقُ أنباء من الكتب في حده الحدُّ بينَ الجَدِّ واللعبِ

فإذا أردنا العثور على هذه القصيدة في « مختارات البارودي » نفتح الكتاب أولاً على الباب الثاني وهو « باب المديح » لأن موضوع القصيدة في المديح . ثم نبحث عن أبي تمام الطائي ، بحسب تسلسله الزمني ، بعد بشار بن برد ، فالعباس بن الأحنف ، ... حتى نصل إليه ، وترتيبه هو السابع ، لأنه توفي سنة ٢٣١ هـ . وتحت اسم « أبي تمام » أثبتت القصائد والمقطوعات المختارة له في باب المديح ، ورُتبت روياتها على حروف الهجاء ، فنرى قصيدته المشار إليها في روي الباء .

٢ - قصيدة ابن الرومي في رثاء ولده الأوسط ، وأولها :

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يُجدي فجودا ، فقد أودى نظيركما عندي

أ - موضوع القصيدة رثاء ، اذن نسعى أولاً الى العثور على « باب الرثاء » وهو الباب الثالث .

ب - نبحث عن « ابن الرومي » بحسب ترتيبه الزمني ، وهو التاسع .

ج - وفي القصائد التي اختيرت له في « باب الرثاء » نجد القصيدة في روي الدال .

* * * *

الفصل الثاني مجموعات شعرية أخرى

ذكرنا في الصفحات السابقة عدداً من كتب الاختيارات الشعرية ، التي رغبنا في الوقوف عندها والكلام عليها . ولا شك أن هذه الكتب هي غيض من فيض ، وقطرة من بحر ، بالقياس الى ما نشر وما لم ينشر من مصادر الاختيارات في تراثنا الشعري . ومع ذلك فمن المستحسن أن نذكر هنا بأسماء بعض المجموعات الشعرية الاخرى المتميزة ، التي لا يصح اغفالها ، وبعضها قديم ، والآخر صنقه المعاصرون . وتختلف متاحها من حيث المضمون : فمنها ما اقتصر على موضوعات خاصة ضيقة ، ومنها ما كان مستنوعاً بين عدة موضوعات ، أو عدة عصور .

فمن المجموعات الشعرية التي ألفها القدماء :

١ - المعلقة الجاهلية : وقد اختلف عددها عند القدماء ، ما بين سبع ، وتسع ، وعشر . وألفت شروح كثيرة لها . منها :

أ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : لأبي بكر الأنباري ، محمد بن القاسم (- ٣٢٨ هـ) . وقد نشرته دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٣ في سلسلة « ذخائر العرب » بتحقيق عبد السلام هارون .

ب - شرح القصائد التسع المشهورات : لأبي جعفر النحاس ، أحمد ابن محمد (- ٣٣٨ هـ) . طبع في بغداد ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م في قسمين اثنين ، بتحقيق أحمد خطاب .

ج - شرح المعلقة السبع : لأبي عبد الله الزوزني ، الحسين بن أحمد (- ٤٨٦ هـ) . طبع مراراً ، وأجود طبعا تلك التي ضبطها وعلق عليها محمد علي حمد الله ، وصدرت في دمشق ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م (١) .

(١) نهض بعض المعاصرين أيضاً لشرح المعلقة ، فخصوها بكتب تتفاوت في قيمة شروحها وحفظها من البسط أو الاختصار ، ومنها :

أ - المعلقة العشر وإخبار شعرائها : لأحمد بن الأمين الشنقيطي (- ١٩١٣ م) . وقد ترجم لشعراء المعلقة العشر أولاً ، ثم أورد نصوص تلك المعلقة ، وكان أكثر عنايته موجهاً الى بيان رواياتها المختلفة . وهنا تكمن فائدة هذا الكتاب .

←

٢ - ديوان الهذليين : يضم أشعار شعراء قبيلة هذيل ، في الجاهلية والاسلام . جمعت كلها في هذا الكتاب . الا أن هؤلاء الشعراء يختلفون في مقادير أشعارهم ، ففيهم المقل جداً ، والمتوسط ، والمكثر . وعدددهم نحو من أربعين شاعراً . وقد طبع ديوان الهذليين ، بشرح أبي سعيد السكري (- ٢٧٥ هـ) ، في أوروبية بعناية بعض المستشرقين . ثم طبع في القاهرة في ثلاثة أجزاء ، اذ نشرته دار الكتب المصرية في السنوات (١٩٤٥ - ١٩٤٨ - ١٩٥٠) ثم صور ثانية سنة ١٩٦٥ وجعلت أجزاءه الثلاثة في مجلد واحد . وعدد الشعراء في هذه الطبعة ٣١ . ثم ظهرت في القاهرة سنة ١٩٦٥ م طبعة أخرى في ثلاثة مجلدات ضخمة حققها عبد الستار فراج . وهي أكمل الطبقات ، حيث بلغ عدد شعرائها نحو ٤٠ شاعراً . وطبعت بعنوان : « شرح أشعار الهذليين » .

٣ - نقائض جرير والفرزدق : جمعها وشرحها أبو عبيدة ، معمر بن المتنى (- ٢٠٩ هـ) . واشتهر هذا الكتاب باسم « كتاب النقائض » . وهو يضم القصائد الهجائية والفخرية التي نظمها ذاك الشاعران الأمويان ، ورد بها كل منهما على خصمه . وقد طبع الكتاب في لندن سنة ١٩٠٨ م في ثلاثة مجلدات ضخمة . ثم طبع ثانية في بيروت بطريقة التصوير ، في عشر السنين من هذا القرن .

٤ - نقائض جرير والأخطل : جمعها أبو تمام الطائي . طبعت في بيروت سنة ١٩٢٢ م ثم أعيد طبعها تصويراً في عشر السبعين .

٥ - كتاب الاختيارين : صنّفه الأخفش الأصغر ، علي بن سليمان (- ٣١٥ هـ) واختار فيه عدداً من قصائد المفضليات والأصمعيات ، وضم

→

ب - نهاية الارب من شرح معلقات العرب : لبدر الدين النعماني الحلبي (- ١٩٤٣ م) . طبع بمطبعة السعادة في القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م .

ج - رجال المعلقات العشر : لمصطفى الفلايني (- ١٩٤٥ م) . طبع بالمطبعة الأهلية في بيروت سنة ١٣٣٢ هـ . وقد صدره بمقدمتين : الأولى في خلاصة تاريخ العرب قبل الاسلام . والثانية في خلاصة تاريخ أدب اللغة العربية من العصر الجاهلي الى العصر الحاضر . وترجم لصاحب كل معلقة ، وبيّن سبب نظمها ، قبل أن يورد نخبه منها .

د - المعلقات : للدكتور محمد صبري الاشتري . طبع في حلب سنة ١٩٦٩ - ١٩٧٠ م وهو من أجود الكتب التي اضطلعت بدراسة المعلقات العشر وتحليلها تحليلًا أدبيًا وفنيًا .

اليها قصائد أخرى لا نجد لها في اختيار المفضل والأصمعي . وجاءت هذه القصائد كلها متداخلة ، على غير نسق واضح ، وقد علق عليها الأخفش الأصغر شرحاً يفسر بعض الغريب ويوضح بعض المعاني البعيدة . وقد فقد الجزء الاول المخطوط من هذا الكتاب ، ولم يُعثر الا على الجزء الثاني المخطوط منه ، الذي طبع في دمشق ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م بتحقيق د. فخر الدين قباوة ، ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . ثم أعيد طبعه تصويراً في بيروت ١٩٨٤ م .

٦ - **الأشباه والنظائر** : للمخالدين ، وهما الأخوان الموصليان : محمد « - ٣٨٠ هـ » وسعيد « - ٣٩١ هـ » ابنا هاشم ، وكانا من جملة حاشية سيف الدولة بحلب ، ومن خواص شعرائه ، وفي مقدمة ندمائه . ويضم هذا الكتاب مختارات « من أشعار المتقدمين ، والجاهلية ، والمخضمين » مقترنة بما يشبهها في المعنى أو يناظرها من أشعار القدماء والمحدثين معا ، وقد اختيرت تلك الأشعار ورتبت ، من غير تبويب ، لابرار فكرة معينة في كل موضع تذكر فيه تلك الفكرة ، وفي الكتاب ، اضافة الى ذلك ، لمع من أخبار الشعراء ، وآراء أدبية كثيرة متناثرة . وقد طبع ، في جزأين كبيرين ، بتحقيق د. السيد محمد يوسف ، ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة (١٩٥٨-١٩٦٥م) .

٧ - **الحماسة البصرية** : لصدر الدين البصري (- ٦٥٦ هـ) وهذه الحماسة هي آخر الحماسات القديمة التي وصلت كاملة إلينا حتى اليوم . ومختاراتها مستمدة من كتب الاختيار السالفة : كالدواوين الشعرية ، وكتب الأدب ، والمفضليات ، والأصمعيات ، والحماسات المتقدمة ، والأشباه والنظائر . ومن ثم كانت هذه الحماسة مفتقرة الى الاصلة . وهي تضم ١٦٤٨ حماسية تشمل نحو ستة آلاف بيت من الشعر . وكلها من الشعر القديم ، والمحدث الذي يقف عند منتصف القرن الثالث للهجرة ، ولا يتجاوزه المؤلف ليصل الى عصره هو ، على الرغم من تطاول الازمان ووفرة المصادر بين يديه . وهذه الحماسة تتألف من ١٢ باباً ، عشرة منها تطابق أبواب حماسة أبي تمام ، والباقي الاخران المضافان هما : «الانابة والزهد» ، و «ما جاء في أكاذيبهم وخرافاتهم» .

وقد طبعت الحماسة البصرية في حيدر آباد بالهند ١٩٦٤ في جزأين بتصحيح وتعليق مختار الدين أحمد . ثم أعيد طبعها تصويراً في بيروت منذ بضع سنوات .

* * * *

أما المجموعات الشعرية التي ألفها المعاصرون ، والتي تضم مختارات مختلفة من الشعر القديم ، فنذكر منها ، بحسب تاريخ نشرها :

١ - كتاب أراجيز العرب : ألفه محمد توفيق البكري (- ١٩٣٢ م) ، واختار فيه ٣٩ أرجوزة ، ما بين طويلة وقصيرة ، وفسر غريبها وشرح معانيها . وهذه الأراجيز لشعراء ورجاز مختلفين . وقد فاز بالنصيب الاوفى من هذا الاختيار ثلاثة منهم وهم : (العجاج ، وابنه رؤبة ، وذو الرمة) والى جانبهم : القطامي ، وحמיד الأرقط ، ومنظور بن مرثد . . الخ وبعض الأعراب . طبع الكتاب بمصر ١٣١٣ هـ ثم سنة ١٩٤٦ هـ .

٢ - شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام : جمعه ورتبه بشير يموت (- بعد ١٩٢٨ م) وطبع في بيروت ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م . وهو يتضمن مختارات من أشعار النساء العربيات ، وجعلهن في قسمين : القسم الجاهلي ، والقسم الاسلامي ، معتمداً في جمع تلك الأشعار على عدد من المصادر القديمة المختلفة . وعدد صفحاته ٢٥٠ .

٣ - الطرائف الأدبية : جمعه وصححه عبد العزيز الميمني (- ١٩٧٨ م) الذي كان أستاذاً للأدب العربي بجامعة عليكرة بالهند . وطبع في القاهرة ١٩٣٧ م . وهو في قسمين : الأول يشتمل على ديوان الافوه الاودي ، وديوان الشنفرى (وهما من شعراء الجاهلية) ، وتسع قصائد نادرة ، منها : لامية أبي النجم العجلي ، وعينية الصمة القشيري . . . والقسم الثاني يشتمل على ديوان ابراهيم الصولي ، والمختار من دواوين المتنبي والبحترى وأبي تمام لعبد القاهر الجرجاني . وقد أعيد طبع هذا الكتاب تصويراً منذ بضعة عشر عاماً .

٤ - شعر الخوارج : جمعه وحققه د . احسان عباس . وطبع أول مرة في بيروت سنة ١٩٦٥ ثم توالى طبعاته منقحة ومزيدة . وقد اقتصر فيه المؤلف على شعراء فرقة الخوارج منذ نشأتها حتى نهاية العصر الاموي ، دون أن يتجاوزها الى العصور التالية ، لندرة تلك الاشعار فيها .

٥ - مختارات من الشعر الجاهلي : اختارها وعلق عليها أحمد راتب النفاخ . وطبع في دمشق سنة ١٩٦٦ وتشتمل على بعض المعلقات والقصائد لكل من امرئ القيس وزهير والنايفه وعنترة اضافة الى قصائد أخرى لأساتذة زهير (كطفيل الفنوي ، وأوس بن حجر ، وبشامة بن الغدير) ، وقصائد للمقلين وأصعاب الواحدة ، وللشعراء الفرسان ، والشعراء الصعاليك (الشنفرى ، وتأبط شراً ، وعروة بن الورد) .

٦ - شاعرات العرب : جمعها وحققها عبد البديع صقر . وهذا الكتاب يضم أشعار النساء في جميع العصور السابقة ، ورتبت فيه أسماء الشواعر على الحروف الهجائية ، لا على العصور . واعتمد المؤلف في عمله على كتاب بشير يموت وغيره ، وبلغ عدد صفحات كتابه ٤٨٨ وطبع سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م في بيروت (٩) .

٧ - المنصفات : جمعها وحققها عبد المعين الملوحي • ونشرتها وزارة الثقافة وطبعت في دمشق ١٩٦٧ • والمنصفات قصائد قديمة قالها بعض الشعراء الفرسان الذين أنصفوا أنفسهم من أعدائهم ، أو أنصفوا أعداءهم من أنفسهم وذكروا ما لكل فريق وما عليه ، فكانوا أمثلة رائعة للفروسية العربية أخلاقاً وتقاليد وسلوكاً • ومن هؤلاء الشعراء عبد الشارق بن عبد العزى الذي يقول في قصيدته « المنصفة » التي رواها كل من أبي تمام والبحراني في حماستيهما ، والخالدين في الاشباه والنظائر :

فلما ان تواقفنا قليلاً	انغنا للكلاكل فارتينا
فلما لم ندع قوساً وسهماً	مشينا نحوهم ومشوا الينا
شددنا شدة فقتلت منهم	ثلاثة فتية وقتلت قينا
وشدوا شدة أخرى فجروا	بارجل مثلهم ورموا جويننا
فأبوا بالرمح مكشرات	وابنا بالسيوف قد انحنينا
فباتوا بالصعيد لهم أحاح	ولو خفت لنا الكلمى سرينا(١)

* * * *

(١) الكلاكل : الصدور ، مفردا كلكل • وقين : اسم رجل كان مشهورا بالشجاعة • وجوين : أخو الشاعر ، وقد قتل في تلك المعركة • والصعيد : وجه الأرض • والأحاح : المعطش أو صوت يُسمع من الصدر ، بسبب اشراف الجريح على الهلاك • لو خفت لنا الكلمى : لو استطاع الجرحى منا القدرة على السرى ومعاودة القتال • يريد أن كلا الفريقين اضطر الى الاقامة والمكث ريثما تثوب اليه قواه ، بعد ذلك الجهد الشديد ومشاركة الردى •

الباب الثاني

كتب اللغة والمعاجم

تهيد في اللغة وجمع مضردائها

اللغة نظام اجتماعي خاضع لتأثير الزمان والمكان ، وكلما تعاقبت الأيام وجدنا فروقا بين اللغة التي يتكلمها الأقدمون ، واللغة التي يتكلمها المعاصرون ، ولا سيما الألفاظ والتراكيب . لأن اللغة أيضا كائن حي يخضع لعوامل النشوء والارتقاء ، والتبدل والتطور ، فتولد كلمات جديدة ، وتموت أخرى قديمة . وتحيا أساليب كانت مندثرة ، وتضمحل أخرى كانت شائعة ذائعة . وهذا هو شأن اللغة العربية ، التي لا تخرج عن تلك القوانين التي تنتظم اللغات جميعا .

وربما اختلفت اللغة العربية عن سائر اللغات الاخرى في عدة ظواهر برزت فيها أكثر من غيرها كالمترادفات ، والأضداد ، والمجاز ، ومثلثات الكلام ، لارتباط هذه اللغة بحياة العرب الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والعلمية ، الى جانب تعدد اللهجات عندهم ، تبعا لاختلاف القبائل العذنانية والقحطانية ، التي لم تكن على درجة واحدة من الفصاحة ، وان كانت قريش أفصحها .

ولما جاء الاسلام تابعت اللغة العربية مسيرتها ، مرتقية في معارج التقدم والتطور . وأمدتها آيات التنزيل ، وجوامع كَلَم الحديث بما أغنى مفرداتها ، ووسع مادتها ، وهذب ألفاظها ، وأكسبها دقة في الاداء ، وقوة في المنطق .

ويوم خرج العرب الى الفتوح ، واختلطوا بالأعاجم ، واتسمت حضارتهم وعلومهم ، تبع ذلك انتشار اللغة واتساعها ، فأثرت في غيرها من لغات البلاد المفتوحة وتأثرت بها ، فسرى اليها كثير من الألفاظ الاعجمية التي اتخذت صفات شتى ، ما بين معربة ومولدة ومحدثة ، بل بدأ الفساد يدب الى سلائق العرب في مختلف الامصار ، وظهر اللحن على الألسنة ، في وقت مبكر ، وهذا ما حمل اللغويين والنحويين على سد هذه الثلمة ، وحفظ اللغة العربية من الشوائب . ومن ثم قامت حركة تدوين مفردات هذه اللغة منذ أواسط القرن الثاني للهجرة ، واتجهت جهود اللغويين والنحويين الى جمع الألفاظ التي نطق بها العرب الفصحاء ، والتقاط فرائدها من البوادي الفائية ، حيث رحلوا الى هناك بمدادهم وصحفهم ، يسمعون من الاعراب ويكتبون ، غير مبالين بانحر الشديد ، ولا بالمشقة المضيئة ، كما راح أعراب البادية يرحلون الى الحواضر لتؤخذ عنهم اللغة . وقد روي أن الكسائي أنقذ خمس عشرة قفينة من الحبر في الكتابة عن فصحاء الاعراب .

والى جانب هذا المصدر الأعرايى ، كان اللغويون - وفيهم رواة الشعر أيضاً - يعتمدون على مصدرين آخرين في استقاء مفردات اللغة العربية ، الأول : رواة الشعر الآخرون ممن حفظوا ما لم يحفظه غيرهم من قصائد الشعر العربي وشوارد أبياته التي يحتج بها من المصريين الجاهلي والاسلامي ، فقد جاء فيها كثير من الغريب الذي حداهم الى البحث عن معانيه وتدوينها . والمصدر الآخر هو القرآن الكريم ، ففيه مفردات كثيرة ومادة لغوية وافية اجتهد اللغويون والباحثون في تحديد معانيها ، وكانت حافزا لهم أيضاً على رحلات أخرى لتبين مدلولاتها ، كما كانت الفاظ القرآن سبباً في أن يجمعوا ما يتصل بكل لفظة ، وتبين اشتقاقها ، وما تفرع من مادتها .

تلك هي المصادر الأولى لجمع مفردات اللغة : القرآن ، والشعر الموثوق بصحته وعربية قائله ، ومشافهة الأعراب ، تلك المشافهة التي كانت أساساً بني عليه علماء اللغة طرق الاخذ والتحمل ، فيقولون مثلاً : أملى علينا فلان ، وأدنى من ذلك قولهم : سمعت من فلان . و « سمعت » أعلى من « حدثني » ، و « حدثني » أفضل من « أخبرني » . وكان دون ذلك كله الاخذ من الكتب والصحف حتى قيل : لا يؤخذ العلم عن صحفي . وقد أشار الى ذلك ابن سلام في مقدمة كتابه « طبقات فحول الشعراء » فقال وهو يتكلم على الشعر المسموع وروايته : « وقد تداوله قوم من كتاب الى كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء . وليس لأحد - اذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على ابطال شيء منه - أن يقبل من صحيفة ، ولا يروي عن صحفي » . والصحفي هو الذي يأخذ عن صحيفة ، لم يعرض على العلماء ، ولم يتلق علمه عن طريق الرواية . ومن هنا كان عرضة للزلل والغلط ، فلا يوثق بعلمه .

وسرعان ما استردت اللغة عافيتها ازاء موجات اللحن والعجمة بفضل رجال اللغة الذين دونوا مفرداتها ، وحفظوها من الضياع والاندثار ، بطرق متعددة ، لتنشط ، من بعد ، الى آفاق الحياة المتجددة في العصر العباسي ، وتفتح صدرها للعلوم المستحدثة ، والمصطلحات الفنية ، التي تطلبها الفلسفة والرياضيات ، والمنطق ، والفلك ، والطب ، والموسيقا ، وغير ذلك من العلوم . اضافة الى استيعابها لجميع الآداب والفنون ، فكانت يحرأ ضم في أحشائه درراً ولآلئاً ، وأثبتت أنها لغة حية قادرة على استيعاب العلوم والآداب معاً ، بلا قصور ولا تقصير .

وكان أن ظفر اللغويون بمواد غنية أيضاً من مفردات اللغة العربية واساليبها وكان ذلك منطلقاً لخطوات واثقة اقترنت بتقديم مؤلفات لغوية مختلفة ومتنوعة ، سار على هديها لغويون آخرون في تلك العصور نفسها وما تلاها من عصور أيضاً ، في جهود خيرة يتلو بعضها بعضاً ، فاغتنت المكتبة العربية بمؤلفات ثمينة ، يصعب حصرها أو الاحاطة بها . وكانت هناك أنماط

من التأليف اللغوي والمعجمي ، تطورت ميادينها واتسعت حيناً ، وضاقَتْ أو تحددت حيناً آخر ، هذا الى أن تلك المؤلفات جميعاً : منها ما يكون رسالة صغيرة أو كتيباً ، ومنها ما يكون مجلداً واحداً أو أكثر ، تبعاً للموضوع نفسه ، لا تبعاً لتأليف مرحلي ، لأن هذه الأنماط والأشكال من التأليف لم تنقطع الى يومنا هذا ، على تعددها وتنوعها •

وسوف نتحدث أولاً عن بعض الميادين اللغوية البارزة وما ألف فيها من كتب ورسائل ، ثم ننتقل الى الكلام على المعاجم اللغوية بأنواعها وطرائقها •

* * * *

الفصل الأول كتب اللغة

كتب النادر

تقوم هذه الكتب على جمع الألفاظ الغريبة والنادرة ومعرفة معناها ومواقع استعمالها من خلال النصوص الشعرية والنثرية ، من قصائد وخطب ورسائل وأقوال مأثورة ، وقد ألف عدد من اللغويين منذ أواسط القرن الثاني كتباً تحمل اسم « النادر » وذكرهم ابن النديم في كتاب الفهرست ، ومنهم : أبو عمرو بن العلاء (- ١٥٤ هـ) ، والكسائي (- ١٨٩ هـ) ، وأبو محمد اليزيدي (- ٢٠٢ هـ) ، وأبو عمرو الشيباني (- ٢٠٥ هـ) ، والفراء (- ٢٠٧ هـ) ، وأبو زيد الأنصاري (- ٢١٥ هـ) ومعاصره أبو مسحل الأعرابي ، والأصمعي (- ٢١٦ هـ) وابن السكيت (- ٢٤٤ هـ) وأبو علي القالي (- ٣٥٦ هـ) .

ونتحدث الآن عن كتاب واحد من كتب النادر .

كتاب النادر : لأبي زيد الأنصاري

أبو زيد الأنصاري : سعيد بن أوس ، لغوي بصري ، من أئمة الادب .
 غلبت عليه اللغة والنادر والغريب . وكان كالمفضل الضبي ثقة في روايته .
 عمّر طويلاً حتى قارب المئة . وتوفي سنة ٢١٥ هـ . وله مصنّفات لغوية وأدبية مفيدة .

وكتابه « النادر » هو - على اعتدال حجمه - ذو مادة لغوية غزيرة ، عرضها أبو زيد من خلال النصوص الشعرية والنثرية التي أوردتها في الكتاب ، وهذا الكتاب - في أصله - أمال عامة في اللغة وغريبها ، كان أبو زيد يملئها في مجالسه بالبصرة . ثم زاد عليه تلاميذه بعده ، كما أن فيه إضافات مروية عن علماء جاؤوا بعد عصر أبي زيد .

والكتاب لا يخضع لمنهج معين أو طريقة واضحة في عرض مواده ، ولكن الطريقة الغالبة عليه إيراد نصوص شعرية أو نثرية ، لا رابطة بينها ، ثم شرح ما في هذه النصوص من الفاظ وتراكيب غريبة ، وروايات مختلفة .

وهذا نص من الكتاب يوضح طريقته : (ص ٦٥)

« وقال العزريان بن سهلة :

مررت على دار امرئ السوء عنده ليوث كعبدان بعائط بنستان
ومررت (١) على دار امرئ الصدق حوله مرابط افراس وملعب فتيان
فقال مجيباً : والذي حج حاتم اخونك عهدا ، انني غير خوان

الميدان : النخل الطوال : والجبار : القصار . ويقال : ناقة ليثة . والذي
حج حاتم : أراد بيت (٢) الله الذي حج حاتم .

قال أبو الحسن (٣) : هكذا قال ، الجبار : النخل الصغار ، والذي
نحفظه أن الجبار : ما تجاوز في الطول ، ومنه قيل للرجل : جبار ، ومتجبر ،
أي متطاوّل .

طبع « كتاب النوادر » في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩٤ بتصحيح
وتعليق : سعيد الشرتوني ، ثم أعيد طبعه تصويراً في بيروت أيضاً ١٩٩٧
والحققت به زيادات عن نسخة خطية ، في بضع عشرة صفحة .

كتب الغريبين

الغريبان : غريب القرآن ، وغريب الحديث . وكتب الغريبين : هي
الكتب التي تعني بجمع الألفاظ التي تبدو غريبة على القارئ ، في القرآن
الكريم ، أو في الحديث النبوي . فهناك كتب في « غريب القرآن » وكتب في
« غريب الحديث » : وكتب أخرى تجمع بين غريب القرآن والحديث معاً ،
مثل : « كتاب الغريبين » ، للهروي (- ٤٠١ هـ) و « المجموع المفيد في غريب
القرآن والحديث » لمحمد بن أبي بكر عيسى المديني الأصفهاني (- ٥٨١ هـ) ،
و « مجمع البحرين » لفخر الدين الطريحي (- ١٠٨٥ هـ) . وربما ألف
اللغوي نفسه كتاباً في غريب الحديث ، وآخر في غريب القرآن . ومن ألف في
« غريب القرآن » : مؤرج السدوسي (- ١٩٥ هـ) ، وأبو عبيد القاسم بن

(١) فيه زيادة الواو على الوزن ، وهذا ما يسمى بالغزم .

(٢) كذا ، ولعله : « وبیت » بالجر على المقسم .

(٣) هو الاخفش الاصغر ، علي بن سليمان المتوفى ٣١٥ هـ ، أي بعد وفاة أبي زيد
الأنصاري - مؤلف الكتاب - بقرن كامل . ومن ذلك يعرف أن قوله هذا زيادة
على أصل الكتاب .

سلام (- ٢٢٤) ومحمد بن سلام الجمحي (- ٢٣٢) وابن قتيبة (- ٢٧٦)
وثعلب (- ٢٩١) ومحمد بن عزيز السجستاني (- ٣٣٠) والراغب
الأصفهاني (- ٥٠٢) وأبو حيان الأندلسي (- ٧٤٥) واستمر التأليف
في هذا الموضوع الى يومنا هذا .

وممن ألف في « غريب الحديث » : قطرب (- ٢٠٦ هـ) وأبو عبيدة معمر
ابن المثني (- ٢١٠) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام (- ٢٢٤) وابن قتيبة
(- ٢٧٦) والمبرد (- ٢٨٥) وإبراهيم بن اسحق الحربي (- ٢٨٥)
وقاسم بن ثابت السرقسطي (- ٣٠٢) والزمخشري (- ٥٣٨) ، ومجد
الدين بن الأثير (- ٦٠٦) الذي نخص كتابه بالتعريف :

النهاية : لمجد الدين بن الأثير

ابن الأثير : هو أبو السعادات ، مجد الدين ، المبارك بن محمد الجزري
الموصللي ، المعروف بابن الأثير . كان محدثاً لغوياً . ولد ونشأ في « جزيرة
ابن عمر » وانتقل الى الموصل فاتصل بصاحبها ، فكان من أخصائه . ثم أصابه
مرض لازمه الى أن توفي في إحدى قرى الموصل سنة ٦٠٦ هـ . وهو أخو
عز الدين بن الأثير المؤرخ ، صاحب كتاب « الكامل في التاريخ » وضياء الدين
ابن الأثير الكاتب ، صاحب كتاب « المثل السائر » .

وكتاب مجد الدين بن الأثير : « النهاية في غريب الحديث والأثر » هو من
أشهر الكتب المؤلفة في شرح غريب الحديث ، وقد سبقه الى ذلك جمع غفير من
العلماء ، ذكرنا أسماء بعضهم ، حتى انتهى اليه حصاد طيب في شرح غريب
الحديث ، أفاد منه وأربنى عليه في استقصاء رائع ، ودأب مشكور ، بحيث جاء
كتابته بحق « النهاية » في هذا الفن .

وقد رتب ابن الأثير مواد كتابه على الحروف الهجائية تبعاً للحرف الأول
من الاصل المجرد للكلمة ، وراعى ما يليه من الحروف . ف « التبتل » نجدها في
باب الباء مع التام : « بتل » ، و « البرحاء » نعثر عليها في باب الباء مع الراء
« برح » . . . فهو يذكر اللفظ الغريب في مادته اللغوية ، ويذكر الحديث
النبوي الذي ورد فيه ذلك اللفظ ، ويبين معناه . وقد يذكر له شواهد أخرى
من الحديث واللغة . ثم انه ضمنه فوائد علمية جليلة ، ولم يقف عند حدود
المادة اللغوية في شرح غريب الاحاديث النبوية وآثار الصحابة والتابعين .
وبذلك ظهرت في هذا الكتاب ثقافة ابن الأثير المتعددة الجوانب .

طبع كتاب « النهاية » غير مرة ، وآخر طبعاته طبعة علمية جيدة بتحقيق
طاهر الزاوي ، ومحمود الطنحاني ، بدار احياء الكتب العربية في القاهرة
١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م وتقع في خمسة مجلدات .

وممن اختصره قديماً : جلال الدين السيوطي ، وسمى كتابه . « الدر النثير » ، تلخيص نهاية ابن الأثير » . وقد طبع « الدر » بهامش النهاية في المطبعة العثمانية سنة ١٣١١ هـ وتقع هذه الطبعة للكتابين معا في أربعة أجزاء .

كتب الأضداد

في العربية كلمات تستعمل كل منها بمعنيين متضادين ، مثل (باع) ، يكون على المعنى المعروف عند الناس ، ويكون بمعنى ابتاع واشترى . ومثل (الضعف) ، فيكون ضعف الشيء مثله ، ويكون مثليه . وكذلك (الغريم) الذي له الدين والذي عليه الدين أيضا (الدائن ، والمدين) .

والمأمل في أحوال هذه الأضداد يرى أن منها ما هو لغات في قبائل مختلفة ، فكلمة « السدفة » في لغة تميم معناها : « الظلمة » ، وفي لغة قيس معناها : الضوء والنهار . ومنها ما أطلق على الضدين لمعنى مشترك ، مثل « الماتم » الذي يطلق على النساء المجتمعات في الحزن ، أو في الفرح ، وانما جاءت هذه الدلالة من أن الماتم يطلق على مجرد اجتماع النساء ، ومع مرور الزمن اقتصر استعمال الماتم على الاجتماع في الحزن . وربما كان الباعث على التضاد : التفاؤل والأمل المرجو ، كاطلاقهم لفظ « السليم » على السالم الصحيح الجسم وعلى الملدوغ الذي نهشته الحية ، تفاؤلاً بسلامته من تلك اللدغة .

ومن هنا اختلف اللغويون في الأضداد ، وتعددت آراؤهم في تحليل وجودها في العربية ، ما بين مثبت لها مطلقاً ، ومقيد لها بشروط ، ومنكر لها البتة . ولكن المتكرين - وفي مقدمتهم ابن درستويه (- ٣٤٧ هـ) - لم يأتوا بحجج كافية تؤيد انكارهم ، وهم - على كل حال - قلة بالقياس الى من أثبت الأضداد من العلماء : كالأصمعي (- ٢١٦ هـ) وابن السكيت (- ٢٤٤ هـ) والمبرد (- ٢٨٥ هـ) وأبي بكر الانباري (- ٣٢٨ هـ) وأبي الطيب اللغوي (- ٣٥١ هـ) وابن فارس (- ٣٩٥ هـ) وابن الدهان (- ٥٦٩ هـ) .

ومن أشهر الكتب المؤلفة في هذا الموضوع :

كتاب الأضداد : لأبي بكر الانباري

أبو بكر الانباري ، محمد بن القاسم ، نسبته الى « الأنبار » ، مدينة على الشبكات ، غربي بغداد . وقد ولد أبو بكر في بغداد ، ودرس على أبيه وغيره من العلماء ، حتى أصبح اماماً في اللغة والنحو والأدب والقراءات والتفسير .

وكان ثقة صدوقاً متحلياً بأخلاق العلماء . روى تلميذه الدارقطني (- ٣٨٥هـ) أنه صحف اسماً في مجلس علم ، فهاب الدارقطني أن يصارحه بذلك . فلما انقضى المجلس أخبر كاتبه . وحين حضر المجلس الثاني قال الأنباري لكاتبه : عرف الجماعة أننا صحفنا الاسم الفلاني ، وتبهننا ذلك الشاب على الصواب .

توفي أبو بكر سنة ٣٢٨ هـ . ومن مصنفاته : الأضداد ، وشرح القصائد السبع للطلوال الجاهليات . أما « شرح المفضليات » فهو لأبيه : القاسم بن محمد (- ٣٠٥ هـ) .

وكتابه « الأضداد » يعنى بجمع الألفاظ التي تقع على الشيء وضده في المعنى . ويستشهد على ذلك بآيات التنزيل ، والأحاديث النبوية ، وكلام العرب وأشعارهم . ولكن الأنباري لم يسلك في كتابه منهجاً معيناً ، بل ساق ألفاظ الأضداد بلا نظام ولا ترتيب . وهو يدافع في مقدمة الكتاب عن ظاهرة الأضداد في اللغة العربية ، ويعرض بأهل البدع والزيغ الذين يعميون اللغة لذلك . ويشير إلى أن وقوع الأضداد في كلام العرب جائز مقبول ، وأن فهم ذلك ممكن إذا وقع في الكلام ، وتعليل ذلك أن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ، ويرتبط أوله بآخره ، ويُعرف المعنى من السياق .

وهذا مثال من الكتاب يوضح طريقة مؤلفه في الكلام على الأضداد :

« ووراء : من الأضداد . يقال للرجل : وراءك ، أي خلفك ، ووراءك أي أمامك . قال الله عز وجل : « ومن وراءهم جهنم » فمعناه : من أمامهم . وقال تعالى : « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » فمعناه : وكان أمامهم . وقال الشاعر :

ليس على طول الحياة نَدَمٌ ومن وراء المرء ما يعلم
أي من أمامه . وقال الآخر :

أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفضلة ورائسي
أراد : قدامي . . .

واشتريت : حرف (أ) من الأضداد ، يقال : اشتريت الشيء على معنى قبضته وأعطيت ثمنه . وهو المعنى المعروف عند الناس . ويقال : اشتريته إذا بعته . قال الله عز وجل : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » . قال جماعة من المفسرين : معناه : باعوا الضلالة بالهدى

(١) الحرف ، هنا ، بمعنى الكلمة .

ويقال : شريت الشيء : إذا بعته ، وشريته : إذا ابتعته . » .

طبع كتاب الأضداد ، للأنباري ، مراراً في ليدن ، ومصر ، وغيرهما .
وأجود طبعاته تلك التي حققها محمد أبو الفضل إبراهيم ، وطبعت في الكويت
سنة ١٩٦٠ م . وهي مزودة بفهارس فنية مختلفة .

كتب التحد وتقوم اللسان

مر بنا في تمهيد هذا الفصل أن الفساد بدأ يسري الى سلائق العرب ولغتهم
التي يتكلمونها ، بعد اختلاطهم بالأعاجم ، وكان أن ظهر اللحن على الألسنة
في وقت مبكر ، منذ أوائل العصر الاسلامي ، حتى شعر الخلفاء الراشدون بخطر
ذلك على العربية ، فنقرأ في المصادر أن أبا بكر الصديق قال في معرض الحديث
عن فشو اللحن : « لأن أقرأ وأسقط أحب الي من أن أقرأ والحن » .

ومر عمر بن الخطاب يقوم يرمون النبال ويخطئون في رميهم ، فقال :
ما أسوأ رميكم . فقالوا : « نحن قوم متعلمين » . فقال عمر : والله لخطؤكم
في لسانكم أشد غلي من خطؤكم في رميكم .

ويروى أن رجلاً قدم الى زياد بن أبيه والي البصرة لمعهد معاوية ، فقال :
« أصلح الله الأمير ، توفي أبانا وترك بنون » فاستأى زياد من هذا اللحن ،
ودفعه استيائه هذا الى أن يكرر عبارة ذلك الرجل ، قائلاً : « توفي أبانا وترك
بنون !! » .

ولم يقتصر الامر ، مع الايام ، على الغلط النحوي ، بل تعداه الى اللحن
اللغوي ، في الالفاظ نفسها واستعمالاتها في الكلام ، ضبطاً وتركيباً :
فتارة يفتحون المكسور في أول الكلمة ، فيقولون : « صَنارة الصيد »
والصواب كسر الصاد .

وتارة يشددون المخفف ، فيقولون : « الدُمخان » و « قدوم » و « دم »
والصواب تخفيف الخاء ، في « الدُمخان » ، وتخفيف الدال في « قدوم » والميم
في « دم » .

وقد يعرفون الكلمة نفسها في أحرفها فيقولون : « انجاص » والصواب
« اجاص » .

وقد يجعلون الفعل اللازم متعدياً ، والمتعدي لازماً ، أو يمدون
الفعل بغير حرفه الخاص به ، فيقولون ، مثلاً : « أثر عليه » بدلاً من « أثر فيه »
... الخ .

وكلمتا تعاقبت الأيام ازداد الامر سوءاً ، واتسع شيوع اللحن على ألسنة المتعلمين ، عامتهم وخاصتهم ، وكان تصحيح اللحن في البدء يقتصر على مجالس العلماء والأدباء وما شاكلها ، بصورة شفوية ، ثم انتقل الامر الى تأليف الكتب في لحن العامة وتقويم الألسنة ، لتجنيب العربية الفصحى شر هذا الوباء المستشري . ويعد كتاب « ما تلحن فيه العوام » للكسائي (١٨٩ هـ) أقدم ما وصل إلينا من الكتب المؤلفة في هذا الموضوع . وتبعته في مثل هذه التسمية تقريباً كتب كثيرة . مثل « ما تلحن فيه العامة » لأبي عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٨ هـ) ، و « ما يلحن فيه العامة » لأبي نصر الباهلي (٢٣١ هـ) ومثله للمازني (٢٤٩ هـ) ولأبي حنيفة الدينوري (٢٨٠ هـ) .

ولم يقتصر شيوع اللحن على عامة المتعلمين وحدهم ، بل تعداهم الى الخاصة من المثقفين والعلماء والأدباء ، وهذا ما جعل بعض المصنفين يوجهون اهتمامهم الى هذه الطبقة من الناس ، فيعنون بتقديم الفصيح من الألفاظ . الى جانب تقويم الألسنة ، كما فعل ثعلب (٢٩١ هـ) في كتابه « الفصيح » وابن السكيت (٢٤٤ هـ) في كتاب « اصلاح المنطق » . أو يسلطون الأضواء على أوهام أولئك الخاصة ، كآبي هلال العسكري (٣٩٥ هـ) في كتاب « ما تلحن فيه الخاصة » ، والحريري صاحب المقامات (٥١٦ هـ) في كتابه « درة الغواص في أوهام الخواص » . ووجد فريق من اللغويين أن اللحن قد شمل كل الطبقات ، بلا تمييز بين طبقة وأخرى ، أو بين خاصة وعامة ، فجعلوا كتبهم تسير في هذا الاتجاه الشامل الذي يرمي الى تقويم الألسنة عامة ، كابن مكى الصقلي (٥٠١ هـ) صاحب كتاب « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » ، وابن هشام اللخمي (٥٧٧ هـ) في كتابه « المدخل الى تقويم اللسان » ، وابن الجوزي (٥٩٧ هـ) في كتابه « تقويم اللسان » . هذا الى عناوانات أخرى تختلف في صياغتها عن هذه وتلك ، وكلها تصب في بحر واحد . وبعض المصنفين لم يجعل كتابه كله في تصويب اللحن ، بل خصص قسماً منه لذلك ، كما فعل ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) الذي أفرد باباً خاصاً من أبواب كتابه « أدب الكاتب » فجعله بعنوان « كتاب تقويم اللسان » .

ولم ينقطع سيل التأليف في هذا الموضوع حتى العصور المتأخرة ، بل وحتى عصرنا هذا . ولعله فاق العصور السابقة جميعاً . وتعليل ذلك ظاهر . على أن الجدير بالذكر أن هذه الكتب كلها تتفاوت فيما بينها من حيث التطويل أو الاختصار ، وكثرة الشواهد أو قلتها ، ومن حيث المنهج والطريقة والترتيب . ثم ان هذه الكتب نفسها لم تسلم من النقد والرد ، ولم يُنظر الى مضامينها كلها على أنها من المسلمات التي لا تقبل الجدل ، ولا شك

أن هذه المحاولات جميعا كان لها أثرها ، على مر العصور ، في تصحيح الأغلاط اللغوية المتداولة ، ولكن الطريف في الأمر أن بعض الأغلاط لم تستطع الأيام محوه من الألسنة ، وأن بعضها الآخر مما أثبتته تلك الكتب - لا وجود له اليوم . ثم أنه كلما اضمحلت طائفة من الأغلاط الشائعة وتجنبها الناس ، حلت محلها طائفة أخرى جديدة جاء بها العصر المستجد والحضارة المتطورة ، فيحتاج الأمر الى تأليف كتب جديدة تصحح ما استجد من الأغلاط وتنسخ ما مات منها وتلاشي . وهلم جراً .

ونتكلم الآن على واحد من تلك الكتب القديمة ، طبقت شهرته الآفاق . وسار ذكره في المشرق والمغرب ، وهو :

درة الغواص : للحريري

الحريري : هو القاسم بن علي ، أبو محمد الحريري البصري ، صاحب « المقامات الحريرية » التي ترجمت الى اللاتينية ، منذ القرن الثامن عشر ، ثم الى كثير من اللغات الأوروبية الحديثة . كان الحريري أدبياً كبيراً ، غزير العلم ، غاية في الذكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة . ونسبته الى عمل الحرير أو بيعه . توفي بالبصرة سنة ٥١٦ هـ وقد بلغ السبعين من عمره . قال فيه ياقوت الحموي : « وله تصانيف تشهد بفضله ، وتقر بنبله . وكفاه شاهداً كتاب المقامات التي أبر بها على الأوائل ، وأعجز الأواخر » .

أما كتابه « درة الغواص في أوهم الغواص (١) » فهو أحد الكتب التي الفت في تقويم السنة الخاصة من المثقفين ، وبيان أغلاطهم فيما يستعملونه من الألفاظ والمعارف في غير معناه ، أو يضعونه في غير موضعه ، أو يلحنون فيه متأثرين بالعامية في ذلك . وهذا ما حفزه لتأليف كتابه . وقد ذكر في مقدمته غرضه هذا فقال : « .. فاني رأيت كثيراً ممن تسنموا أسنمة الرتب ، وتوسموا بسمه الأدب ، قد ضاهوا العامة في بعض ما يفرط من كلامهم ، وترعف به مراعى أقلامهم ، مما اذا عثر عليه ، وأثر عن المعزو اليه ، خفض قدر العملية ، ووصم ذا الحلية . فدعاني الانف لنباهة أخطارهم ، والكلف باطابة أخبارهم ، الى أن أدرا عنهم الشبه ، وأبين ما التبس عليهم واشتبه ، لا لتحقق بمن زكا أكل غرسه (٢) ، وأحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فالفته هذا الكتاب تبصرة لمن تبصر ، وتذكيرة لمن أراد أن يذكر » .

(١) انظر الكلام عليه مفصلاً في كتاب « لعن العامة والتطور اللغوي » للدكتور ر. ضار عبد التواب ٢١٠ - ٢١٧ .

(٢) زكا : نما وزاد . والأكل : بضمين : المأكول . والمراد : طابت ونمت آثاره فانتفع بها الناس .

والحريري يسرد مواد كتابه ، مادة اثر أخرى ، فيبين وجه الغلط ، ثم يذكر الاستعمال الصحيح فيه ، بلا ترتيب معين ، ولا منهج منسق ، مؤيداً كلامه بأقوال العلماء ، وبشواهد فصيحة من الشعر والنثر ، والآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية . ونراه يتشدد في عرض الأخطاء ، وذكر الصواب فيها ، بعبارات قاسية ، وتعقيبات تزري على الخاصة هفواتهم وسقطاتهم . فهو يمهّد للغلط بمثل قوله : « فمن أوهامهم الفاضحة وأغلاطهم الواضحة أنهم يقولون . . . » ، أو قوله : « ومن أوهامهم الزارية على أفهامهم ، العاكسة معنى كلامهم أنهم لا يفرقون بين معنى نعم وبلى . . . » كما يعقب على الوهم بقوله : « وهو خطأ بين ، وهم مستهجن » أو قوله : « وهو من أفصح الاوهام » .

والطابع اللغوي هو الغالب على مواد الكتاب ، من حيث أوهام التلطق والدلالة ، ولكن الحريري أضاف الى ذلك ظواهر من الاغلاط النحوية ، وأخرى من الاخطاء التي تقع في الكتابة ورسم الكلمات ، وهو ما نسميه اليوم بالاخطاء الاملائية ، كبعض أحوال الهمزة المتوسطة ، والألف المقصورة ، وحذف ألف « ابن » . وحرص الحريري أيضاً على أن يضمن كتابه فوائد لغوية ، ومسائل نحوية وصرفية ، وأخباراً أدبية التقطها من مصادر مختلفة . وقد ذكر ذلك في مقدمة كتابه فقال :

« وما أنا قد أودعته من النخب كل لباب ، ومن النكت ما لا يوجد منتظماً في كتاب . هذا الى ما لمعه به من النوادر اللائقة بمواضعها ، والحكايات الواقعة في مواقعها » .

وهذه أمثلة من « درة الغواص » توضح طريقته ومضمونه ، قال :

« ويقولون : (ما كان ذلك في حسابي) أي في ظني . ووجه الكلام أن يقال : ما كان ذلك في حساباني . لأن المصدر من حسبت — بمعنى ظننت — محسبة وحسبان ، بكسر الحاء . فأما الحساب فهو اسم للشيء المحسوب . . . »

ومن ذلك أنهم لا يفرقون بين الترجي والتمني . والفرق بينهما واضح . وهو أن التمني يقع على ما يجوز أن يكون ، ويجوز ألا يكون ، كقولهم : ليت الشباب يعود . والترجي يختص بما يجوز وقوعه . ولهذا لا يقال : لعل الشباب يعود . . . »

ومن ذلك توهمهم أن القينة المغنية خاصة . وهي — في كلام العرب — الأمة ، مغنية كانت أو غير مغنية . وعلى ذلك قول زهير :

ردّ القيّانُ جِمالَ الحي فاحتملوا إلى الظهيرة ، أمر بينهم ليك (١)

وقد أثار هذا الكتاب اهتمام القدماء ، فمنهم من شرحه كالخفاجي (١٠٦٩ هـ) ومنهم من رتبته كابن منظور (٧١١ هـ) ومنهم من رد عليه ونقده كابن الخشاب (٥٦٧ هـ) وطبع غير مرة ، في مصر ، وألمانيا ، والقسطنطينية ، وبغداد . وحققه أخيراً محمد أبو الفضل إبراهيم وطبع في مصر سنة ١٩٧٥ م .

كتب ورسائل لغوية مختلفة

والى جانب ما سبق ذكره من كتب النواذر ، والغريبين ، والأضداد ، وتقويم اللسان ، ظهرت كتب لغوية أخرى متنوعة ، ومعظمها رسائل صغيرة ، محدودة الموضوع ، بنيت على ظاهرة لغوية ، أو على معنى من المعاني . ولذا كانت أشبه بالمعاجم المتخصصة ، أو الكتب التي تختص بموضوع بعينه . وهي كثيرة جداً ، نكتفي هنا بالإشارة إلى بعضها ، بحسب موضوعاتها :

أ - كتب الحيوان : وهذه الكتب تعكس عناية العرب ، ولا سيما أهل البادية ، بالحيوانات من ابل وخیل وشاء ووحوش ، وكل ما يدب على الأرض من الزواحف والهومام . وعني مؤلفو هذه الكتب بأسماء الحيوان ، وأجناسه ، وأعضائه ، وصفاته ، ونتاجه . . . في نطاق لغوي صرف ، بعيد عن الميدان العلمي والتشريحي ، ويقتصر فيه على ما يتعلق بموضوع الحيوان من ألفاظ اللغة .

وقد ألف الأصمعي (٢١٦ هـ) عدداً من هذه الكتب ، مثل « الابل » و « الخيل » و « الشاء » و « خلق الفرس » و « الوحوش » . .

كما ألف أبو زيد الانصاري (٢١٥ هـ) كتاب « اللبأ واللبن » وهي رسالة صغيرة لا تتجاوز ثلاث صفحات ، ذكر فيها صفات كل من اللبأ ، واللبن ، وما يتصل بهما . واللبأ : أول اللبن في النتاج ، وأكثر ما يكون ثلاث حلبات ، وأقله حلبة .

ب - كتب النبات : وهي تتحدث عن أنواع النبات المعروفة عند العرب ، وأسمائها ، ومنابتها ، وعن الأشجار وصفاتها وأشكالها ، ومواطنها . . . وللأصمعي من ذلك « كتاب النبات والشجر » ، و « كتاب النخل والكرم »

(١) لك : مختلط . يقال : لبكت الطعام بالعسل وغيره ، اذا خلطته . ولبكت عليه الامر ، اذا خلطته عليه .

وللنضر بن شميل (- ٢٠٤ هـ) كتاب « الصفات » الذي حكّم فيه على الزرع ، والكرم ، والبقول ، والأشجار ، ٠٠ الخ ، ولأبي عبيدة ، معمر بن المنثري (- ٢١٠ هـ) كتاب « الزرع » ٠ ولأبي زيد الأنصاري (- ٢١٥ هـ) كتاب « النبات والشجر » ٠

وذكروا أن لأبي حنيفة الدينوري (- ٢٨٢ هـ) كتاباً ضخماً في « النبات » لم يؤلف في معناه مثله ، ولكن لم يصل إلينا من هذا الكتاب سوى جزء يسير ، وفقد معظمه ٠

وكتب النبات هذه ، مبنية أيضاً على جمع المادة اللغوية لهذا الموضوع ٠ ولهذه الكتب فوائد أخرى لا تقل خطراً عن الفائدة اللغوية التي طلبها علماء العربية ، فدراستها اليوم تعين على معرفة التوزيع الجغرافي لأنواع النبات وفصائله بحسب المناخ السائد ، وما يتبع ذلك من معرفة أنواع النشاط البشري الممكن وجوده في تلك الظروف ٠ وكثيراً ما يعين نوع النبات على تحديد كثير من الأقاليم والمواضع المتشابهة الأسماء ٠ فقد قيل مثلاً : « فرق ما بين الحجاز ونجد أنه ليس بالحجاز غضا ٠ فما أنبت الغضا فهو نجد ، وما أنبت الطلح والسمر والاسل - وواحدة أسلة - فهو حجاز » ٠

ج - مثلثات الكلام : في اللغة العربية الفاظ وردت كل منها على ثلاث حركات في الحرف الأول منها ، بمعان مختلفة ، مثل :

- الفَمر : (الماء الكثير) ، والغَمر : (الحقد) ، والغُمر : (الجاهل) ٠
- السَّلام (للتحية) ، والسَّلام (للأحبار المدورة) ، والسَّلام (لعروق ظهر الكف) ٠
- الكلام (مخاطبات الناس) ، والكلام (الجراح ، ج كلم) ، والكلام (الأرض الوعرة) (١) ٠

وقد لفتت هذه الألفاظ أنظار اللغويين منذ أواخر القرن الثاني للهجرة ، وكان قطرب (٢) النحوي أول من جمع المثلث في اللغة ٠ وكتابه - وإن كان

(١) في العربية أيضاً كلمات مثلثة الأوائل ، ولكن معانيها لا تتغير ، مثل « الرغم » بتثنية الرائ ، والمعنى هو نفسه ٠ وقد ألف الفيروزآبادي كتاباً في هذا النوع المتفق المعاني ٠ وله كتاب آخر في المثلث المختلف المعاني

(٢) هو أبو علي ، محمد بن المستنير النحوي ، اشتهر بين النحاة البصريين ، وعند في جملة أئمتهم ٠ كان تلميذاً لسيبويه ، وكان يتردد إليه ليأخذ عنه العلوم اللغوية ٠ وهو الذي لقبه بقطرب ٠ والقطرب : دويبة حريصة على العمل ، لا تزال تدب ولا تفتر ٠ توفي سنة ٢٠٦ هـ ٠ وله عدة تصانيف لغوية ٠

صغيراً - له فضيلة السبق . وهو أرجوزة مجزوعة ، متنوعة الرويات على نسق خاص ، وتضم تسعاً وعشرين كلمة من المثلثات ، لكل كلمة بيتان ، وقدّم لها بيتين في الغزل ، وختمها ببيتين آخرين ، فيكون مجموع أبيات هذه الأرجوزة ٦٢ بيتاً . وقد ذكر قطرب مفتوح الحرف أولاً ، وبعده المكسور . فالمضموم . وتجري أرجوزته في أولها على هذا النحو :

يا مولعاً بالغضبِ	والهجرِ والتعصبِ
في جده والتعصبِ	حيثُك قد برّح بي

. . .

ان دمومي قمر'	وليس عنلي غمر'
يا ايها الغمر'	اقصر عن التعصبِ

. . .

يبدأ وحيثاً بالسلام	رمي عنولي بالسلام
اشار نحوي بالسلام	وكفّسه المختضبِ

وختمها بقوله :

لما رايت هجره'	وذئله ومطله'
نظمت في وصفه له	مثلاً في قطربِ

وقد شرح « مثلثات قطرب » عدد من العلماء الذين جاؤوا بعده . وطبعت أولاً في ألمانيا سنة ١٨٥٧ مذيلة بشروح لاتينية . ثم نشرها أوغست هفنر ولويس شيخو في مجموعة « البلغة في شذور اللغة » التي طبعت أول مرة في بيروت سنة ١٩١٤ م . وأخيراً طبعت مثلثات قطرب في تونس ١٩٧٨ في كتاب مستقل ، مع بعض الشروح (١) .

وبعد قطرب ، صنف بعض العلماء على مثال مثلثاته ، وأضافوا إلى ما ذكره قطرب عدداً آخر من المثلثات ، فاثروا هذا الموضوع وأغنوه بمزيد من تلك الألفاظ المثلثة . وآخر هؤلاء العلماء اثنان ، هما : حسن قويدر الخليلي (- ١٢٦٢ هـ) مؤلف « نيل الأرب في مثلثات العرب » المطبوع بمصر

(١) حقق طبعة تونس د. رضا السويسي . وهو يذكر أنه عثر على نسخة مخطوطة من « مثلثات قطرب » انفردت عن سائر النسخ الأخرى في أن مثلثات قطرب نفسها جاءت في تلك النسخة منثورة ، ثم نظمها أرجوزة رجل يدعى أبا بكر الوراق البهتسي ، وجعلها على حروف المعجم .

١٣١٥ هـ = ١٩٠٢ م ، وعبد الهادي نجا الأبياري (- ١٣٠٥ هـ) صاحب كتاب « نفحة الاكمام في مثلثات الكلام » الذي طبع بمصر سنة ١٢٧٦ هـ .

د - كتب « فَعَلَ » و « أَفْعَلَ » أو « فَعَلْتُ » و « أَفْعَلْتُ » :

تعنى هذه الكتب والرسائل بتصنيف الأفعال الثلاثية المجردة التي وزنها « فَعَلَ » والتي قد تزداد الهمزة في أولها فيصبح وزنها « أَفْعَلَ » وعندئذ أما أن يختلف معناها ، وأما أن يبقى كما هو - فمما يختلف فيه المعنى ، قولهم : شرقت الشمس : إذا طلعت . وأشرقت : إذا أضاءت. وصفت .

وعيينت بالامر : إذا لم تعرف وجهه ، ولم تهتد لجهة الخلاص منه . ومشيت حتى أعيينت : أي تعبت .

ومما يبقى معناه على ما هو عليه قولهم :

بشرت فلانا وأبشرته : إذا أخبرته بما يسره ، فحسنت بشرة وجهه .
وبلّ من مرضه ، وأبلّ : إذا برأ وشفي .

وقد تناول علماء اللغة هذا الموضوع بالتأليف ، في كتب خاصة به ، ومنهم : قطرب (- ٢٠٦ هـ) ، والفراء (- ٢٠٧) وأبو زيد الأنصاري (- ٢١٥) وابن دريد (- ٣٢١) وأبو علي القالي (- ٣٥٦) ، والجواليقي (- ٥٤٠) وعنوان كتابه « ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد » وهو مؤلف على حروف المعجم (١) .

وبعضهم جعلوا الكلام على (فعلت) و (أفعلت) في فصول خاصة ضمن أبحاث كتبهم ، كسيبويه (- ١٦١ هـ) ، وابن السكيت (- ٢٤٤) في « إصلاح المنطق » و ثعلب (- ٢٩١) في كتابه « الفصيح » وابن سيده الأندلسي (- ٤٥٨) في « المختص » . . .



(١) طبع كتاب الجواليقي هذا ، في دمشق ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م بتحقيق ماجد الذهبي . وكتب الناشر على صفحة الغلاف هذه العبارة : « جميع ما ذكره تقريبا خمس مائة وعشرة » . وهذه المواد موزعة على حروف المعجم بحسب الحرف الاول ، وتبدأ بباب الباء ، فالتاء ، فالثاء . . الخ . ولكن الجواليقي لا يراعي الحرف الثاني في مواد الباب الواحد .

تلك أشهر الجوانب التي ألفت فيها كتب ورسائل لغوية ، والتي شملت النواذر في اللغة ، والغريبيين ، والأضداد ، ولحن العامة والخاصة ، إلى جانب ميادين أخرى في الحيوان ، والنبات ، ومثلثات الكلام ، و « فعلت وأفعلت » .

ولم يقتصر التأليف اللغوي على أولئك فحسب ، بل انه ليصعب حصر هذه الأنماط من كتب اللغة ومصادرها ، والاحاطة بها ، فهناك - على سبيل المثال - كتب ورسائل في خلق الانسان ، وفي المطر ، والدارات ، وفي القلب والابدال ، والمذكر والمؤنث ، والمقصود والممدود ، والمثنى ، والألغاز اللغوية وغير ذلك مما لا ينتظمه موضوع معين .

وهذا كله يدل على مبلغ الجهود التي بذلها اللغويون في جمع مفردات اللغة العربية وتصنيفها وترتيبها ، تلك الجهود التي لم تقف عند زمن بغيته وانما بقيت مستمرة الى زمننا هذا .

ولم يجبس اللغويون جهودهم تلك على الكتب اللغوية وحدها ، وانما انصرفوا أيضاً الى تأليف المعاجم المختلفة التي تحفظ الفاظ العربية وتيسر للناس معرفة معانيها واستعمالاتها ، في طرائق متعددة ، وأساليب مبتكرة . وهذا ما نتناوله في الصفحات القادمة .



الفصل الثاني المعاجم اللغوية

تفيد مادة « عجم » في اللغة معنى الإيهام وعدم الإبانة ، والاسم : المعجمة . والرجل الأعجم : هو الذي لا يفصح ولا يبين كلامه . ففي لسانه عجمة . والمؤنث : عجماء . ويقال أيضا : رجل أعجمي ، بمعنى الأعجم . قال ابن فارس : « وقولهم : المعجم ، الذين ليسوا من العرب ، فهذا من هذا القياس ، كما أنهم لما لم يفهموا عنهم سموهم عجماء . ويقال لهم عجم أيضا .

قال [ذو الرمة] :

ديار مية ، اذ مي تساعفنا ولا يرى مثلها عجم ولا هرب

والفعل من ذلك : « عَجِمَ الرجل » اذا صار أعجم ، أو كان في لسانه لكنة . فاذا أدخلنا الهمزة على الفعل الثلاثي وقلنا : « أعجم الكلمة » اكتسب معنى جديدا وهو الازالة والسلب ، كما تقول في « شكا » : أشكيت فلانا ، أي أزلت له شكايته . وفي « قذى » ، : أقذيت عينه ، اذا أزلت ما فيها من قذى . وكذلك فعل « قسط » معناه : ظلم . فاذا قلنا : « أقسط » صار معناه : عدل ، أي أزال الظلم . وعلى هذا يكون معنى « أعجم » أزال المعجمة والابهام . ومن هنا استعمل لفظ « الاعجام » بمعنى نقط الحروف وشكلها ، لأن ذلك يزيل عنها ما يكتنفها من احتمالات ممكنة ، مثل : ب ، ت ، ث ، ج ، ذ ، ز ، غ ،

ومن هنا أيضا جاء اسم « المعجم » بمعنى الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما ، ويشرحها ويوضح معناها ، ويرتبها ترتيباً معيناً . وكلمة « معجم » هنا اسم مفعول بمعنى : مُزال ما فيه من ابهام وعدم وضوح .

واطلقوا على الحروف الهجائية اسم « حروف المعجم » اما لأنها مقطعة غير مؤلفة تأليف الكلام المفهوم ، فهي أعجمية ، لأنها لا تدل في تفرقها على شيء ، واما على تقدير « حروف الخط المعجم » وهو الخط العربي ، لأنه ليس هناك خط آخر من الخطوط يعجم ذلك الاعجام ليدل على المعاني الكثيرة . وقال صاحب « متن اللغة » : « حروف المعجم : حروف الهجاء ، التي يختص أكثرها بالنقط من بين حروف سائر المعجم » .

وكونه مرجعاً لكل باحث ، انتقل اسم « القاموس » ليصبح مرادفاً لكلمة « المعجم » عامة حتى عصرنا هذا ، سواء أكان المعجم باللغة العربية أم بلغة أجنبية ، أم مزدوج اللغة . وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة هذا الاستخدام ، وذكره ضمن معاني كلمة « قاموس » في معجمه المسمى بالمعجم الوسيط ، وجعل إطلاق لفظ « القاموس » على أي معجم ، من قبيل المجاز أو التوسع في الاستخدام . وقد جاء في ذلك المعجم في مادة « قمس » ما يلي :

« القاموس : البحر العظيم . وعلم على معجم الفيروزابادي . وكل معجم لغوي ، على التوسع » .

وفي عصرنا الحديث اتسع مفهوم « المعجم » ليشمل موضوعات مختلفة رتب موادها ومفرداتها ترتيباً معجمياً على حروف الهجاء ، مثل : معجم الاخطاء الشائعة ، والمعجم الأدبي ، ومعجم الأساطير اليونانية ، ومعجم الحيوان ، ومعجم علم الاجتماع ، ومعجم علم الاخلاق ، والمعجم الفلسفي ، ومعجم قبائل العرب . الخ .



هذا ، ولا تعرف أمة من الأمم ، في تاريخها القديم والحديث ، قد افتتحت في أشكال معاجمها ، وفي طرق تبويبها وترتيبها كما فعل العرب . وقد تعددت طرق وضع المعجم العربي حتى كادت تستنفد كل الاحتمالات الممكنة (١) لأنها لم تسر جميعاً على نظام واحد في ترتيب ألفاظ اللغة وموادها ، وإن المتبع لها يرى أنها ذات نظم متعددة ، تتفق حيناً ، وتختلف حيناً آخر . ولكن هذه المعاجم جميعاً تقوم على ملاحظة جانبي الكلمة ، وهما اللفظ والمعنى ، والمقصود بذلك أنهم رتبوا معاجمهم ، بصورة عامة ، أما على اللفظ وأما على المعنى . وعلى هذا التصنيف كان لدى اللغويين العرب نوعان رئيسيان من المعاجم ، وهما : **معاجم المعاني** ، **ومعاجم الألفاظ** . وهذه المعاجم ، بنوعها ، لا غنى عنها ، أو عن بعضها ، لكل متقف أو باحث ، إذ يحتاج إليها المبتدئ الناشئ ، والأديب الشادي ، والعالم المتخصص ، على السواء ، كل بحسب حاجته وثقافته . فلا ينبغي أن يخلو من بعضها مكتبة خاصة ، أو بيت فيه أفراد يدرسون ويبحثون ، فضلاً عن المكتبات العامة وما إليها .

(١) البحث اللغوي عند العرب ، لأحمد مختار عمر ١٢٠ .

معاجم لمعاني

هذا النوع من المعاجم يفيد المترجمين ، والكتاب ، والشعراء ، والمنشئين .
لأنه يمددهم بالألفاظ المناسبة لمعنى من المعاني يجول في خواطرهم ، ولكنهم
يقفون حائرين لا يدرون كيف يعبرون عنه بدقة ، ولا يجدون لديهم ما يقابله
من الألفاظ .

فمعاجم المعاني ترمي اذن الى بيان المفردات الموضوعية لمختلف المعاني ،
وترتب هذه المعاني ترتيبا خاصا ، وتحت كل معنى منها تندرج الألفاظ التي
تستعمل للتعبير عن هذا المعنى .

فمن المعاني العامة ، مثلا :

— (أسنان الناس والدواب) : ويشمل هذا المعنى الكلي معاني جزئية
مثل : ترتيب سن الفلام ، والشيخوخة والكبر ، وترتيب سن المرأة ، وترتيب
سن الطيبي وغيره من الحيوان . . .

— (الأمراض والأدواء) : وينطوي على : ترتيب أحوال العليل ،
وأسماء الأدوية وأوصافها ، والأدواء التي تعتري الانسان من كثرة الأكل ،
والأورام والخراجات والبيثور والقروح ، والحميات ، وتفصيل أحوال
الموت . . . الخ .

— (الأطعمة والأشربة وما يناسبها) : ويتفرع عنه : تقسيم أطعمة
الدعوات وغيرها ، وأحوال اللحم المشوي ، والطعوم كالحلاوة والمرارة
والحموضة والملوحة ، وتفصيل أسماء الخمر وصفاتها ، وترتيب السكر . . .
السنخ .

فمعجم المعاني لا يقوم — كما ترى — على الألفاظ وأبوابها الهجائية ،
وإنما يسعى الى تصنيف مفردات اللغة في مجموعات أو زمر أو أبواب عامة
كلية ، على حسب معانيها المتشابهة ومدلولاتها المتقاربة .

ولا يعرف منزلة هذه المعاجم حق المعرفة الا الذين يشاربون على البحث
والكتابة ، أو نظم الشعر والخطابة ، لأنهم يجدون أنفسهم في أمس الحاجة
الى تلك المعاجم لتأخذ بأيديهم الى ألفاظ شاردة أبدا ، استوعبوا معانيها ولكن
الألفاظ نفسها لا تنقاد اليهم .

ومثلهم أولئك الذين يترجمون النصوص الأجنبية الى اللغة العربية ، فكم وقفت في وجوههم ألفاظ أجنبية ، ألفوا معانيها ، أو أدركوها ، ولكنهم يفتقرون الى ما يقابلها في اللغة العربية ، فاذا بمعاجم المعاني تحقق لهم أمنياتهم ، وتلبي حاجاتهم ، وتضع أيديهم على ما ينشدون ، وتأتيهم بشروة لغوية يتناولون منها ما يشتهون .

وتأليف معاجم المعاني عند العرب قديم العهد ، يعود الى القرن الثاني للهجرة ، وقد تمثلت بداياته في رسائل صغيرة يتناول كل منها موضوعا واحداً أو أكثر ، مثل : الحيوان ، والنبات ، والمطر ، وخلق الانسان ، ٠٠ ونذكر منها : كتاب السلاح ، للنضر بن شميل (٢٠٤ هـ) ، والزرع : لأبي عبيدة (٢٠٩ هـ) والشجر : لأبي زيد الأنصاري (٢١٥ هـ) والابل ، والنحل ، والغيل : وثلاثتها للأصمعي (٢١٦ هـ) والسرّج واللجام : لابن دريد (٣٢١ هـ) . ثم اتسعت معاجم المعاني القديمة وكثر التأليف فيها ، وإن لم يتوقف اللغويون عن تأليف الرسائل الصغيرة في ذلك . وأشهر تلك المعاجم :

١ - **الألفاظ : لابن السكيت (٢٤٤ هـ)** - ويضم حوالي ١٥٠ باباً في المعاني العامة ، وذكرت في كل باب منها الألفاظ التي تستعمل في التعبير عن أحوال هذا المعنى ودرجاته . وقد تواردت الأبواب تباعاً بلا ترتيب معين ولا تنسيق منظم . والمؤلف يكثر في كتابه من الاستشهاد بأمثلة من القرآن والحديث والشعر ، كما يورد أسماء الرواة واللغويين الذين ينقل عنهم .

٢ - **الألفاظ الكتابية : لعبد الرحمن الهمداني (٣٢٠ هـ)** - وهو كتاب صغير الحجم ، قاربت أبوابه ٣٠٠ باب ، بحسب المعاني والموضوعات العامة . وقد عني المؤلف بالتراكيب والعبارات المترادفة ، وقلما يوجه عنايته الى جمع الألفاظ المفردة .

٣ - **جواهر الألفاظ : لقدامة بن جعفر (- بعد ٣٢٠ هـ)** - وهو يشبه كتاب « الألفاظ الكتابية » في موضوعه وطريقته . ولكنه يعنى بإيراد العبارات المترادفة مسجوعة منمقة متوازنة .

٤ - **متغير الألفاظ : لابن فارس اللغوي (٣٩٥ هـ)** - وقد جعله في ١١٤ باباً ، تخير في كل منها ما حسن من الألفاظ ، وما ساء من التراكيب ، وما ابتكره الشعراء في تشبيهاتهم ومجازاتهم .

٥ - **التلخيص في معرفة الأشياء : لأبي هلال العسكري (٣٩٥ هـ)** - ويضم ٤٠ باباً ، وكل باب يتناول في محتواه معنى عاماً واسعاً ، وينقسم الباب في الوقت نفسه الى فصول صغيرة في فروع ذلك المعنى العام . والمؤلف يشرح ما يورده من الألفاظ ضمن كل باب ، ويبين ما بينها من فروق ، أو ترادف ، أو تفاوت .

٦ - مبادئ اللغة : للخطيب الاسكافي (- ٤٢١ هـ) وهو مقسم الى أبواب مختلفة ، منها : ذكر السماء والكواكب ، الرياح ، المياه وأوصافها وذكر أماكنها ، البسط والفرش ونحوهما ، الأواني ، النار وأدواتها ، الألبان ، الخبز وآلاته . الخ .

٧ - سحر البلاغة وسر البراعة : للثعالبي (- ٤٢٩ هـ) . طبع بدمشق سنة ١٣٥٠ هـ ، وهو يشبه « جواهر الألفاظ » في عنايته بالتنميق والسجع والترادف بين الجمل .

وقد اخترنا اثنين من معاجم المعاني القديمة ، لتحدث عنهما مفصلاً ، وهما : « فقه اللغة » للثعالبي ، و « المخصص » لابن سيده .

فقه اللغة : للثعالبي

الثعالبي : أبو منصور ، عبد الملك بن محمد ، من أئمة اللغة والأدب ، من أهل نيسابور . كان فراءً يخطط جلود الثعالب ، فنسب الى صناعته . واشتغل بالأدب والتاريخ واللغة حتى علا نجمه ، فكان من أعلام التأليف في هذه الميادين ولقب بجاحظ نيسابور . توفي سنة ٤٢٩ هـ وهو في التاسعة والسبعين من عمره . ومن كتبه : فقه اللغة ، وقيمة الدهر ، وسحر البلاغة ، وثمار القلوب .

وكتابه : « فقه اللغة وسر العربية » يعد حلقة مهمة من معاجم المعاني التي تعنى بأسرار اللغة العربية ولطائفها وخصائصها . وقد جعله الثعالبي قسمين ، كما يوحى عنوانه كاملاً :

١ - القسم الأول : في (فقه اللغة) . ويمادل ثلاثة أرباع الكتاب ، وهو موزع على ثلاثين باباً من الأبواب العامة الشاملة ، وكل باب ينقسم الى جملة من الفصول ، تقل أو تكثر ، ويضم كل فصل منها فرعاً جزئياً من المعنى العام الذي عُقد عليه الباب الأصلي ، كما رأيت في المقدمة التي مهدنا بها للحديث عن معاجم المعاني عامة ، وذكرنا فيها الأبواب التالية : (أستان الناس والدواوين ، الأمراض والأدواء ، الأطعمة والأشربة وما يناسبها) . وقد بلغ عدد الفصول في هذا القسم من الكتاب نحو ٦٠٠ فصل .

ولن أمثلة أبوابه أيضاً :

– (باب في ذكر أحوال وأفعال للانسان وغيره من الحيوان) : وهو يتضمن عدة فصول ، منها : ترتيب النوم ، ترتيب الجوع ، ترتيب العطش ، ترتيب السرور ، ترتيب أحوال الغضب . . . الخ .

– (باب في الأصوات وحكاياتها) : وفيه من الفصول : تفصيل أصوات النائم ، أصوات الطيور ، أصوات الحشرات ، حكاية أصوات المكروبين والمكدودين والمرضى . . . الخ .

والشعالي يعنى في كل فصل ببيان الفروق الدقيقة بين معاني الألفاظ التي يوردها ، ويهتم بتحديد دلالاتها وأوجه استعمالها ، ومن أمثلة ذلك قوله في « فصل ترتيب الجوع » من باب أحوال الانسان وأفعاله :

« أول مراتب الحاجة الى الطعام : الجوع ، ثم السغب ، ثم الفرث ، ثم الطوى ، ثم المخصصة ، ثم الضرم ، ثم السمار » .
وفي الباب الذي عقده لأسنان الناس والدواب ، يقول في « فصل ترتيب سن الغلام » :

« يقال للصبي اذا وُلد : رضيع وطفل ، ثم فطيم ، ثم دارج ، ثم حفر ، ثم يافع ، ثم شرخ ، ثم مطبَّخ ، ثم كوكب » .

٢ – القسم الثاني : في (سر العربية) . وقد تناول فيه الشعالي بعض الأساليب والتراكيب في اللغة العربية ، وطريقة العرب في التعبير ، مستشهداً على ذلك بالآيات القرآنية والأشعار الفصيحة ومأثور كلام العرب . وهذا القسم موزع على فصول تبلغ المئة تقريباً ، مثل : تقديم المؤخر وتأخير المقدم ، وإجراء ما لا يعقل ولا يفهم من الحيوان مجرى بني آدم ، وإقامة الواحد مقام الجمع ، وما يذكر ويؤنث ، والاستعارة ، والالتفات ، والنحت الخ .

ومن أمثلة هذا القسم قول الشعالي في فصل (الاتباع) :

« هو من سنن العرب ، وذلك أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها ورويها اشباعاً وتوكيداً ، كقولهم : جائع نائع ، وساغب لاغب ، وعطشان نطشان . . »
وقوله في فصل (الجمع الذي لا واحد له من لفظه) : « النساء ، والنعم ، والفنم ، والخيل ، والابل ، والعالم ، والرهط ، والنفر ، والمعشر ، والجند ، والجيش ، والمساويء ، والمحاسن ، والمسام . . . »

هذا ، وقد حظي كتاب « فقه اللغة » بشهرة واسعة على مدى السنين ، لما يمتاز به من تنسيق دقيق ، وتبويب حسن ، ومنهج قويم ، وعناية خاصة بتحديد دلالة كل لفظة ومعناها الخاص بها ، وتوضيح ما بين المعاني من فروق دقيقة ، يضاف الى ذلك اهتمام التعالبي بتقصي أساليب العرب وأنماط تعبيرهم ، وجعل هذه الأساليب والأنماط في مجموعات متجانسة ، وزمر متوائمة (١) .

المختص : لابن سيده

ابن سيده الأندلسي : أبو الحسن ، علي بن اسماعيل . ولد في « مربية » شرقي الأندلس ، ثم انتقل الى « دانية » على البحر ، وفيها توفي سنة ٤٥٨ هـ . وهو من علماء اللغة والنحو والشعر ، المشهورين بسعة الحفظ وجودته . وكان ضريراً كآبيه ، ولكنه بصير العقل ، حاد الذكاء . وهو معاصر لأبي العلاء المعري . قيل : « كان بالمشرق لغوي ، وبالمغرب لغوي ، في عصر واحد ، لم يكن لهما ثالث ، وهما ضريان » فالشرقي أبو العلاء ، والمغربي ابن سيده بالأندلس .

اشتهر ابن سيده بمعجميه : المختص ، والمحكم . وقد أملاهما من حفظه .

وكتابه « المختص » : هو أوسع معاجم المعاني مطلقاً وأغزرها مادة ، وأجدر الكتب في موضوعه بأن يحمل اسم معجم كامل للمعاني ، لما اتسم به من تقص لألفاظ العربية ، واستيعاب لمعظمها ، وقد شرع ابن سيده في تأليفه - وهو في « دانية » - وكان يومئذ في الثامنة والثلاثين من عمره ، بتشجيع من أميرها الموفق (- ٤٣٦ هـ) .

واعتمد في تأليفه على ما وعاه صدره من عيون المصادر اللغوية التي ذكرها في مقدمة كتابه وقاربت العشرين كتاباً ، من عيون الكتب ، مما ألفه الفراء ، وابن السكيت ، والمبرد ، والقاللي وغيرهم . . . ومهد له ببحث يتناول نشأة اللغة العربية ، واختلاف علماء اللغة في هذه النشأة فقال : « وقد اختلفوا في اللغة : أمواطاً عليها أم ملهم إليها . وهذا موضع يحتاج الى فضل تأمل . غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح ، لا وحي ولا توقيف » (٢) .

(١) طبع كتاب فقه اللغة مراراً . وأجود طبعاته تلك التي صدرت في مصر وحققها : مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي .
أما طبعة بيروت - التي نشرها لويس شيخو وصورت أخيراً - فهي مختصرة ، كما حذف منها القسم الثاني : « سر العربية » واستبدلت به مختارات من كتب لغوية أخرى .

(١) المختص ٣/١ .

ثم قسم ابن سيده كتابه الى مجموعة أبواب كبيرة ، سمى كلا منها « كتاباً » ، وكل كتاب يحمل موضوعاً واسماً ذا طابع عام ، على النحو التالي : (خلق الانسان ، الغرائز ، النساء ، اللباس ، الطعام ، السلاح ، الخيل ، الأبل ، الفنم ، الوحوش ، السباع ، الحشرات ، الطير ، الأنواء ، السماء والفلك ، البحر والرياح والهواء ، النخيل والنبات والمعادن) - وكل كتاب من هذه الكتب يتفرع الى عدد من العناوين الجزئية التي يطلق عليها أحياناً اسم « أبواب » .

ويمتاز هذا التبويب على ما حوته معاجم المعاني السابقة بأن أجزاءه وعناوين كتبه ، وما يتفرع عنها من عناوين وأبواب جزئية ، تتوالى على نسق يراعي الترابط والتدرج في الموضوعات : من الانسان وما يتعلق به أو يحتاج اليه ، الى الحيوان وأنواعه ، ثم الى السماء والأفلاك والأنواء ، فالأهوية والرياح ، فالنباتات والمعادن وما اليها من جمادات . وقد نلمح في هذا الكتاب بعض الخلل في تتابع أبوابه وفصوله ، من أن الى آخر ، ولكنه يظل - من حيث هيكله العام وخطوطه العريضة - متمسكاً بحسن التبويب ، واحكام المنهج بالقياس الى غيره ، ويشعر قارئه بنظام عام فُرض على الكتاب ، وجعله وحدة متكاملة في قواعده الاساسية ، ضمن سمط ينظم حياته ، وهدف يوجه كتبه وأبوابه .

ولهذا الكتاب خصائص أخرى - الى جانب ما سبق - نلخصها فيما يلي :

١ - التقصي والتتبع والتحري ، والحرص على نسبة كل قول الى صاحبه ، مراعاة للأمانة العلمية . ومن هنا كان دأب ابن سيده على ذكر مصادره ممثلة بأسماء مؤلفيها ، في كل فقرة .

٢ - غناه بالألفاظ الصالحة للتعبير عن شؤون الحضارة ، ومعاني التمدن ، وما تتطلبه الحياة العلمية من مصطلحات ومفردات في مختلف الفنون والعلوم .

٣ - محاولة تحديد معنى كل لفظة وتخصيصها بمعناها . وربما كانت هذه الرغبة هي التي دفعت المؤلف الى تسمية كتابه بـ « المخصص » . ومن ثم جاز كسر الصناد المشددة ، على أنه اسم فاعل ، وان كان المشهور فتحها .

٤ - كثرة الشواهد الشعرية التي تساعد على تثبيت معاني الكلمات في ذهن القارئ ، وتدل على كيفية استخدامها في التراكيب والعبارات من جهة أخرى .

٥ - هذا وقد ألحق المؤلف بكتابه بحوثاً لغوية وصرفية مختلفة تتعلق بالتضاد ، والترادف ، والاشتراك ، والاشتقاق ، والتعريب ، والمجاز ، والممدود والمقصور ، والتذكير والتأنيث . وإبدال الحروف بعضها من بعض . الخ .

طبع كتاب « المخصص » في مصر بين سنتي ١٣١٦ - ١٣٢١ هـ في ١٧ جزءاً ، بعناية العلامة اللغوي محمد محمود التركي الشنقيطي . ثم نشره المكتب التجاري في بيروت سنة ١٣٨٦ هـ في طبعة مأخوذة عن الطبعة الأولى بالتصوير ، وجعلت أجزاء السبعة عشر في خمسة مجلدات ضخمة . وكلتا الطبعتين خالية من الفهارس الحديثة ، إلا فهرس الموضوعات لكل جزء .

ثم نشرته مصوراً أيضاً دار الآفاق الجديدة في بيروت ، وألحق بهذه الطبعة فهرس لأشعار « المخصص » وأرجأه فقط ، صنعه المحقق المعروف عهد السلام هارون ، ويقع هذا الفهرس في ٢٧٦ صفحة .

ولا يزال كتاب « المخصص » في حاجة إلى طبعة حديثة يتوافر فيها مزيد من التحقيق والتنسيق والتعليق .



ونقتطف هنا بعض الامثلة الموضحة من كتاب « المخصص » لتعرف طريقة المؤلف ومنهجه في عرض مواد كتابه :

١ - قال في الكلام على « الجوع » :

« الجوع : ضد الشبع . قال سيبويه : جاع جوعاً ، وهو جائع ، والجمع جِيعاً . ابن السكيت : وجوْع - غير واحد : رجل جائع وجوعان ، من قوم جِيع وجوعى . وقد أجمعه ، وجوعته . حكاه صاحب المين . وأنشد :

مُجَوِّع البطن كلابي الخُلُق

ابن السكيت : قد أصابتهم مجاعة ، ومَجْوَعَة ، ومَجْوَعَة : وهو عام الجوع . صاحب المين : جعت إلى لقائك : غرثت ، وهو على المثل ، كما قالوا : عطشت . »

٢ - وفي الكلام على « الشبع » :

« صاحب المين : الشبع : ضد الجوع . شبع شبعاً ، والاسم : الشبع . قال سيبويه : شَبَعَ شبعاً فاحشاً ، وهذا شبعه . أبو علي : شبعه ، وشبعه . ابن السكيت : شبع شبعاً وتشبع . وقال : انتهينا إلى بلد قد شبعتم ماشيته ،

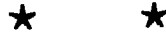
وشبعت ، وهي دون : شبعت . قال أبو علي : وقد قيل : الشبع في المصدر
قال سيبويه : شبهوه بالسمن ، والكبر ، وكل متناه - من لفظ أو صبغ -
مشبع ، فهو مثل بذلك .

صاحب العين : رجل شبعان ، وقد يجيء في الشعر : شابع ، والأنتى :
شبعي وشبعانة ، وجمعها شباع . وقد أشبعه الطعام . . . »

٣ - وقال في « أسماء ما يؤكل عليه » :

« صاحب العين : المائدة : التي يؤكل عليها . أبو حاتم : المائدة :
الطعام وإن لم يكن هناك خوان . قال أبو علي : لا تسمى المائدة مائدة حتى
يكون عليها طعام ، ولا فهي خوان . ابن السكيت : خوان ، وخوان . قال
سيبويه : وجمعها أخونة ، أتموا ليفرقوا بينه وبين أفعل ، كأبيع ونحوها .
وفي الكثير : خُون ، وأصله : خُون ، إلا أنهم لم يحركوا الواو كراهة الضمة
فيها ، والضمة قبلها ، ورجعوا فيها إلى اللغة التميمية ، ووافق الذين يقولون :
فُعَال ، الذين يقولون : فِعَال ، لاتفاقهما في العدة وحرف اللين .

أبو حاتم : المائدة : الطعام نفسه ، والعوام يظنونها الأخونة . ابن
دريد : الديسق ، والفائور ، والقُدمور ، كله : الخوان من الفضة . . . »



ولم يتوقف التأليف في ميدان معاجم المعاني إلى يومنا هذا ، ومن أهم
الكتب التي ظهرت على توالي العصور ، بعد « المختص » : نظام الغريب ،
لميسى بن إبراهيم الربيعي (- ٤٨٠ هـ) ، والسامي في الأسامي : للميداني
(- ٥١٨) ، وكفاية المتحفظ : لابن الأجدابي (- نحو ٦٥٠) .

وفي العصر الحديث ألف عدد من معاجم المعاني ، التي تختلف فيما بينها
حجماً ، وطريقة ، ومضموناً ، وأسلوباً ، مثل : معجم القطيفة في أسماء أغضاء
الإنسان وما يتعلق بها : لناصيف اليازجي (- ١٨٧١ م) ، ولطائف اللغة :
لأحمد البابيدي (- ١٩٠٠ م) ، ونجدة الرائد : لإبراهيم اليازجي
(- ١٩٠٦ م) ، ونجدة اليراع : لسعيد الشرتوني (- ١٩١٢ م) ، والرافد :
لأمين آل ناصر الدين ، وهو معجم للإنسان والبيئة .

وأجود معاجم المعاني الحديثة مادة وترتيباً وغازة ، كتاب « الافصاح
في فقه اللغة » الذي نعرف به فيما يلي ، والذي اختصر فيه كتاب « المختص »
لابن سيده ، وأضيفت إليه أيضاً زيادات جيدة :

الإفصاح في فقه اللغة

الفه الأديبان المصريان المعاصران : عبد الفتاح الصعيدي ، وحسين يوسف موسى *

وقد لاحظ المؤلفان أن زملاءهما من مدرسي الترجمة يفزعون اليهما في اسماهم بالألفاظ العربية الصحيحة لما يريدون ترجمته ، فكانوا يصورون لهما المعاني ويطالبونهما بالألفاظ . وهذا ما دفعهما الى الرجوع الى كتب اللغة ، فوجدوا كتاب « المخصص » لابن سيده أرفعها شأنًا ، وأحكمها نظامًا وتبويبًا ، ولكنه مطول جدا ، فعمدا الى تلخيصه وانتخاله واصطفاء لبابه ، وأضافا اليه زيادات من القاموس المحيط ، وفقه اللغة للثعالبي ، ومختار الصحاح ، ولسان العرب ، وأساس البلاغة وغيرها ٠٠ وصنفا الكلمات في موضوعات عامة تحت أبواب تناسبها . فجاء (الإفصاح) مبوبًا بحسب ما في الكون كله من آثار في الأرض ، وآيات في السماء ، وبكل ما تحمل الدنيا ويدب فيها من انسان وحيوان وطيور ونبات ، وما يحفل به بطنها من معادن ، أو يظهر فوقها من صخور ، وكل ما يعمل به الناس من صناعة أو نجارة أو زراعة أو فنون ، ويمارسونه من علوم ، ويستعينون به من أدوات حتى أصواتهم ، ومأكلكم ، وملبسهم وألوان لهوهم *

كل هذا قدم للقارئ مرتبًا منسقًا ، ومبوبًا تبويبًا حسنًا . وقد أشاد عباس محمود العقاد بهذا الكتاب في تقديمه له فقال عنه :

« سرحب به المحافظون لأنه تراث قديم يُضنّ عليه بأن يهجر في زوايا المكاتب ، وأن ينتقل من صفة الكلام الحي الى صفة الآثار المدفونة ، وسرحب به المجددون لأنه يختصر لهم طريق التنقيب عن المفردات التي تكثر في اللغات الافرنجية وتقل نظائرها في الفصحح المطروق من اللغة العربية ، وسرحب به كل مشتغل بترجمة في علم أو أدب أو صناعة ٠٠٠ » *

وبذلك جاء كتاب (الإفصاح) خلاصة وافية للمعاجم العربية ، لأنه جمع محاسنها ، وامتاز بوفرة المواد اللغوية ، والتوسع في ذكر صيغ أفعال تلك المواد ومشتقاتها ، سعيًا وراء ايجاد ثروة لفظية ، بحيث يكون لكل معنى لفظ عربي يؤديه حق الأداء *

وقد زُين الكتاب بعدد قليل من صور بعض الحيوان والنبات والحشرات والأدوات وما اليها ، ليزول الابهام ، ويزداد المعرف وضوحاً *

كما ألحق بالطبعة الثانية من الكتاب معجم للألفاظ يجمع مواده اللفظية مرتبة على حسب الحروف الهجائية ، وأمام كل مادة أرقام صفحاتها ، ولوحظ في ترتيب الكلمات حروفها المرسومة بها ، دون تجريدها من الزوائد ، وبذلك يصبح هذا الكتاب مرجعاً لطلاب معاني الألفاظ أيضاً ، الى جانب كونه معجماً للمعاني ، فهو يجمع المزيّتين معاً .

ونذكر فيما يلي أمثلة من أبواب (الافصاح) وما تضمنه من معاني جزئية :

- (خلق الانسان) : ويشتمل على العناوين الجزئية التالية : الحمل والرضاع والقطام ، جسم الانسان ، الأذن ، الوجه ، العين ، ... الخ .
- (مشي الانسان وسفره واقامته) : وفيه : المشي ، الطريق ، النوم .
- (نعوت النساء وتزوجهن وحليهن وزينتهن) : وفيه ، اضافة الى نعوت النساء : الزواج ، الحلي ، العطور والطيب ...
- (الأمراض والعيوب الخلقية والطب والعلاج) ...
- (الخيل والبغال والحمير والابل والغنم والبقر) ...
- (السماء وما فيها ، والزمن ، والرياح ، والسحب والمطر) ...
- (المياه وما فيها ، والقنوات والآبار ، وآلات رفع المياه) .

طبع (الافصاح) في مجلدين ضخمين في القاهرة سنة ١٩٢٩م ، ثم أعيد طبعه منقحاً سنة ١٩٦٤ وبلغت صفحاته ١٣٩٦ يتبعها بعد ذلك معجم الألفاظ الواردة في الكتاب ، في ٨٣ صفحة .



معاجم الألفاظ «الفديسة»

هذه المعاجم ذات أهمية كبيرة ، وفوائد شتى ، منها أن تلك المعاجم هي المصدر الأساسي الذي يأخذ بأيدينا إلى الكشف عن معنى لفظة نجهل تفسيرها ، أو نريد معرفة معناها صحيحاً دقيقاً ، لنتعرف استعمالها ، ونهتدي إلى مضمون السياق الذي وردت فيه والمدلول الذي اكتسبته فيه .

كما تساعدنا معاجم الألفاظ على ضبط مختلف الكلمات التي لا يظهر لنا وجه الصواب فيها ، ولا سيما الأسماء الجامدة ، وكثير من أسماء الأعلام والبلدان ، والأفعال الثلاثية خاصة . فكم من فعل ثلاثي وقفنا حائرين أمام معرفة حركة العين في ماضيه أو مضارعه ، أو معرفة مصدره ، وما لهذا المصدر من صور وأشكال ، وعندئذ لن نجد بفيتنا إلا في معجم من معاجم الألفاظ ، فهي في عصرنا هذا تقوم مقام السماع من أئمة العربية وأهل الفصاحة فيها .

وإذا كانت معاجم المعاني كلها لا تخرج ، عند العرب ، عن طريقة واحدة في تصنيفها وتبويبها ، بحسب الموضوعات العامة ، فإن معاجم الألفاظ تختلف فيما بينها اختلافاً شديداً ، وكانت مجال تنافس شديد ، ومن ثم تعددت طرائق ترتيبها وتبويبها على تعاقب السنين ، وغدت المكتبة العربية غنية بمعاجم الألفاظ ، القديمة والحديثة ، ما بين موجز ، ومتوسط ، ومطول . والأساس الذي يقوم عليه تبويب تلك المعاجم هو الحروف الهجائية أو حروف المعجم ، وليس الأغراض والمعاني . وقد كان هناك عدة أشكال لترتيب الحروف الهجائية ، وهي :

١ - الترتيب الأبجدي : وهو أقدم ترتيب عرفه العرب . ويقال إنه ترتيب فينيقي . وعليه يجري ما يسمى بحساب الجمل « بضم الجيم ، وتشديد الميم المفتوحة » . وهو مجموع في هذه الكلمات : « أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سغفس ، قرشت ، ثخذ ، ضطغ » (١) ، وحروف الترتيب الأبجدي في

(١) يقصد بحساب الجمل أن يعطى كل حرف ضمن الترتيب الأبجدي قيمة عددية تبدأ من الواحد إلى العشرة بحسب التسلسل المذكور . ثم تزداد مضاعفات العشرة من الألفاظ المقود حتى تصل إلى التسعين لحرف الصاد . وبحرف القاف تبدأ المئة فمضاعفاتها حتى الألف لحرف الفين . وهذا الترتيب اتبعه المشارقة . أما المغاربة - وهم سكان الأندلس وشمال إفريقيا - فالترتيب الأبجدي عندهم يجري على النسق التالي : « أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، صغفس ، قرست ، ثخذ ، ظغش » . ويستعمل حساب الجمل في ميادين مختلفة لا مجال لذكرها هنا .

الأصل ٢٢ حرفاً وأضاف إليها العرب الروادف ، وهي ستة الحروف (الآخرة « ثخذ ، ضطغ » التي انفرد بها العرب عن غيرهم من أهل اللغات السامية الأخرى .

ولم يستخدم العرب الترتيب الأبجدي في معاجمهم ، بل استخدموه أحياناً في ترقيم صفحات كتبهم ورسائلهم ، أو في ترقيم بعض فقرات الكلام وعناوين الفصول والأبواب ، وما إلى ذلك .

٢ - الترتيب الصوتي ، أو المخرجي : وهو يسير بحسب مخارج الحروف داخل الفم ، وتدرجها بدءاً من أقصى الحلق حتى الشفتين . ويراعي ، في ذلك ، التشابه الصوتي للأحرف ، ويقسمها إلى فئات أو زمر تبعاً لموقعها من أجزاء الفم واللسان والأسنان .

وصاحب هذا الترتيب هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥ هـ) وفيه تنتظم الحروف على النسق التالي ، وفي خاتمتها أحرف العلة :

(ع ، ح ، هـ ، خ ، غ / ق ، ك / ج ، ش ، ض / ص ، س ، ز / ط ، ت ، د / ظ ، ذ ، ث / ر ، ل ، ن / ف ، ب ، م / و ، ي ، ا ، ء) (١) .

٣ - الترتيب الهجائي ، أو الألفبائي : وهو النسق المعروف حتى اليوم . وقد ابتدعه في أواسط العصر الأموي : نصر بن عاصم الليثي (٩٠ هـ) في ولاية الحجاج على العراق . وهذا الترتيب يراعي الأشباه والنظائر من الحروف ، من حيث التشابه الكتابي فيما بينها ، فيقدم الزمر الثلاثية بعد الهمزة ، فالثنائية ، وينتهي بالأحرف المفردة ، وذلك على هذا الترتيب :

(١) أسماء مجموعات هذا الترتيب هي ، على التوالي : حروف المعلق ، حروف اللهاة ، الحروف الشجرية ، فالأسلية ، فالنطمية ، فاللثوية ، فالذلقية ، فالشقوقية . ثم الهوائية وهي حروف العلة .

وقد نظم أبو الفرج المافري الجزيري أبياتاً في ترتيب الحروف بحسب مخرجها الصوتية فقال :

يا سائلي من حروف العين ، دونكها	في رتبة ضمها وزن وأحصاء :
العين ، والعاء ، ثم الهاء والحاء ،	والعين ، والقاف ، ثم الكاف : أكفاء
والجيم ، والشين ، ثم الضاد ، يتبعها	صاد ، وسين ، وزاي ، بعدها طاء
والتاء ، والدال ، ثم القاء ، متصل	بالطاء ذال ، وثاء ، بعدها راء
واللام ، والنون ، ثم الفاء ، والباء	والميم ، والواو ، والمهموز ، والياء

(أ - ب ، ت ، ث - ج ، ح ، خ - د ، ذ - ر ، ز - س ، ش - ص ، ض - ط ، ظ - ع ، غ - ف ، ق - ك ، ل - م - ن - ه - و - ي) (١) .

وقبل أن نتكلم على أنواع معاجم الألفاظ القديمة بحسب الترتيب الذي تنتمي إليه كل مجموعة منها ، يحسن أن نذكر هنا الاتجاهات والطرائق التي انبثقت عن الترتيبين : الصوتي والالفبائي ، في اثبات مواد تلك المعاجم ، والتي كان هدفها تيسير الرجوع الى معاجم الألفاظ ، وكيفية استخراج معاني الكلمات في كل منها ، بحسب طريقته الخاصة :

١ - طريقة الترتيب المخرجي أو الصوتي : وفيه ترتب الكلمات بحسب مخارجها الصوتية ، بعد تجريدها من الزوائد . فكلمة « نهر » نجدها في حرف الهاء « هرن » لأن الهاء مخرجها الصوتي قبل مخرجي الراء والتون . و « رجل » نجدها في حرف الجيم ، للسبب نفسه . وهكذا .

٢ - طريقة الترتيب الهجائي المعروف « الالفبائي » ، على حروف المعجم . وقد اتخذت صورتين :

أ - ترتيب الكلمات بحسب أواخرها ، بعد تجريدها من الزوائد ، وردها الى أصولها المجردة .

ب - ترتيب الكلمات بحسب أوائلها ، بعد ردها الى أصولها المجردة .

وفي الصفحات القادمة نتكلم على كل طريقة من هذه الطرق جميعا ، ونذكر المعاجم القديمة التي سلكتها وتقيدت بها في اثبات موادها ، ونتعرف منهج كل معجم منها في كيفية الرجوع اليه ، واستخراج الألفاظ فيه . ثم نعرض على المعاجم الحديثة ، لنذكر أهمها ، وما أسهمت به من تطوير وتقدم في ميدان التأليف اللغوي .

(١) للحروف الهجائية ترتيب آخر عند المفاربة اتبعوه في كتبهم ذات الطابع المعجمي . وهذا الترتيب هو : (أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز / ط ، ظ / ك ، ل ، م ، ن / ص ، ض / ع ، غ ، ف ، ق / س ، ش / ه ، و ، ي) .

طريقة الترتيب المخرجي

كتاب « العين » للخليل بن أحمد

رائد هذه الطريقة هو الخليل بن أحمد الفراهيدي ، الذي عاش في القرن الثاني للهجرة وتوفي سنة ١٧٥ هـ . وهو من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، وذو العلم الواسع بالموسيقى . وهو أستاذ سيبويه النحوي . عاش في البصرة فقيراً صابراً ، والناس يكسبون بعلمه الأموال . وله عدة مؤلفات لم يطبع منها سوى معجم « العين » .

وكتاب « العين » معجم لغوي من معاجم الألفاظ ، بل هو أول معجم عرفه العرب في تاريخهم اللغوي ، رتبت موادده بحسب « الترتيب الصوتي » ، أو المخرجي » الذي ابتكره الخليل نفسه ولم يسبق إليه ، وقد أعرض عن « الترتيب الأبجدي » لأنه لا يستند إلى مبدأ معين ، أو منهج محدد ، كما أعرض عن « الترتيب الهجائي » لأنه مبني أصلاً على الرسم والكتابة ، في حين أن اللغة قوامها النطق والأداء ، المبنيان على الصوت وخروج الكلام بحروفه من داخل الفم .

وكانت الخطوة التالية لدى الخليل حصر مفردات اللغة العربية التي لم يجمعها جامع ، ولا استقصاها أحد قبله . فلجأ إلى فكرة رياضية فذة تقوم على اعتماد مبدأ التقاليب ، وهو توليد كلمة من كلمة بتغيير مواضع الحروف فيها ، وهذا ما يعرف بالاشتقاق الكبير . فالأصل الثنائي « ج ر » يخرج منه صورتان هما : « جر » و « رج » . والأصل الثلاثي يكون منه عادة ستة تقاليب ، فتقاليب « ب ح ر » هي : « بحر ، برح ، حبر ، حرب ، ربح ، رحب » . والأصل الرباعي مثل « عبقر » يخرج منه أربع وعشرون صورة . أما الخماسي مثل « سفرجل » ففيه مئة وعشرون صورة . ولا شيء من الأصول فوق الخماسي . وبهذه الطريقة الرياضية استطاع الخليل أن يتوصل إلى حصر ألفاظ اللغة العربية - من الناحية النظرية - باثني عشر مليون كلمة تقريباً . لكنها ليست كلها مستعملة عند العرب ، فهناك تقاليب كثيرة مهملة ، ولا سيما في الأصلين : الرباعي والخماسي . فكان الخليل يثبت في معجمه ما كان مستعملاً ، ويففل ما كان مهملاً في الاستعمال .

وهكذا قام تنظيم كتاب « العين » على ثلاثة أسس ، هي :

١ - الترتيب الصوتي للحروف بحسب مغارجها ، من اقصى الحلق حتى الشفتين .

٢ - طريقة التقاليب « الاشتقاق الكبير » .

٣ - اعتبار الأبنية : وذلك بملاحظة عدد حروف المادة الأصلية التي عقدت منها تلك الأبنية . وقد وجد الخليل ان أبنية الكلام عند العرب تنحصر في : الثنائي ، والثلاثي ، والرباعي ، والخماسي . فهي لا تقل عن حرفين اثنين ، ولا تزيد على خمسة أحرف ، وكل زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم إما هي زائدة على البناء وليست من أصل الكلمة ، مثل : « عنكبوت » وأصل بنائها على « عنكب » .

وقد رتب الخليل مواد كتابه وفق الطريقة الصوتية : كما ذكرنا ، وجعله كتاباً على عدد حروف الهجاء ، وسمى كل حرف كتاباً . وسمى معجمه « العين » باسم الكتاب الأول منه ، وهو من إطلاق الجزء على الكل . وقد استهله بمقدمة ضمنها بعض القوانين النغوية والصرفية الهامة ، التي استنبطها بنفسه من كلام العرب . ثم بدأ مواد كتابه بحرف العين ، لأنه أول حروف الهجاء عنده . وأتبعه بكتاب الحاء ، فكتاب الهاء ، وهكذا حتى آخر حروف الهجاء .

وقسم كل كتاب ، داخل حرفه ، الى الأبواب التالية :

١ - باب الثنائي الصحيح : وفيه الكلمات المؤلفة من حرفين أصليين ضعفت ثانيهما . ولذلك سماه أيضاً « المضاعف » . ففي كتاب العين ، مثلاً ، نجد : « عسق » ومقلوبها « شع » . وسماه الثنائي لأن صورته من حرفين . ويذكر معه أيضاً الرباعي الذي ضعفت فاؤه وعينه ، يعني : « عشمش » و « شمشع » . وفي « ع ق » يذكر : « ع ق ، وعقق ، وعقيق » كما يذكر أيضاً « قع ، وققق » .

٢ - باب الثلاثي الصحيح : وفيه الكلمات المؤلفة من ثلاثة أحرف أصلية صحيحة ، مع تقليب كل أصل بصورة الست ، والكلام عليها واحدة واحدة . ففي حرف العين أيضاً نجد ، على سبيل المثال ، مادة « ص ع د » بتقاليبها الستة : « صعد ، صدع ، عصد ، عدص ، دصع ، دعص » ولكنه يهمل تقليبي « عدص » و « دصع » لعدم استعمال العرب لهما في كلامهم . وهكذا في « عجب » و « سمع » و « عرف » .

٣ - باب الثلاثي المعتل : ويتضمن ما كان على ثلاثة أحرف أصلية ، أحدها حرف علة ، مثل : وعد ، وعيب ، ورضي . . . ويذكر مع كل أصل تقاليبه المستعملة أيضاً .

٤ - باب اللقيف : وهو ما اجتمع في أصله الثلاثي حرفاً علة ، فكان لقيفاً مقروناً مثل : عوى ، نوى ، هوى ، أو مفروقاً مثل : وفى ، وهى .

٥ - باب الرباعي : وهو ما كان على أربعة أصول ، مثل : عبقر ، عجرف ، عسكر . ويذكر الخليل مع كل أصل تقاليبه المستعملة في الكلام ، ويضرب صفحاً عن المهمل .

٦ - باب الخماسي : وهو ما كان على خمسة أصول ، مثل : فرزدق ، سقرجل . ويورد كذلك ما يستعمل من تقاليد كل مادة . وقد يسوق الخليل أبواب الرباعي والخماسي معاً ، في بعض الأحيان ، ولا يفرق بينهما .

أما كيفية الرجوع الى معجم « العين » واستخراج الكلمات فيه ، فيكون أولاً يرد الكلمة الى أصلها المجرد ، ثم بالبحث عنها بحسب الحرف الذي يسبق سائر حروفها على الترتيب الصوتي أو المخرجي ، وبحسب الباب الذي تنتسب اليه الكلمة . مثال ذلك :

أجعد : مجرده « جعد » ، نجده في باب الثلاثي الصحيح من حرف العين .

خسران : مجرده « خسر » ، نجده في باب الثلاثي الصحيح من حرف الخاء .

هبة : مجرده « وهب » بعد رد الحرف المحذوف . ونجده في باب الثلاثي المعتل من حرف الهاء .

سقرجل : نجده في باب الخماسي من حرف الجيم . لأن الجيم تسبق سائر حروف هذه الكلمة في الترتيب المخرجي .

هذا ، وقد جمع الخليل في معجمه بين الواضح المشهور ، والوحشي الغريب من الألفاظ ، على السواء ، لأن ذلك أحفظ للغة وأصوب لها ، ثم ان الواضوح والغرابية أمران نسبيين ، لا يتفق على كل منهما الإجماع والرضا . كما دعم الخليل شروحه اللفوية بموفور من الشواهد الشعرية ، والقرآنية ، ومن الحديث النبوي ، وأمثال العرب ومأثور الأدب وفصيح الكلام . وهو يعنى عناية كبيرة بلغات العرب ، كمنعنة تميم ، وكشكشة ربيعة (١) ، وغيرهما من لغات هذيل واليمن ، كما لا يفوته أن يشير الى لغة المعاصرين له في العراق عامة ، وبلدته البصرة خاصة .

(١) المنعنة : لفظ المهزلة عينا ، فيقولون في « أن » : « عن » . والكشكشة : جمل الهجين مكان الكاف في خطاب المؤنث ، فيقولون في « ملك » : « ملكة » .

ولا شك أن معجم « العين » دليل على النبوغ العربي ، وقدرة هذا النوع على الابداع والابتكار ، ولكن ، على الرغم من ذلك ، وردت فيه هنات كثيرة : من اضطراب في جمع بعض المواد ، وإهمال لبعض الأبنية المستعملة في كلام العرب ، إضافة إلى ما فيه من تصحيف وتحريف ، وأخطاء صرفية ، ووجود أشعار لشعراء جاءوا بعد عصر الخليل ، فضلاً عن صعوبة استخراج الكلمات فيه على طريقته المخرجية . كل ذلك لا يمكن أن يقع فيه عالم كبير كالخليل ، وهذا ما جعل بعض العلماء يستبعد أن يكون الكتاب من وضع الخليل ، في محتواه الذي وصل إلينا . وكان هذا الموضوع – ولا يزال – مثار نقاش وجدال ، ونفي وإثبات . والثابت أن الخليل هو الذي قام أصلاً بتأليف الكتاب أو معظمه ، ثم شوهدت أيدي النساخ ، على مر السنين ، نصوصه ومواده ، فلم يبق على صورته الأصلية التي وضعه عليها الخليل .

ويبقى « العين » رائد المعاجم العربية ، والمنهل الثر الذي نهلت منه المعاجم التي آلفت بعده ، وأفادت منه أعظم الفوائد ، كما اختصره أو نقحه أو هذبه عدد من اللغويين فيما بعد : كالنضر بن شميل (٢٠٣ هـ) صاحب « المدخل إلى كتاب العين » والمفضل بن سلمة (٢٥٠ هـ) في « الاستدراك على العين » وأبي بكر الزبيدي (٣٧٩ هـ) في « مختصر العين » الذي حذف ما في الأصل من شواهد ، وصحح ما وجدّه مصحفاً ، حتى بدا في نظر العلماء أحسن من الأصل .

أما طباعة كتاب « العين » فقد سارت متعثرة الخطوات خلال سنوات مضت ، إذ جرت أول محاولة لذلك على يد انستاس الكرمللي الذي نشر في بغداد سنة ١٩١٤ م جزءاً من الكتاب عدد صفحاته ١٤٤ ثم نُشر الجزء الأول منه سنة ١٩٦٧ بتحقيق عبد الله الدرويش ، في ٣٧٦ صفحة . وأخيراً أعاد تحقيقه مجدداً : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، وصدر منه في بغداد أيضاً بضعة أجزاء متوالية .



هذا ، وسار على طريقة الخليل في معجمه – من حيث الترتيب الصوتي مع مراعاة التماثيل والأبنية – عدد من اللغويين القدامى ، فألقوا معاجم تحذو حذوه ، وهي :

١ – البارع في اللغة : لأبي علي القالي (٣٥٦ هـ) . بقيت منه قطع طبعت مجموعة في مجلد واحد حققه هاشم طعان وطبع في بيروت سنة ١٩٧٥ م .

٢ - تهذيب اللغة : للأزهري (- ٣٧٠ هـ) . طبع كاملاً في ١٥ جزءاً بين سنتي (١٩٦٤ - ١٩٦٧ م) ثم أضاف إليها عبد السلام هارون جزءاً سادساً عشر للفهارس ، كما نشر رشيد العبيدي مستدركاً على بعض الأجزاء وطبع هذا المستدرك في جزء متوسط بالقاهرة ١٩٧٥ م .

٣ - المحيط في اللغة : للصاحب بن عباد (- ٣٨٥ هـ) . طبع منه بعض الأجزاء في العراق بتحقيق محمد حسن آل ياسين .

٤ - المحكم والمحيط الأعظم : لابن سيده الأندلسي (- ٤٥٨ هـ) . صدر منه سبعة أجزاء . وهي تزيد على نصف الكتاب قليلاً .



طريقة الترتيب الهجائي أو «الألفبائي»

يقوم الترتيب الهجائي - كما أشرنا سابقاً - على ما نعهده اليوم ، من مراعاة التشابه الكتابي في رسم الحروف « أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، ٠٠ الخ » ، وعليه يجري العمل والعرف في الفهارس الفنية للكتب المحشقة ، وفي سجلات المدارس والدوائر الرسمية وترتيب أسماء الطلاب في الامتحانات والمسابقات ، وفي دليل الهاتف ، والموسوعات الهجائية المختلفة ٠٠٠٠ وغير ذلك مما لا سبيل الى حصره .

وقد شاع هذا الترتيب الهجائي في المناجم اللغوية منذ القرن الرابع للهجرة ، الا أن مؤلفي المعاجم سلكوا إحدى طريقتين اثنتين في سرد مواد كتبهم :

الأولى : ترتيب أصول تلك المواد بحسب الأواخر ، مع التزام الترتيب الهجائي فيها ، بالنظر الى آخرها . فكلمة « سخر » توضع في باب الراء ، و « عجب » في باب الباء ٠٠٠

والثانية : ترتيب أصول المواد بحسب الأوائل ، مع التزام الترتيب الهجائي فيها ، بالنظر الى أولها . فكلمة « سخر » توضع في باب السين ، و « عجب » في باب العين ٠٠

ونتكلم فيما يلي على كل من هاتين الطريقتين ، وأشهر المعاجم التي سارت عليها :

الترتيب بحسب أواخر الأصول

هذا النوع من المعاجم مقسم الى أبواب رئيسية بعدد حروف الهجاء ، وهي ٢٨ حرفاً ، الا أن المؤلفين يدمجون بابي الواو والياء معاً ، ويجعلونهما باباً واحداً عنوانه « باب الواو والياء » وهو يضم كل ما اعتل آخره من الأصول ، بلا تمييز بين الواوي واليائي . وبذلك يصبح عدد أبواب المعجم ٢٧ باباً ، منسوقة على النحو التالي :

— باب الهمزة : ويضم المواد الآتية : بدأ ، خبا ، وبها ، سبأ ، سببا . عبا ، قرأ ، صلا ٠٠٠ الخ .

— باب الباء ، وفيه من المواد : حسب ، خرب ، سحب ، شرب ، ضرب ، طرب ، عرب ، نهب ...

وهكذا الى باب الواو والياء ، ومن مواده : أبى ، أسا ، بدا ، برى ، بقي ، خبا ، دلو ، طلى ، فدى ، كفى ... الخ .

وفي كل باب من هذه الأبواب الهجائية السبعة والعشرين 'رتبت الأصول أيضا ترتيبا هجائيا دقيقا فيما بينها بحسب الحرف الأول فما بعده ، لتيسير العثور على الكلمة المطلوبة ، وأطلق على أول المادة ضمن الباب الواحد اسم « فصل » ، بحيث يشتمل كل باب ، في الأغلب ، على ثمانية وعشرين فصلا بعدد حروف الهجاء أيضا . الا أن مؤلفي هذه المعاجم يقدمون عادة فصل الواو على فصل الهاء بحيث يكون الترتيب في الفصول هكذا : « ... ك ، ل ، م ، ن ، و ، هـ ، ي » .

وعلى هذا نجد ، مثلا :

قرأ : في باب الهمزة ، فصل القاف (أو نقول : فصل القاف من باب الهمزة) .

رغب : في باب الباء ، فصل الراء (أو نقول : فصل الراء من باب الباء) .

عجل : في باب اللام ، فصل العين (أو نقول : فصل العين من باب اللام) .

دلو : في باب الواو والياء ، فصل الدال (أو نقول : فصل الدال من باب الواو والياء) .

ظبي : في باب الواو والياء ، فصل الظاء (أو نقول : فصل الظاء من باب الواو والياء) .

فالباپ : للحرف الأخير من الأصل المجرد ، وهو أول ما نبحت عنه ، ثم نبحت بعده عن الحرف الأول من ذلك الأصل في « الفصل » الذي يحمل اسمه .

وقد ألحق مؤلفو هذا النوع من المعاجم بباب خاص سموه « باب الألف اللينة » وهو يشتمل على شرح بعض الحروف ، والأدوات والأسماء المبنية وما إليها ، حيث تذكر سردا بلا تقسيم الى فصول ، وان كان ذلك ملحوظا ، وتجري على هذا النسق : (أ ، اذا ، الى ، أولو ، الا ، ألا ، أنسى ، آيا ، الباء ، التاء ، الحاء ، ذا ، ذو ، الفاء ، كذا ، كلا ، لا ، لو ، ما ، مهما ، متى ... هلا ، هيا ، يا) .

والطريقة العامة في استخراج الكلمة في هذا النوع من المعاجم هي :

١ - أن نجرد الكلمة من أحرف الزيادة إذا كانت مزيده ، مثل « استغفر » مجردها « غفر » .

٢ - ونفك التضعيف إذا كان - مثل « شدّ » يصبح « شدد » .
 ٣ - ونرد حرف العلة الى أصله ، إذا وجد هذا الحرف وكان منقلباً عن حرف علة آخر ، مثل « قال » : أصله « قول » ، و « باع » أصله « بيع » .
 ٤ - ونرد الى الكلمة ما حذف منها ، مثل « ثقة » أصلها « وثق » ، و « أب » أصلها « أبو » ، و « دُم » أصلها « دوم » .

وقد يجتمع في الكلمة الواحدة أكثر من حالة - مثل « ميزان » : فيها حرفان زائدان هما الميم والألف ، وحرف علة وهو الياء منقلب عن واو ، فالأصل الثلاثي لكلمة « ميزان » هو « وزن » .

وبعد ذلك نستخرج الكلمة في باب الحرف الأخير منها ، وفي هذا الباب نبحث عنها في فصل حرفها الأول ، كما سبق .

وأشهر المعاجم التي تسير على هذه الطريقة ثلاثة :

- ١ - الصحاح : للجوهري (- ٣٩٣ هـ) .
- ٢ - لسان العرب : لابن منظور (- ٧١١ هـ) .
- ٣ - القاموس المحيط : للفيروزآبادي (- ٨١٧ هـ) .

الصحاح : للجوهري

الجوهري : اسماعيل بن حماد ، من أئمة اللغة المشهورين ، وأحد أعاجيب الزمان ذكاه وفطنة وعلماً - نشأ في العراق ، ورحل في طلب العلم ، وسافر الى الحجاز ، فطاف البادية ، وشافه الأعزاب ، ثم أقام في نيسابور بخراسان ، وعكف فيها على التدريس والتأليف حتى توفي سنة ٣٩٣ هـ أو بعدها بقليل .

وكتابه « الصحاح » اشتهر بكسر الصاد ، جمع « صحيح » - ويجوز فتحها فيكون مصدراً بمعنى الصحيح ، مثل براء بمعنى بري - واسمه الكامل « تاج اللغة وصحاح العربية » - وهو من أوائل المعاجم التي تأخذ بأواخر الكلمات - وقد حظي بعناية اللغويين والمصنفين فأنشأوا عليه وفضلوه على غيره ، وفيه يقول ابن عبدوس النيسابوري :

هذا كتاب الصحاح سيد ما صنّف قبل الصحاح في الأدب
 تشمل أبوابه ، وتجمع ما فُرق في غيره من الكتب

ومع أن هناك محاولات سبقت الجوهري إلى الأخذ بالحرف الأخير في ترتيب المواد ، فإنه لم يطلع عليها فيما يبدو ، وابتدع تلك الطريقة لنفسه ، لأنه يصرح بذلك في مقدمة « الصحاح » قائلا : « أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة . . . على ترتيب لم 'أسبق إليه ، وتهذيب لم 'أغلب عليه » .

وهذه الطريقة تقدم للشعراء والناظمين مادة لغوية وفيرة لاختيار قوافيهم ، وتسهل عليهم أمر هذا الاختيار ، كما تقدم لهواة الألفاظ المسجوعة ، من الكتاب والنثرين قدراً صالحاً من تلك الألفاظ .

وهذه أهم خصائص معجم « الصحاح » :

١ - أودع الجوهري ما صح عنده من اللغة - كما صرح بذلك في المقدمة - وطرح الألفاظ غير الصحيحة . وتعني الصحة لديه : التزام الصواب في النقل ، وتحري الضبط في التدوين ، وأن تكون الألفاظ موثوقة الرواية عند العرب . ولذلك سماه : الصحاح .

٢ - استمد مادته من الكتب اللغوية والمعاجم التي سبقتها ، ومن السماع والرواية عن العلماء مباشرة ، ومشافهة العرب في البداية ، وبخاصة الحجاز .

٣ - هو من المعاجم المختصرة ، بالقياس إلى غيره ، وهو يكتفي بالشرح اللغوي لمواد كتابه ولا يهتم بذكر الآراء والأقوال المختلفة ، إلا أنه يكثّر من شواهد القرآن والحديث والشعر ، ويشرح مضمونها في كثير من الأحيان .

وعلى الرغم من منزلة « الصحاح » ومزاياه ، فإن القدماء أخذوا عليه عدة هنات ، منها وقوع الغلط في مواضع كثيرة منه ، وشيوع التصحيف والتحريف في عدد من ألفاظه . ويعود ذلك إما إلى سهو وقع فيه الجوهري ، وإما إلى أن الجوهري مات والكتاب لا يزال مسوداً ، ولم يتح له تنقيحه وتبييضه ، فبيضه أحد تلاميذه الذين صحبوه - وهو أبو إسحق ، محمد بن صالح الوراق النيسابوري - وغلط فيه في مواضع كثيرة تتبعها عليه المحققون .

ويقول فيه الفيروزآبادي ، صاحب القاموس المحيط : « غير أنه فاتته نصف اللغة أو أكثر ، أما بإهمال المادة ، أو بترك المعاني الغريبة النادرة » .

طبع « الصحاح » في مصر مرتين ، الأولى سنة ١٢٨٢ هـ = ١٨٦٥ م

في مجلدين • والثانية سنة ١٩٥٧ م في ستة مجلدات محققة تحقيقاً جيداً ،
بعناية أحمد عبد الغفور عطار (١) •



هذا وقد كان الصحاح موضع عناية علماء اللغة ، ولم يُخدم معجم عربي
كما خُدم الصحاح ، تهذيباً وتنقيحاً واستدراكاً عليه ، وتنبيهاً على أوهامه •
كما ترجم إلى اللغتين : الفارسية والتركية • وقام بعضهم باختصاره • وأشهر
مختصراته :

١ - تهذيب الصحاح : لمحمود بن أحمد الزنجاني (- ٦٥٦ هـ) طبع
في ثلاثة أجزاء بالقاهرة سنة ١٩٥٢ بتحقيق عبد السلام هارون ، وأحمد عبد
الغفور عطار • وهو يعادل عشر الصحاح ، ورُتب مثله على أواخر الكلمات •

٢ - مختار الصحاح : لمحمد بن أبي بكر الرازي (- ٦٦٦ هـ) • وهو
مرتب على أواخر الكلمات أيضاً ، كالصحاح • وطبع كذلك مراراً في القرن
الماضي • وفي أوائل القرن العشرين قام محمود خاطر ، أحد موظفي مطبعة
بولاق في مصر . بإعادة ترتيب مختار الصحاح على أوائل الكلمات تيسيراً على
طلاب المدارس ، وظهرت طبعته الأولى هذه سنة ١٩٠٥ م وتوالت طبعاته
الكثيرة بعد ذلك إلى يومنا هذا بحسب الأوائل أيضاً • وندرت جداً طبعته
المرتبة على الأواخر ، بل فقدت من الأسواق ، حتى ان الناس يظنون أن مختار
الصحاح مرتب في أصله على الأوائل ، وهذا خلاف الحقيقة •

لسان العرب : لابن منظور

ابن منظور : محمد بن مكرم ، الأنصاري الإفريقي ، ثم المصري • إمام لغوي
حجة • ولد في مصر - وقيل في طرابلس الغرب - وخدم في ديوان الانشاء في
القاهرة ، ثم ولي القضاء في طرابلس ، وعاد إلى مصر فتوفي فيها سنة ٧١١ هـ •

(١) قام نديم مرعشلي وابنه أسامة بتهذيب الصحاح واختصاره وإعادة ترتيبه على
الأوائل ، مع إضافة بعض المصطلحات العلمية والألفاظ الحديثة ، وسميا كتابها
« الصحاح في اللغة والعلوم » • وطبع في مجلدين كبيرين سنة ١٩٧٤ م في بيروت •
ثم اختصره أيضاً بالعنوان نفسه في « معجم وسيط » طبع سنة ١٩٧٥ في مجلدين
أيضاً •

طبع من كتبه : لسان العرب ، وأخبار أبي نواس ، ومختار الأغاني وهو مختصر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني .

ومعجمه « لسان العرب » من أضخم المعاجم العربية وأغزرها مادة ، وقد حظي على مدى الأيام بتقدير العلماء وثقتهم . وصدره ابن منظور بمقدمة تحدث فيها عن هدفه من تأليف هذا الكتاب ، واهتمامه بكتب السابقين من اللغويين ، وفصل آراء العلماء في الحروف المقطعة التي بدئت بها بعض السور القرآنية ، ثم تحدث عن ألقاب الحروف الهجائية وطبائعها وخواصها ومغارجها .

وقد جمع ابن منظور مادة كتابه من خمسة معاجم الفت قبله ، وذكرها في مقدمته ، وهي : تهذيب اللغة : للأزهري (٣٧٠ هـ) ، والصحاح : للجوهري (٣٩٣ هـ) ، والمحكم : لابن سيده (٤٥٨ هـ) وحواشي ابن بري على الصحاح (٥٧٦ هـ) والنهاية في غريب الحديث : لابن الأثير (٦٠٩ هـ) .

ومما قاله في مقدمته : « فانتظم شمل تلك الأصول كلها في هذا المجموع ، وصار هذا بمنزلة الأصل ، وأولئك بمنزلة الفروع . » ويوضح غايته من تأليف كتابه فيقول : « فأنني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها ، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية ، ولأن العالم بغوامضها يعلم ما توافق فيه النية اللسان ، ويخالف فيه اللسان النية ، وذلك لما رأيته قد غلب ، في هذا الألوان ، من اختلاف الألسنة والألوان ، حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعد لحناً مردوداً ، وصار النطق بالعربية من الماييب معدوداً . وتنافس الناس في تصانيف الترجمات في اللغة الأعجمية ، وتفاصحوها في غير اللغة العربية ، فجملت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون ، وصنعتهم كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون ، وسميته : لسان العرب » .

وتلك هي أهم خصائص هذا المعجم :

١ - هو موسوعة شاملة ، لا تقتصر على المواد اللغوية وشروحها ، بل تضم فوائد واستطرادات وتقولا كثيرة ومتنوعة ، يفيد منها الأديب والفقيه والمحدث واللغوي والصرفي والنحوي والأخباري وعالم التفسير .

٢ - كثرة الشواهد الشعرية والنثرية التي يحتج بها ، من قرآن ، وحديث ، وحكم وأمثال ، ومأثور كلام العرب وأشعارهم .

٣ - وشغف المؤلف بالاسهاب والتفصيل ، يدفعه الى ايراد الآراء المختلفة في الشرح ، على ما فيها من تناقض واختلاف ، وينسب كل قول الى صاحبه . وفي بعض الأحيان يذكر رأيه الخاص ، أو يبادر الى ذكر بعض

التفسيرات والاضافات ، أو يخالف عن آراء من التزم مناهجهم ، مع وجاهتها .

٤ - يستوعب معظم مفردات اللغة العربية ، في تفصيل للوجوه واللفات والروايات المختلفة ، بما يسعف الباحث المتمق ، والدارس المتخصص في علوم العربية .

٥ - وفي مبدأ كل باب يتحدث ابن منظور عن الحرف المعنود له الباب ، حديثاً يطول أو يقصر ، بحسب الاقتضاء ، ويشير الى بعض أحوال هذا الحرف وما يطرأ عليه ، وقد يورد بعض الفوائد الهامة ، مؤيدة بشواهد غنية .

ويؤخذ على « لسان العرب » - برغم قيمته الكبيرة - كثرة تكرار الشروح اللغوية ، وأنه لا يلتزم أحياناً التزاماً تاماً بما ينقله من مصادره الخمسة التي سبق ذكرها ، وأنه لا يذكر صراحة مصادره تلك دائماً ، وفي كل خطوة . ولو أنه فعل ذلك لعرفنا بتطور معاني الألفاظ ونشوء الكلمات وما رافقها من ملابسات ، حين نعرف أول من سبق الى الحديث عن معنى دون الآخر . ومن هنا فان « اللسان » يفتقر الى الترتيب والتنظيم ، ضمن كل مادة على حدة ، وهذا ما لم يفعله ابن منظور الذي حشد الألفاظ حشداً لا يقوم على منهج واضح ، ولا تنسيق علمي .



طبع « لسان العرب » وصور عدة مرات ، وأصل طبعاته الكاملة اثنتان :

١ - طبعة بولاق في القاهرة سنة (١٣٠٠ - ١٣٠٨ هـ) وتقع في عشرين مجلداً . ثم صورت هذه الطبعة في مصر في عشر السبعينات من هذا القرن .

٢ - طبعة دار صادر في بيروت (١٩٥٥ - ١٩٥٦ م) وقد ظهرت منجمة في ٦٥ عدداً . ثم جمعت في ١٥ مجلداً ضخماً ، وصورت مراراً في بيروت (١) . وكانت دار الفكر في بيروت قد بدأت سنة ١٩٥٤ بنشر لسان العرب تباعاً في حجم كبير ، ثم توقفت عن متابعة طباعته بعد أن أصدرت منه ١٢٩ عدداً تنتظمها بضعة مجلدات تنتهي بمادة « صرف » ، وهي تعادل نصف حجم اللسان أو تزيد قليلاً .

(١) نشرت طبعتان كاملتان أخريان للسان ، قلب فيهما ترتيب مواد على الأوائل ، بلا تغيير في المواد وشروحها ، أولاهما أعدها يوسف الخياط ونديم المرعشلي وطُبعت في بيروت سنة ١٩٧٠ م بعنوان « لسان العرب المحيط » وذيلت بالمصطلحات ←

القاموس المحيط : للفيروزآبادي

مؤلفه : مجد الدين الفيروزآبادي (٨١٧ هـ) الذي أسهم أسهاماً بالفا في الدراسات العربية ، وخلف كنوزاً ضخمة تزيد على العشرين كتاباً . ولكن شهرته كادت تقوم على « القاموس المحيط » وحده دون سائر مؤلفاته الأخرى ، بل إن اسمه « القاموس » صار يُطلق - كما أسلفنا - على كل معجم لغوي ، مهما كان نوعه ، مع أن هذه الكلمة تعني في اللغة : البحر ، أو وسطه ، أو معظم مائه ، وقد صرح الفيروزآبادي في المقدمة بسبب تلك التسمية فقال : « وأسميته القاموس المحيط لأنه البحر الأعظم » .

وانتني أيضاً على كتابه فقال : « وألفت هذا الكتاب محذوف الشواهد ، مطروح الزوائد ، مُعرباً عن الفُصَح والشوارد ... مشتملاً على فرائد أثرية ، وقوائد كثيرة ، من حسن الاختصار ، وتقريب العبارة ، وتهذيب الكلام ، وايزاد المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة ... » .

وقبل أن نفصل القول في خصائصه نورد منه النص الآتي الذي يضم جملة منها . قال في مادة (حدد) :

« الحد : الحاجز بين شيئين ، ومنتهى الشيء ، ومن كل شيء : حدته ، ومنك : بأسك ، ومن الشراب : سورته ، والدفع ، والمنع - كالحدد - وتأديب المذنب بما يمنعه وغيره عن الذنب ... »

→
الفنية والعلمية الحديثة . والثانية. بعنوان « لسان العرب » نشرت أولاً منجمة في مصر ، وصدرت عن دار المعارف في (٥٥ عدداً) ، ثم جعلت في ستة مجلدات وأشرف على تحقيقها : عبدالله علي الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشافلي .

ولا تزال طبعات اللسان ، على اختلافها ، حتى اليوم (١٩٨٨) خالية من فهارس فنية تشبه تلك التي صنعها عبد السلام هارون لمعجم « تهذيب اللغة » للأزمري ، وتيسر الاستفادة من تلك الموعية الضخمة . وقد كانت هناك مشروعات وعود ، تحقق منها محاولتان :

الأولى : كتيب بعنوان « شواهد لسان العرب » مرتبة على حروف « المعجم » : لعبد الفتاح قتلان ، نشر في مصر سنة ١٩١٧ م ويشتمل على حرف الهمزة فحسب ، في ٥٤ صفحة . ثم توقف العمل .

والثانية : كتاب « معجم الشعراء في لسان العرب » صنعه د . ياسين الأيوبي ، وطبع في بيروت سنة ١٩٨٠ م ، في مجلد واحد يضم ٥٥٠ صفحة .

والحديد م ج حدائد وحديدات ، والحداد : مُعالِجه ، والسجّان ،
والبواب ، ٠٠ وحد السكين وأحدها وحددها : مسحها بحجر أو مبرد فحدت
تحد حدة ٠٠ وحُدّاد ، كغُرَاب ورمَان ، ج حديدات وحدائد وحداد ٠٠٠

وحُدّ ، بالضم ع ٠٠ وبنو حدان بن قُريّع ، ككتّان ، بطن من تميم ،
منهم أوس الحداني الشاعر ، وبالضم : الحسن بن حدان المحدث ، ٠٠٠
والحدادية : قة بواسط ٠ وحدده محركة : جبل بتيماء وأرض لقلب ٠٠٠ » .

ونذكر ، بعد هذا ، أبرز الخصائص والمزايا التي يتصف بها القاموس
المحيط :

١ - استيعابه لمعظم مفردات اللغة العربية ، حتى الغريب النادر منها ،
ولكي لا يتعاطم حجم الكتاب ، حاول الفيروزابادي أن يُفرغ عمله في قالب
محكم من الإيجاز والأحكام ، مع التزام اتمام المعاني . وإبرام المباني - كما
يقول في مقدمته - فاضطر من أجل ذلك إلى تكثيف مادته ، وإيجاز عبارته ،
وتركيّزها ٠ وهذا ما جعل الفموض أو الإخلال بالمعنى يتسربان إليه في كثير
من الأحيان ، وأصبحت عبارته تحتاج إلى إمعان وتأمل ٠

٢ - حرص المؤلف على ضبط الكلمات بدقة ، والتعويل في هذا الضبط
على التمثيل بكلمات شائعة ، أو بالنص على ذلك كتابة وعدم الاكتفاء بضبط
القلم ، كما رأيت في قوله : « وحُدّاد ، كغُرَاب ورمَان » أي على وزن كلمتي
(غراب ، ورمَان) معاً ٠ وقوله أيضاً : « وحُدّاد ، محركة » أي بفتح الحاء
والدال ٠

٣ - العناية بذكر المشهور من أعلام الأُمّة والأشخاص والقبائل ،
وضبطها ٠ وهو يجعل ذلك في آخر كل مادة من مواد القاموس غالباً ٠ كما رأيت
في : « حُدّ » و « بني حدان » و « الحسن بن حُدّان » ٠٠٠

٤ - وعني الفيروزابادي بإيراد المولد ، والأعجمي ، والغريب من الألفاظ
وبيان أصلها ٠

٥ - وقد لجأ الفيروزابادي إلى اتخاذ بعض الاصطلاحات الخاصة ،
والرموز المختصرة سعياً وراء الإيجاز والتكثيف ، ومن ذلك :

م = معروف
ع = موضع
د = بلد

ة = قرية
ج = جمع
جج = جمع الجمع

٦ - ولم يهتم كثيراً بالشواهد على اختلاف أنواعها . ولا تزيد الشواهد الشعرية لديه على ٢٥٠ بيتاً .

هذا وقد أوتي « القاموس المحيط » شهرة واسعة ، واهتم به الباحثون واللغويون قديماً وحديثاً ، وجعلوه عمدة بين معاجم الألفاظ ، يثقون به ويؤثرونه على غيره ، لا يكاد ينافسها اليوم في هذه المنزلة إلا « لسان العرب » لابن منظور ، بعد أن كان « الصحاح » في القديم هو الذي يزاحمه في الشهرة والمنزلة حتى انقلب الأمر الى خصومة بين اللغويين والأدباء ، أنفسهم ، ما بين منتصر لأحد الكتائين أو متعصب عليه ، وألفت في ذلك كتب ، كما قيلت أشعار طريفة ، من ذلك قول الأديب نور الدين المكي منتصراً للقاموس المحيط :

من مدّ مجد الدين في أيامه من بعض بحر علمه « القاموسا »
نبت « صحاح » الجوهري كانها سحر المدائن حين ألقى موسى

وقد رد عليه عالم الشام في وقته ، عبد الغني النابلسي ، بهذين البيتين :

من قال قد بطلت صحاح الجوهري ، لما أتى القاموس ، فهو المفترى
قلت : اسمه القاموس ، وهو البحر ، ان يفخر فمعظم فخره بالجواهر « ي »

ومن تعقب أغلاط القاموس المحيط وأوهامه ، وبين كثيراً من مزالقه ، وعلق على بعض محتوياته : أحمد فارس الشدياق. (- ١٨٨٧ م) في كتابه « الجاسوس على القاموس » .

ومما أخذ على القاموس المحيط أنه لا يطرد على نسق معين في ترتيب الفاظ كل مادة ، واقتصاره على متن اللغة دون شروح كافية ، وغموض عبارته أحياناً وتداخل الضمائر بسبب حرصه على الإيجاز والتكثيف واللغة الرمزية . وهذا ما جعل العلامة المرتضى الزبيدي يقوم بشرح القاموس المحيط ، وأغناؤه بالشواهد الكثيرة ، شعرية ونثرية ، والتعقيب على كل مادة بزيادة ما يستدركه منها على القاموس نفسه ، فضلاً عما قد يصوبه خلال المادة نفسها ، وسمى الزبيدي شرحه هذا : « تاج العروس من جواهر القاموس » ، وأصبح بذلك معجماً مستقلاً يضم عشرة مجلدات كبيرة طبعت كاملة أول مرة سنة ١٣٠٦ هـ ، ثم طبعت ثانية بطريقة التصوير .

ويعاد طبع « التاج » مشكولا محققا في الكويت منذ سنة ١٩٦٥ م في
تجزئة جديدة . وقد ظهر منه حتى اليوم (١٩٨٨ م) اربعة وعشرون جزءا .
وهذه الأجزاء الاربعة والعشرون تقارب في محتواها تلثي الكتاب في طبعته
الكاملة .

أما القاموس المحيط فقد طبع وصور مرارا في مصر ولبنان ، منذ سنة
١٨٧٢ م في أربعة مجلدات (١) . وأخز طبعاته ، واجودها عناية وتحقيقا ،
ظهرت في مجلد واحد انيق ، وصدرت عن « مؤسسة الرسالة » في بيروت سنة
١٩٨٦ م .

الترتيب بحسب أوائل الأصول

تقوم هذه الطريقة - كما أسلفنا - على ترتيب الأصول المجردة للكلمات ،
في المعجم ، ترتيبا هجائيا على النسق المعروف حتى اليوم ، مع مراعاة أوائل تلك
الأصول من جهة ، وما بعد هذه الأوائل ، على الترتيب ، من جهة أخرى .

وعلى هذا فان كلا من الأصلين « غرق » و « غضب » يذكر في باب الغين ،
ولكن « غرق » يأتي قبل « غضب » لأن الراء قبل الضاد . كما أن « عبث »
يذكر قبل « عبر » لأن الثاء تأتي قبل الراء في الترتيب الهجائي . فمن الواضح
اذن أنه اذا اتفق الاصلان في الحرف الأول ، روعي الحرف الثاني منهما في
الترتيب ، واذا اتفقا في الحرفين الأول والثاني ، روعي الثالث .

وهذا النوع من المعاجم مقسم الى ثمانية وعشرين بابا بعدد حروف الهجاء ،
من الهمزة الى الياء . ولا مكان للفصول هنا .

ويعد معجم « أساس البلاغة » للزمخشري (- ٥٣٨ هـ) أول معجم قديم
تحققت فيه تلك الطريقة بأجلى مظاهرها على الوجه المكتمل الذي شرحناه
آنفا . وقد سبقته أربعة معاجم مطبوعة رتب موادها على الأوائل أيضا ،

(١) وفي عصرنا الحديث قام الطاهر أحمد الزاوي ، مفتي ليبيا ، بإعادة ترتيب
مواد القاموس المحيط على الأوائل بدلا من الأواخر ، وجعل عنوانه « ترتيب
القاموس المحيط » وطبع أول مرة في مصر سنة ١٩٥٩ م ، كما طبع ثانية سنة
١٩٧٠ وصورت هذه الطبعة غير مرة ، ثم ان الزاوي نفسه اختصره في « مختار
القاموس المحيط » .

ولكنها لم تلتزم بتلك الطريقة على الوجه الأمثل التزاماً كاملاً ، فما جمل الرجوع إليها محفوفاً بالمتاعب والمقبات ، على تفاوت في مداها بين معجم وآخر ، وهي (١) :

١ - كتاب الجيم : لأبي عمرو الشيباني (- ٢٠٦ هـ) وهو معاصر للخليل بن أحمد ، ومات بعده . وسمى معجمه « الجيم » ومعناه الديباج ، تشبيهاً لعمله بالديباج لحسنه . وهذا المعجم يسير على الترتيب الهجائي المعروف بحسب أوائل الكلمات بعد تجريدها من الزوائد ، ولكنه لا يراعي ثواني الأصول وثالثاتها ، ولهذا نجد مواد حرف الهمزة تتوالى هكذا : « أوق ، ألب ، أفق ، أزح ، أنف ، أرب ، أخذ ، الخ » والصواب أن تكون على الشكل التالي : « أخذ ، أرب ، أزح ، أفق ، ألب ، أنف ، أوق » وهذا المعجم يقتصر على اثبات الألفاظ التي وردت في شعر شعراء حوالي ثمانين قبيلة عربية يكاد جل شعرهم يكون مجهولاً ، ويعز تتبعه في المصادر التي بين أيدينا . كما أن هذه الكلمات تحمل شروحات لا تنطوي عليها معاجمنا ، وتكاد تكون غريبة عليها . ولهذا فإن كتاب الجيم يمكن تسميته معجماً على سبيل التجوز والتوسع ، لأنه يهتم بالألفاظ الغريبة التي لا يكاد يعرفها غيره ، والتي تنسب إلى قبائل معينة قديمة .

وقد طبع كتاب الجيم سنة ١٩٧٤ - ١٩٧٥ م في ثلاثة أجزاء ، ضمن منشورات مجمع اللغة العربية في القاهرة ، بتحقيق : إبراهيم الأبياري ، وعبد العليم الطحاوي ، وعبد الكريم المزباني .

٢ - جوهرة اللغة : لابن دريد (- ٣٢١ هـ) : رتب مواده على الحروف الهجائية بحسب أوائل الأصول ، من حيث المبدأ . ولكن ابن دريد عني في الوقت نفسه بإيراد تقاليب المادة في أول موضع تذكر فيه ، متأثراً في هذا الجانب وحده بطريقة الخليل صاحب « العين » ، مع تعديلات أخرى جعلت الرجوع إلى الجوهرة لا يخلو من صعوبات . فهو إذا ذكر مادة « برح » في باب الباء وشرحها ، أورد بعدها مباشرة سائر تقاليبها وشرح مفرداتها أيضاً : « بحر ، ربح ، رجب ، حبر ، حرب » . فإذا وصل إلى باب الحاء لم يذكر فيه مادتي « حبر » و « حرب » لأنه أوردتهما في باب الباء مع مادة « بحر » . وفي باب الراء لا يذكر مادتي « ربح » و « رجب » لأن ذكرهما سبق في باب الباء أيضاً .

(١) اقتصرنا في التعريف بهذه المعاجم الأربعة على كلمة موجزة توضح طريقة كل منها بشكل عام ، دون الدخول في التفاصيل .

تم ان ابن دريد قسم كل باب من أبواب معجمه الى فئات وأبواب أخرى جزئية ، مثل : باب الثنائي ، والثلاثي ، والنوادر ، واللفيف ، والرابعي ، والخماسي ، وما جاء على اوزان معينة . . . الخ . وربما كان فقدان المنهجية في كتابه عاندا الى أن ابن دريد أملاه من حفظه . وفي هذه الطريقة من التأليف مزائق وعيوب كثيرة .

طبع كتاب الجوهرة في حيدر آباد سنة ١٣٤٤ هـ في ثلاثة مجلدات ، وضم اليها مجلد رابع للفهارس أعده محمد السورتي والمستشرق كرتكو . ثم طبع الكتاب ثانية بطريقة التصوير .

٣ - **مقاييس اللغة** : لأحمد بن فارس (- ٣٩٥ هـ) وهو مرتب على الأوائل . لكنه التزم بامرین اثنين يخرجانه عما ألفناه : فقد قسم كل باب من أبواب حروفه الى ثلاثة أقسام : ثنائي ، وثلاثي ، وما زاد على الثلاثي . ثم ان الحرف الثاني في كل مادة أصلية لم يكن يبدأ عنده من أول الحروف الهجائية ، بل من الحرف التالي لأول الكلمة حتى ينتهي الى آخر الحروف الهجائية ، ثم يرجع ثانية لاستيفاء الحروف السابقة . للحرف الذي عقدت له المادة المطلوبة .

طبع « مقاييس اللغة » في القاهرة في ستة أجزاء بتحقيق عبد السلام هارون سنة ١٣٦٦ هـ . ثم طبع ثانية سنة ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م . وأعيدت طباعته بعد ذلك أيضاً ، بطريقة التصوير ، في كل من مصر وايران .

٤ - **مجلد اللغة** : لأحمد بن فارس ، أيضاً . وهو معجم موجز ، يهتم بإيراد الألفاظ المأنوسة وينأى عن الوحشي المستنكر منها . وقد رتب ابن فارس على الأوائل . وقد قسم الباب الى ثلاثة أقسام : ثنائي ، وثلاثي ، وما زاد على الثلاثي . كما فعل في « المقاييس » ، وسرد ألفاظ المادة الواحدة تباعاً . كما أنه التزم هنا بالأمر الثاني الذي أوردناه في كلامنا على مقاييس اللغة .

طبع « مجلد اللغة » طبعتين ظهرتتا في زمن واحد تقريباً :

الأولى : حققها زهير عبد المحسن سلطان ، وطبعت في بيروت سنة ١٩٨٤ م في مجلدين كبيرين .

والثانية : حققها هادي حسن حمودي ، ونشرها معهد المخطوطات العربية في الكويت سنة ١٩٨٥ م في خمسة أجزاء متوسطة الحجم .



وامتدت السنوات بعد ابن فارس قرناً ونصف القرن ، ومؤلفو المعاجم المرتبة على الأوائل يطورون هذه الطريقة خطوة خطوة ، ويمهدون لنضجها واكتمالها في معاجم عامة أو متخصصة : كأحمد الهروي (- ٤٠١ هـ) وأبي المعالي البرمكي (- ٤١١) ، ومحمد بن أبي بكر الأصفهاني (- ٤٨١) والراغب الأصفهاني (- ٥٠٢) حتى جاء الزمخشري (- ٥٣٨) فكان معجمه « أساس البلاغة » أول معجم قديم تمثلت فيه تلك الطريقة المنطقية الواضحة ، والخالية من التعميد والالتواء . وسار على خطاه مؤلفو المعاجم من بعده حتى يومنا هذا . وأصبحت هذه الطريقة - كما أسلفنا - هي المعمول عليها في مختلف الميادين اللغوية وغير اللغوية .

وهذه أشهر المعاجم انقديمة التي التزمت طريقة الترتيب الهجائي على الأوائل في صورتها المكتملة الناضجة :

- ١ - أساس البلاغة : للزمخشري (- ٥٣٨ هـ)
- ٢ - النهاية في غريب الحديث والأثر : لمجد الدين بن الأثير (- ٦٠٦ هـ)
- ٣ - المغرب في ترتيب المعرب : لناصر الدين المظري (- ٦١٠ هـ)
- ٤ - المصباح المنير : للفيومي (- ٧٧٠ هـ) .

والطريقة العامة في استخراج الكلمة في هذا النوع من المعاجم هي نفسها التي ذكرناها سابقاً ، من حيث تجريد الكلمة من الزوائد ، وفك التضعيف ، ورد حرف العلة الى أصله ، ورد ما حُذِفَ من الكلمة إليها .

ونتكلم الآن على اثنين من هذه المعاجم ، هما : أساس البلاغة للزمخشري ، والمغرب للمظري .

أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ : للزمخشري

ألفه العلامة الزمخشري ، محمود بن عمر « - ٥٣٨ هـ » صاحب المؤلفات القيمة في النحو ، واللفظ ، والتفسير ، والحديث . أصله من « زمخشري » إحدى قرى خوارزم . وتتلذذ لأفاضل العلماء ، وتقلَّب في البلاد ، ولا سيما بغداد ومكة . وكان من أئمة الفكر العربي ، واسع العلم ، معتزلي الاتجاه . ومن كتبه : تفسير الكشاف ، والمفصل في النحو ، والمستقصى في الأمثال .

• وكتابه « أساس البلاغة » من أقدم معاجم الألفاظ التي تمثلت فيها تلك الطريقة الهجائية السهلة • وقد قسمه الى ثمانية وعشرين باباً ، يحدد حروف الهجاء ، بدءاً من الهمزة الى الياء • ونال هذا المعجم حظوة بالغة لدى اللغويين ، كما عرف الباحثون والدارسون فضله الكبير ، وأهميته القصوى ، لما يتحلى به من مزايا وخصائص لا تتوافر في نظائره من المعاجم الأخرى •

وهذه انخصائص نجملها فيما يلي :

١ - انه يميز بين الحقيقة والمجاز في شرح معاني الألفاظ : فيذكر المعاني الحقيقية لألفاظ المادة أولاً ، ثم ينتقل الى ذكر المعاني المجازية • ومثال ذلك قوله في مادة « حلو » :

« حلا الشيء » ، واحلولى ، واستحللاه ، واحلولاه • قال :

فلو كنت تُعطي حين تُسأل سامحت

لك النفس واحلولاك كل خليل

وحلوت الفاكهة : نضجت • وهو يحب الحلوي • • •

ومن المجاز : حلّى فلان في صدري ، وفي عيني • قال :

فلم يحل في العيتين بعدك منظر • • •

وهو حلو اللقاء ، وحلو الكلام • • • وجارية حلوة المنظر ، وحلوة العيين •

٢ - ويلاحظ في المثال السابق من مادة « حلو » وغيرها أن الزمخشري لا يشرح معاني الألفاظ الا عند الضرورة ، كقوله : « حلوت الفاكهة : نضجت » • ولكنه يستعيز عن الشرح بإيراد تلك الألفاظ في تراكييب مؤلفة ، وأمثلة فصيحة من الشعر والنثر تجعل معنى اللفظة واضحة ، كما رأيت في قوله : « وهو حلو اللقاء ، وجارية حلوة المنظر » •

وهذه الطريقة بارعة ناجمة ، لأنها تيسر للقارئ الوصول الى معنى الكلمة وطريقة استعمالها في آن واحد ، وتجعل ذلك منه على حبل الذراع وتمنح اللفظ حياة وإيجام وظلا معبراً من خلال الجملة المركبة ، والفصيح الماثور من الكلام •

٣ - وهذا ما جعل الزمخشري يكثر من الشواهد الشعرية ، والأمثال والحكم ، والجمل الفصيحة التي يتخيرها من القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، وعيون كلام الأدباء وعبارات المبدعين الذين يقتدى بأساليبهم ويحتذى على مثالهم .

وهذه الخصائص تجعل من « أساس البلاغة » معجماً فنياً أدبياً بلاغياً ، يفري بالمطالعة والاقتباس ويشد القارئ شداً ، لما فيه من متعة وفائدة ، الى جانب فائدته اللغوية .

غير أنه - على جلالة قدره - لم يستوعب جميع مفردات اللغة العربية ، ولا حاول مؤلفه ذلك ، لأنه ألف كتابه هذا لغرض بلاغي أسلوبى ، وهو التمييز بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية للألفاظ ، وبيان أوجه استعمالها . وهذا ما جعله ضمن ذلك الاطار ، لا يكاد يتعداه .

يضاف الى ذلك أنه أهمل الألفاظ الغريبة أو النادرة ، وصب اهتمامه على ما هو مألف من الألفاظ الثلاثية وما زيد عليها ، ومن ثم كان نصيب الأصول الرباعية فما فوقها قليلاً عنده أو ضئيلاً .

طبع « أساس البلاغة » مراراً ، وأجود طبعاته تلك التي نشرتها دار الكتب المصرية في مجلدين سنة ١٣٤١ هـ . كما طبع في بيروت في مجلد واحد ضمن سنة ١٩٦٥ م . ثم صدرت طبعات أخرى مصورة عن طبعتي مصر وبيروت أيضاً .

* * * * *

المقرب : للمطرزي

المطرزي : هو أبو الفتح ، ناصر الدين بن عبد السيد ، الخوارزمي الحنفي ، الشهير بالمطرزي ، نسبة الى من يطرز الثياب ويرقمها . وربما كان أحد أجداده يتعاطى ذلك . وقد نشأ المطرزي في « الجرجانية » قسبة اقليم خوارزم ، وفيها تعلم ودرس على علمائها . طاف الأمصار ونال شهرة واسعة وانتفع به الناس انتفاعاً يعد أن وجدوا فيه اماماً حاذقاً في الفقه والحديث ،

جامعاً لشتات العربية وعلومها وآدابها ، وتوفي بخوارزم سنة ٦١٠ هـ .

ومن مؤلفاته : المغرب ، والمصباح في النحو ، وشرح مقامات الحريري ،
والمعرب في اللغة .

وكتابه « المغرب » معجم لغوي متوسط يعنى بشرح غريب الألفاظ
والمفردات في اللغة العربية ، كما يعنى بضبط أعلام الرجال والبلدان ، وقد
وجه المطرزي عنايته في الشرح الى تلك الألفاظ اللغوية الواردة في كتب الفقه
الحنفي . وهو من هذه الناحية بمنزلة « المصباح المنير » للفيومى في عنايته
بالألفاظ اللغوية الواردة في الفقه الشافعي . فهذان الكتابان معجماً لغة قبل
كل شيء ، وليس موضوعهما تفسير اصطلاحات الفقه .

والمطرزي يحتج في كتابه بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وأقوال
أئمة العربية ، حتى غدا كتاب « المغرب » أشبه بموسوعة ثقافية موجزة متنوعة
الالوان . وهو — على اختصاره واختصاصه — يدل على فضل المطرزي ، وسعة
باعه في اللغة ، وقوة تحقيقه . هذا الى أنه يضم مواد لا تجدها في لسان العرب ،
ولا في تاج العروس ، وهما الموسوعتان العظيمتان في لغة العرب .

وقد استمد المطرزي مادة كتابه وشواهد من مصادر مختلفة ، فقهية ،
ولغوية مثل « العين » و « جوهرة اللغة » و « تهذيب اللغة » و « الصحاح »
و « أساس البلاغة » و « مقاييس اللغة » ، ومن كتب أخرى مثل : أدب الكاتب
لابن قتيبة ، وحماسة أبي تمام ، وكتاب سيبويه ، وغيرها .

وقد كان « المغرب » نفسه مرجعاً لكثير مما ألف بعد المطرزي ، فنجد
نقولا منه في المصباح المنير ، ومختار الصحاح للرازي ، وتاج العروس .

وكان المطرزي قد ألف قبله كتاب « المعرب في اللغة » وهو كبير الحجم
جداً ، ثم اختصره وهذبه ورتبه على حروف المعجم في كتابه الذي نتكلم عليه
هنا ، واسمه الكامل : « المغرب في ترتيب المعرب » مضيفاً اليه زيادات استقاها
من مصادر مختلفة . وأوضح في مقدمة « المغرب » سبب تلك التسمية فقال :

« وترجمته بكتاب : المغرب في ترتيب المعرب ، لغرابة تصنيفه ، ورصانة
ترصيفه ، ولقراءة بين الفرع والمنمى ، والنتيجة والمنتمى » .

أما طريقة المطرزي في « المغرب » فقد رتبها مجائياً على حسب أوائل الكلمات كأساس البلاغة . بعد تجريدتها من الزوائد ، واعادتها الى أصولها المجردة . وجعل لمعجمه ذيلاً يحوي كثيراً من ضوابط اللغة ، ومسائل النحو والصرف ، وحروف المعاني .

طبع كتاب « المغرب » أول مرة في حيدر آباد سنة ١٣٢٨ هـ في جزأين . ثم صدرت له طبعة جديدة بتحقيق : محمود فاخوري ، وعبد الحميد مختار ، وطبعت في حلب سنة ١٩٧٩ - ١٩٨٢ م في جزأين .



وهذه أمثلة نجتزئها من كتاب المغرب تبين شيئاً من محتواه وطريقته في الشرح اللغوي :

(جلد) : « التجليد : من الأضداد . بمعنى ازالة الجلد . ومنه : جلد البعير ، اذا كشطه . وبمعنى وضعه . ومنه : جـُـوـرـب مجلّد : وضع الجلد على أعلاه وأسفله .

والجلّد : ضرب الجلد . ومنه : جلّده الجلاّد . ورجل جلد وجليد : غير بليد . والجلمد ، والجلمود : الحجر المستدير . وميمه لللاحاق .

(جلز) : « الجلاوز ، عند الفقهاء : أمين القاضي ، أو الذي يسمى صاحب المجلس . وفي اللغة : الشرطي ، والجمع جلاويز ، وجلاوزة » .

(جنس) : « الجنس : عن أئمة اللغة : الضرب من كل شيء ، والجمع أجناس . وهو أعم من النوع . يقال : « الحيوان جنس والانسان نوع » ، لأنه أخص من قولنا : حيوان ، وان كان جنساً بالنسبة الى ما تحته . والمتكلمون على العكس يقولون : الألوان نوع ، والسواد جنس .

ويقال : فلان يجانس هذا ، أي يشاكله . وفلان يجانس البهائم ، ولا يجانس الناس ، اذا لم يكن له تمييز ولا عقل . قاله الخليل .

وعن الأصمعي أن هذا الاستعمال مولد . والذي أفاد أهل اللغة بالجنس أن ما شاركه فيما لأجله يستحق الاسم كان هو مع ذاك ضرباً واحداً . والأول مذهب الفقهاء »

معاجم الألفاظ «الحديثة»

تمهيد

فإذا وصلنا الى العصر الحديث لاحظنا ازدهار التأليف المعجمي ، وكثرة عدد معاجم الألفاظ . وافتنان أصحابها في محاولات التلاؤم وطبيعة هذا العصر وجوانبه العلمية والفنية والحضارية ، ومحاولتهم تجنب المزالق والمشكلات التي أخذت على المعاجم القديمة ، ولا سيما فقدان الترتيب المحكم فيما بين مفردات كل مادة ، وترك بعض الكلمات بلا شرح ، اكتفاء بشهرتها لدى الناس ، وإيراد ألفاظ غير معجمية ، كاسماء البلدان ، وأعلام الأشخاص ، وما الى ذلك .

وكان اللغويون اللبنانيون سابقين الى تأليف المعاجم الحديثة منذ أواسط القرن التاسع عشر للميلاد ، واستمرت معاجمهم أخذة طريقها الى حسن التنظيم ، وجودة التنسيق ، ويسر التناول ، وتدوين جملة صالحة من الكلمات المستحدثة ، والمصطلحات الجديدة في مختلف الميادين ، على تفاوت في مدى الاستيعاب والشمول . ولكن هذه المعاجم لا يخلو بعضها من عثرات لغوية وفنية وعلمية ، وماخذ تتصل بالتاريخ والتراث . الا أنه يمكن القول : ان تلك العثرات والمآخذ بدأت تتلاشى وتختفي تدريجيا ، سواء أكان ذلك فيما يؤلف حديثاً أم كان فيما يعاد فيه النظر مما ألف قبلاً .

وقد هجر أصحاب هذه المعاجم الحديثة طرائق الخليل ، والجوهري ، وابن دريد ، وابن فارس ، ووجدوا في طريقة « أساس البلاغة » للنزمخشري ، والمغرب ، والمصباح المنير ، سبيلاً ممهداً لا عُسْر فيه ، فالتزموا تلك الطريقة .

وكان بطرس البستاني « - ١٨٨٣م » أسبق اللغويين المعاصرين الى تأليف معجم حديث سماه « محيط المحيط » ثم اختصره في معجم آخر سماه « قطر المحيط » .

وتبعه سعيد الشرتوني « - ١٩١٢ » في معجمه « أقرب الموارد » الذي يقع في ثلاثة مجلدات . وتوالت بعد البستاني والشرتوني معاجم عديدة مثل : معجم الطالب : لـ جرجس همام الشويري « - ١٩٢١ م » والمعتمد : لـ جرجي شاهين عطية « - ١٩٤٦ م » وقد طبع معجمه هذا سنة ١٩٢٧ م . و « البستان »

ومختصره « فاكهة البستان » وهما لعبد الله البستاني « - ١٩٣٠ م » و « المنجد » الذي ألفه لويس معلوف « - ١٩٤٦ م » واختصروه بعد ذلك في « منجد الطلاب » . وأخيراً ظهر معجم « متن اللغة » بمجلداته الخمسة « لأحمد رضا العاملي » - ١٩٥٣ م . وكان قد سبقه الى الظهور جزء من « المعجم » لعبد الله العلياني الذي طبع سنة ١٩٥٤ م ويضم مواد من حرف الهمزة فقط : « أ - آيس » . ثم توقف بعد ذلك . ولو قدر له أن يكتمل لكان أفضل معجم مطول حديث يمكن الركون اليه ، والوثوق به .

وفي سورية صدر معجم مختصر سنة ١٩٤٧ م باسم « المعجم المدرسي » لزين العابدين التونسي الدمشقي ، وهو لطيف الحجم ، سهل المأخذ ، خال من الحشو . كما صدر أخيراً معجم ثان يحمل الاسم نفسه « المعجم المدرسي » في مجلد واحد بلغت صفحاته ١١٨٣ ، ونشرته وزارة التربية ، وطبع في دمشق ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م . وقد ألفه محمد خير أبو حرب ، وشاركه آخرون في التأليف ، والمراجعة ، والتدقيق اللغوي (١) . « وقد روعي في هذا المعجم أن يكون واضح الأسلوب ، محكم التبويب ، ملتزماً للغة الفصيحة في عبارته ، مؤثراً الدقة والوضوح في شرح الفاظه أو تعريفها . . . موسماً صدره للجديد من لغة العلم والأدب والفاظ الحضارة » (٢) .

أما في مصر فقد قام مجمع اللغة العربية بشيء من النشاط اللغوي والمسمى الحميد ، فأخرج للناس سنة ١٩٦٠ المعجم الوسيط ، ثم شرع أعضاء ذلك المجمع في اعداد معجم ضخم سموه « المعجم الكبير » الذي نشر منه المجلد الأول ، في صورته النهائية ، سنة ١٩٧٠ م ويضم حرف الهمزة ، وأعقبه المجلد الثاني سنة ١٩٨٢ ويشتمل على المواد المبدوءة بحرف الباء . وهم يزعمون تخصيص كل مجلد بحرف . وإذا سار الامر على ما ترى ، فسوف تطول قصته جداً ، اذا لاحظنا قضية تأليفه واعداد مواده .

وفي العراق بدى بنشر معجم « المساعد » لأستانس الكرمل « - ١٩٤٧ م » ،

(١) ذكرت أسماؤهم في الصفحة الأخيرة من « المعجم المدرسي » الذي امتد العمل فيه بضعة عشر عاماً .

(٢) تجدر الإشارة هنا الى أن ثمة معجماً أخرجه أحمد قبش في دمشق سنة ١٩٨٥ في مجلد واحد باسم « المعجم القيصلي » الا أنه حدا فيه حذو « القاموس المحيط » في مراعاة آواخر الأصول ، وترتيبها بحسب الياء والفصل .

وقد طبع جزؤه الأول بحجم كبير سنة ١٩٧٢ ويضم « أ - اليوس » بتحقيق كوركيس عواد ، وعبد الحميد العلوجي . ثم تبعه الجزء الثاني سنة ١٩٧٦ م وتبدأ مواد ب « أم » وتنتهي ب « بشيزج » . وهذا المعجم يوجه عنايته الى استدراك ما فات المعاجم العربية القديمة .



ونتكلم ، فيما يلي ، على معجمين اثنين من المعاجم الحديثة ، هما : المنجد ، والمعجم الوسيط .

المنجد

الفه أول مرة لؤيس المعلوف المتوفى سنة ١٩٤٦ م ، وصدرت طبعته الأولى سنة ١٩٠٨ م في بيروت .

وهو معجم حديث متوسط الحجم ، كان الهدف من تأليفه تلبية الحاجة الى معجم مدرسي موسع يفيد الطلاب ، ويعين المتأدب الناشئ ، ويكون قريب المأخذ ، ليس بالمخل المعوز ، ولا بالطويل الممل .

وقد اعتمد فيه المؤلف على أمهات الكتب اللغوية ، قديمها وحديثها : كالأساس ، والمصباح ، ومختار الصحاح ، واللسان ، والقاموس المحيط ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد . فجاء معجمه خالياً من فضول القول ، والاستطرادات ، مكثف المادة ، غزيرها .

وقد توالى طبعات « المنجد » في حياة مؤلفه وبعد مماته . وكان المشرفون عليه قد ألحقوا بطبعته الخامسة عشرة ١٩٥٦ م معجماً آخر للأدب والعلوم ، والمعارف المختلفة ، قام بإعداده فرديناند توتل (١) ، وكان أكثر اعتماده فيه على ما ضمته الموسوعات الأجنبية ، وهذا ما جعل قلبه يزل في مواضع لا يحصيها العد ، بعضها يتصل بالأعلام ضبطاً ورسماً ، وبعضها يتعلق بالمواد المدونة نفسها .

(١) طبع هذا المعجم مع « المنجد » في مجلد واحد . كما طبع في بعض السنين وحده منفصلاً ، لسهولة التناول .

وخلال السنوات التي تعاقبت على طبع « المنجد » بقسميه ، تناوله عدد من الباحثين العرب بالنقد ، وكشفوا ما فيه من مأخذ ، منها تأثره بأراء بعض المستشرقين وغيرهم ممن يفتقرون الى سلامة الطولية ، في أمور تتصل باللغة والتراث معاً ، وانطواؤه على كثير من الكلمات العامية والمولدة .

وقد اهتم القائمون على « المنجد » بتلك الملاحظات والنقود ، وسعوا الى تداركها وتلافيتها حتى يكون خالياً من أي وهم أو مأخذ وذلك بإشراك العشرات من ذوي الاختصاص اللغوي والفكري والفني ، الذين صححوه وأدخلوا عليه تحسينات كبيرة خلال تلك السنوات ، كما زادوا فيه كثيراً من الألفاظ الدخيلة ، والاصطلاحات العلمية والفنية ، والمفردات المستحدثة في مختلف ميادين المعرفة ، واتسع انتشاره ، وتعددت طبعاته ، حتى ظهرت طبعته الرابعة والعشرون سنة ١٩٨٠ م في حلة جديدة ، ليس لها من ماضيها الا الاسم وبعض الوشم ، أما النسيج بلحمته وسداه فقد تعاورته أيد كثيرة ، بعضها معروف ، وبعضها الآخر مجهول ، حتى فقد « المنجد » طابعه السابق المألوف ، ولو رآه صاحبه نفسه لأنكره ، ولظن أنه لمؤلف آخر . بل ان ناشريه أيقنوا ذلك ، فأسقطوا اسم مؤلفه ، وتركوا العنوان مغفلاً منه (١) .

ويمتاز « المنجد » اللغوي ، في طبعته الأخيرة ، بالخصائص التالية ، ومعظمها متوافر في الطبعات السابقة أيضاً :

١ - رُتبت فيه مفردات كل مادة ترتيباً محكماً يسهل العثور على الكلمة المنشودة ، بلا عناء ، من حيث البدء بالفعل المجرد ، فالزيد ، فبقية ألفاظ المادة من الأسماء الجامدة والمشتقة . وجعلت كل « كلمة أم » باللون الاحمر ، أصلية كانت أو مشتقة ، تسهيلاً لاستعمال الكتاب ، وضناً بوقت القارئ .

٢ - ولاحظ القائمون على أمر « المنجد » أن للأصل الثلاثي والرباعي معاني متعددة ، منها ما يتفرع بعضه على بعض ، ومنها ما يختلف بعضه عن

(١) ذكرنا هذا كله لنعرف القارئ بما طرأ على « المنجد » من تغيير وتبديل بعد موت مؤلفه من جهة ، ولكثرة ما في أيدي الناس من طبعاته المختلفة من جهة أخرى ، حتى يكون مقتنوه على بينة من أمر ذلك الاختلاف بين الطبعات المتداولة التي قاربت الثلاثين حتى اليوم (١٩٨٨) ما بين طبع وتصوير .

بعض ، فرتبوا الكتاب - في طبيعته الجديدة - وفقاً للمعاني ضمن المواد نفسها ، بحيث قسمت كل مادة الى فصول مختلفة ، ومجموعات متجانسة • واصطلحوا على أن وجود نجم صغير (★) بعد الكلمة يشير الى أن هذه الكلمة لها - في فصيلة أخرى من المادة نفسها - معنى آخر مختلف •

٣ - واتخذت في المتجد رموز واصطلاحات خاصة ، توخياً للاختصار وتجنباً للتكرار ، نذكر هنا بعضها :

فا : تعني اسم الفاعل

مفع : تعني اسم المفعول

ج : تعني الجمع

جج : تعني جمع الجمع

مص : تعني المصدر

م : تعني المؤنث

هـ : تعني المفعول به

ز : تعني زراعة

فك : تعني علم الفلك

ن : تعني علم النبات

فج : تعني الفنون الجميلة

|| : هذه العلامة تقوم مقام الكلمة المفسرة ، عند

تعدد معانيها ، فتعني عن ذكرها ثانية وثالثة ••

مثل : (العين : الباصرة || الاصابة في العين ||

الانسان || السيد ••)

- : هذا الخطيط يقوم مقام الكلمة المفسرة اذا كانت

فعلاً ، فهو يغني عن اعادتها ، مثل : (أشكال

الامر : التبس || و - الكتاب : قيده بالحركات) •

- : لبيان أن عين المضارع مفتوحة

- ١ - لبيان أن عين المضارع مكسورة
٢ - لبيان أن عين المضارع مضمومة
٣ - لبيان أن عين المضارع يجوز فيها الضم والكسر .

٤ - خوى صوراً ورسوماً مختلفة يزيد عددها على الألف ، ولوحات ملونة تزيد على الأربعين ، غايتها التوضيح والتعريف ، وتثبيت المعاني والدلالات في الأذهان .

٥ - قدم له المؤلف ، منذ طبعته الأولى ، بذكر بعض الأحكام الصرفية القياسية ، يستعين بها القارئ : كمعاني صيغ الزيادة في الأفعال ، والمذكر والمؤنث ، والمثنى ، والجمع ، والنسبة ، والتصغير ، وصوغ المشتقات ، وبعض قواعد الاملاء ولا سيما كتابة ألهمزة في وسط الكلمة وآخرها .

٦ - وفي آخره ملحق بعنوانه « فرائد الأدب » كان المؤلف قد وضعه أيضاً ، وهذا الباب يضم عدداً وافراً من الأمثال العربية والحكم السائرة ، مشروحة ومرتبة ترتيباً هجائياً بحسب الكلمة الأولى من المثل أو الحكمة . ويقع هذا الملحق في ست وأربعين صفحة .

٧ - ويأتي بعد ذلك « المتجدد في الإعلام » الذي أعده فرديناند توتل طبعته الأولى سنة ١٩٥٦ . وهو أشبه بدائرة معارف مختصرة تضم معلومات غنية عن الشرق والعالم العربي والحضارة الإسلامية ، وأهم أحداث العالم ، ودراسة موجزة لأعلام الشرق والغرب وأهم المدن فيهما . وهو يضم (١٠٦٠٠) مادة ، الى جانب مئات اللوحات الملونة ، والرسوم المختلفة ، والخرائط الجغرافية ، وما الى ذلك . وقد رتب مواد على حروف الهجاء بحسب الأوائل .

المعجم الوسيط

قام بعبد نشر هذا المعجم : مجمع اللغة العربية في القاهرة ، الذي وكل وضعه الى لجنة من أعضائه ، واستمر العمل فيه عشرين عاماً ١٩٤٠ - ١٩٦٠ حين ظهرت طبعته الأولى في مجلدين ضخمين ، وقام بإخراجه وتولى أمر تنسيقه ومراجعته أربعة من أعضاء المجمع وهم : إبراهيم مصطفى ،

وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر ، ومحمد علي النجار . وأشرف على طبعه عبد السلام هارون . وكان الهدف من هذا العمل « وضع معجم يقدم الى القارئ المثقف ما يحتاج اليه من مواد لغوية ، في أسلوب واضح ، قريب المأخذ ، سهل التناول » . وبذلك « تهيأ لهذا المعجم ما لم يتهيأ لغيره من وسائل التجديد ، واجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره من خصائص ومزايا » وهو — بالقياس الى ما سبقه من معاجم حديثة — « أوضح ، وأدق ، وأضبط ، وأحكم منهجاً ، وأحدث طريقة » وهو فوق كل هذا مجدد ومعاصر ، يضع ألفاظ القرن العشرين الى جانب ألفاظ الجاهلية وصدر الاسلام « (١) فجاء مشتملاً على نحو ثلاثين ألف مادة ، ومليون كلمة ، وستمئة صورة .

ونذكر هنا أهم الخصائص والمزايا التي توافرت للمعجم الوسيط :

١ — أدخل في متنه « ما دعت الضرورة الى ادخاله من الألفاظ المولدة أو المحدثه ، أو المعربة ، أو الدخيلة ، التي أقرها مجمع اللغة العربية وارتضاها الأدباء فتحركت بها ألسنتهم ، وجرت بها أقلامهم » . فهو اذا يسجل مظاهر التطور الحضاري والعمراني ، ويضع بين أيدي الباحثين ثروة لغوية ثمينة ، بعد صقلها بالصقال العربي ، وتطويعها للتداول والاستعمال ، مثل :

— « العميد » : السيد المعتمد عليه في الأمور . ومدير الكلية في الجامعة . ورتبة من رتب الجيش والشرطة فوق العقيد ودون اللواء . ج عُمَداء

— « بسطِرمه » : لحم فخذ يعالج بالشوم والتوابل ، ثم يُضفط ويقدّد .
— « بسكويت » : أقراص هشة تُتخذ من دقيق ، وبيض ، وسكر ، وقليل من الدهن .

٢ — وعينت لجنة المعجم باثبات الحي المانوس من الكلمات والصيغ ، وخصوصاً ما يشعر الطالب والمترجم بالحاجة اليه ، مع مراعاة الدقة والوضوح في شرح الألفاظ أو تعريفها .

٣ — وجاء في المقدمة أن اللجنة « أهملت كثيراً من الألفاظ الحوشية الجافية ، أو التي هجرها الاستعمال ، لعدم الحاجة اليها ، أو قلة الفائدة منها ،

(١) العبارات المحصورة بين الأهلة مأخوذة من مقدمة المعجم الوسيط .

كـبعض لـسـماء الـابل ، وـصفـاتها ، وأـدوائـها ، وطـرق عـلاجـها ، وأـهـمـلت كـذلك الـألفـاظ الـتي أـجمـعت المـعـاجـم عـلى شـرحـها بـعـبارـات تـكـاد تـكون وـاحـدة ، شـرحـا غـامـضـاً مـقتـضـبـاً ، لا يـبين حـقـائـقـها ، ولا يـقـرب مـعـانيـها » .

ومـع ذـلك لم تـلتـزم اللـجـنة بـهـذا الشـرط ، فـذـكرت كـثـيراً مـن الـألفـاظ الحـوشـية أو المـهـجـورة . ومـن أمـثـله ذـلك :

— في مادة « هل ع » : « ناقة هلواع : سريعة ، شديدة ، .. » الخ .
— في مادة « درص » : « درصت الناقة ونحوها : تكسرت أسنانها كثيراً فهي درصام » .

— في مادة « درف » : « درفس : ركب الدرفس من الابل . والدرفاس : الضخم العظيم من الانسان والحيوان .. » ، والدرفس : الدرफاس ، والناقة السهلة السير ، والكثيرة لحم الجنين . ج درافس » .

٤ — « واستعانت اللجنة في شرحها للألفاظ بالنصوص والمعاجم التي يعتمد عليها ، وعززته بالاستشهاد بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأمثال العربية ، والتراكيب اللغوية الماثورة عن فصحاء الكتاب والشعراء » .

٥ — قد يكون للفعل الثلاثي الواحد عدة أبواب ومصادر متحدة المعاني ، مثل (نبع) ، اذ يقال :

— نبع الماء ينبع (من الباب الأول) نبعا ونبوعا ونبعانا .

— نبع الماء ينبع (من الباب الثاني) نبعا ونبوعا ونبعانا .

— نبع الماء ينبع (من الباب الثالث) نبعا ونبوعا ونبعانا .

وفي هذه الحالة تلجأ اللجنة الى الاختصار في ذكر أبواب الفعل ، وتكتفي بذكر باب واحد ، وهو « الباب الأول » ، كما تهمل المصدر الاخير « النبعان » ، لقلّة استعماله وعدم شهرته .

أما اذا اختلف معنى الفعل باختلاف الباب ، فتذكر الأبواب كلها ، كما في الفعل (قدم) ، وكذا اذا اختلف معنى المصدر باختلاف صيغه فانها تثبت الصيغ كلها ، مثل : « ثبات ، وثبوت » و « دعوة ، ودعاء ، ودعاية » . وكذلك الحال في المجموع .. الخ .

٦ - وفي مجال التعريف بالأعلام المختلفة حاولت اللجنة تجنب ذلك والاقتصار على اللغة قديمها وحديثها ، ومع ذلك قد يذكر من الأعلام ما تدعو الضرورة الى التعريف به في اقتضاب وإيجاز ، مثل : تأبط شراً ، والاشديد ، والارماد ، والأناضول ، والقُلزُم ، وإلياء ٠٠٠ الخ .

٧ - وفي كل مادة من مواد المعجم الوسيط قدمت الأفعال على الأسماء ، والمجرد على المزيد من الأفعال ، والفعل اللازم على الفعل المتعدي ، كما قُدم المعنى الحسي على المعنى العقلي ، والحقيقي على المجازي .

٧ - وهناك رموز استعملت في هذا المعجم ، طلباً للاختصار ، مثل :

« ج » : لبيان الجمع

« ٢ » : لبيان ضبط عين المضارع بالحركة التي توضع فوق الخطيط أو تحته .

« - » : للدلالة على تكرار الكلمة لمعنى جديد .

« مو » : للمولد ، وهو اللفظ الذي استعمله الناس قديماً بعد عصر الرواية ، مثل : العتال ، والعيار الفاري ، وقِطاع الدائرة ، والقِطاع الصناعي ٠٠ (بكسر القاف وتخفيف الطاء) ، وكقولهم : (ترجمة فلان) بمعنى سيرته وحياته .

« مع » : للمعرب ، وهو اللفظ الأجنبي الذي غيره العرب بالنقص ، أو الزيادة ، أو القلب ، نحو : الطنجرة ، والفلسفة ، والفنجان ، والموسيقار ، والفولاذ ٠٠٠٠

« د » : للدخيل ، وهو اللفظ الأجنبي الذي دخل العربية دون تغيير ، كالأكسيجين ، والسيجارة ، والتليفون . وكذا ما يشتق منه كقولهم : بستر اللبن أي عقمه ٠٠٠

« مَج » : للفظ الذي أقره مجمع اللغة العربية ، مثل : الرأسمالية ، والمُغَم (للعبة المحشوة بمواد متفجرة) ، والتعريف (للقائمة التي تحدد ائتمان السلع ورسوم النقل) ٠٠

« محدثة » : للكلمة التي استعملها المحدثون في العصر الحديث ، وشاعت

في لغة الحياة العامة ، مثل : المُشير (من بلغ أعلى رتبة في الجيش) ، والمبوة (مقدار ما يملأ قارورة ونحوها) ، وعجلة القيادة (التي يوجه بها السائق السيارة ونحوها) . . .

ظهرت الطبعة الأولى من المعجم الوسيط سنة ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م في جزأين كبيرين بلغ عدد صفحتيهما ١٠٨١ ثم أعاد مجمع اللغة العربية طبعه ثانية سنة ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م بعد أن راجعت طبعته الأولى لجنة جديدة ، فسدت ما فيه من ثغرات ، وعدلت بعض مواده وشروحه اللغوية ، وأضافت إليه طائفة من أمهات المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة . وبذلك فقدت الطبعة الأولى كثيراً من قيمتها العلمية . ومع ذلك ، فقد تسرعت دور النشر « الصحافية » إلى تصوير كلتا الطبعتين ، بلا تمييز بينهما . ثم نُشر « مجمع اللغة العربية » الثالثة للمعجم الوسيط سنة ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م مع تعديلات وزيادات أخرى على الطبعتين السابقتين (١) .



ومنذ أوائل عشر الستين من هذا القرن بدأت تظهر في لبنان دعوة إلى إهمال الأصول المجردة ، في تأليف المعاجم العربية ، وإلى ترتيب الكلمات والمفردات اللغوية ترتيباً هجائياً على حسب نطقها ، دون تجريدتها من الزوائد ، أو العودة إلى أصولها . فتذكر مثلاً كلمة « استرسال » في باب الهمزة ، وكلمة « تراسل » في باب التاء ، و « رسول » في باب الراء ، و « مراسلة » في باب الميم – على طريقة المعاجم الأجنبية – مع أن هذه الكلمات الأربع : « استرسال ، تراسل ، رسول ، مراسلة » تعود جميعاً إلى أصل ثلاثي واحد ، وهو « رسل » .

وانحطت هذه الدعوة طريقها إلى الظهور والانتشار ، على استحياء وترجح بين النقاد والباحثين ، لأنها لم تلق ترحيباً كثيراً لدى جمهور الأدباء وذوي الاختصاص ، من لغويين وغيرهم ، الذين رأوا في هذه الطريقة تمزيقاً لشمل الألفاظ العربية التي تنتمي كل أسرة منها إلى أصل واحد ، أو مادة واحدة ، فتفقد أشلاء مبعثرة ، لا نسب بينها ولا ترابط ، وبذلك تفقد اللغة العربية ميزة من أهم ميزات ، وهي الاشتقاق .

(١) وكان مجمع اللغة العربية في مصر قد أصدر سنة ١٩٨٠ م معجماً أصغر من المعجم الوسيط يلائم صغار الناشئين ، وسماه « المعجم الوجيز » في مجلد واحد . وسلك فيه السنة نفسها التي سلكها في إخراج المعجم الوسيط .

وهذه الطريقة اذا اقتضتها طبيعة اللغات الأجنبية - التي لا تقوم على الاشتقاق ولا تُعنى به - فانها تجافي لغتنا العربية . ومع ذلك فقد لقيت تلك الدعوة صدى مقبولا يتجاوب واياها ، ووسعت صدور نفر من المعاصرين ، ندبوا أنفسهم الى تصنيف معاجم رتبت كلماتها فرادى ، على حسب نطقها . ولكن أولئك المصنفين لم يلتزموا بتلك الطريقة التزاماً تاماً ، بل بقوا مشدودين الى التراث بخيط دقيق ، وكأنهم- أيقنوا انه لا غنى عن هذه الوصلة بين الماضي والحاضر ، ولا محيد عن شيء من القواعد الموروثة .

من ذلك مثلاً انك تجد فعل « انتبه » في باب الهمزة ، كما هو منتظر ، ولكن اسم الفاعل « منتبه » لا يذكر في موضعه من باب الميم . والمصدر « انتباه » لا يذكر أيضاً في موضعه من باب الهمزة ، اكتفاءً بذكره مع الفعل نفسه ، أو ثقة بمعرفة القارئ له .

ومن ذلك أيضاً أن بعض مصنفي تلك المعاجم رغبوا في المحافظة على العلاقة بين الكلمة وأصلها ، فوضّعوا أمام معظم الكلمات المزيدة - ولا سيما المعتلة - أصولها المجردة ، تسهيلاً لمن يريد العودة الى الأصل المجرد في المعاجم القديمة ، أو في المعاجم التي تقوم على رد كل لفظ الى أصله المجرد ، مثل : الأجدم (ج ذ م) ، الاحصاء (ح ص ي) ، اصطف (ص ف ف) ، اصطفى (ص ف و) . وهي فكرة جيدة تحققت جلية في معجم « الرائد » .

ونأتي الآن على ذكر ما وصل اليه علمنا ، واطلعنا عليه من تلك المعاجم ، بحسب تاريخ ظهورها ، وكلها لبنانية ما عدا واحداً ظهر في تونس :

١ - المرجع : معجم وسيط ، ألفه عبد الله العلايلي . وظهر جزؤه الأول في بيروت سنة ١٩٦٣ م . ويتضمن أبواب : (الهمزة ، والباء ، والتاء ، والشام) وقسماً من (باب الجيم) حتى مادة « جندل » . وكان المأمول أن يكتمل هذا المعجم في ثلاثة أجزاء ، الا أن طبعه توقف .

٢ - الرائد : لجبران مسعود . طبع كاملاً في بيروت أول مرة سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م في مجلد واحد بلغت صفحاته ١٦٣٧ صفحة . ثم توالى طبعاته بعد ذلك ، وجُعل في مجلدين اثنين . وأصدر مؤلفه مختصراً له سماه « رائد الطلاب » على الطريقة نفسها .

٣ - المنجد الأبجدي : وركبته التي قام عليها أصلاً هي « المنجد » الذي ألفه لويس المعلوف ، وظهرت طبعته الأولى في بيروت عام ١٩٦٧ م .

٤ - المنجد الاعدادي : مختصر من « المنجد الأبجدي » ، مع حذف الألفاظ القديمة أو القليلة الاستعمال . ظهرت طبعته الأولى في بيروت سنة ١٩٦٩ م ، ثم طبع طبعتين أخريين .

٥ - لاروس ، المعجم العربي الحديث : ألفه الدكتور خليل الجر (اللبناني) ، بمعاونة اثنين من زملائه . ونشرته مكتبة لاروس في باريس سنة ١٩٧٣ م ، ويقع في ١٣٠٧ صفحات ، وله طبعتان : خاصة ، وشعبية .

٦ - القاموس الجديد للطلاب : وهو معجم مدرسي ، ألفه ثلاثة من التونسيين ، وهم : علي بن هادية ، وبلحسن البليش ، والجيلاني بن الحاج يحيى . وظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٧٩ م في ١٥٠٥ صفحات .



ومن النّصف في هذا المقام - ونحن نتحدث عن المعاجم الحديثة - أن ننوه بما بذله بعض المستشرقين من جهود خيرة في ميدان التأليف المعجمي ، وفطانتهم الى أمور فأت المؤلفين العرب ، وان يكن أولئك المستشرقون قد مزجوا في معاجمهم بين العربية والانكليزية ، أو بينها وبين الفرنسية . وأشهر ما وصل إلينا من تواليفهم :

١ - مد القاموس : وهو معجم ضخم يقع في ثمانية مجلدات ، رتبت مواده على طريقة الأساس والمصباح ، وشرحت باللغة الانكليزية التي يتخللها بعض المفردات والشواهد والنصوص باللغة العربية .

وقد ألفه المستشرق الانكليزي « ادوار لين Edward W. Lane المتوفى سنة ١٨٧٦ م . واعتمد فيه على معاجم وكتب لغوية كثيرة ، مخطوطة ومطبوعة . وبدى بطبعه سنة ١٨٦٣ م ، وتم طبع خمسة أجزاء منه في حياة مؤلفه ، ثم أكمله حفيد أخته « ستانلي لين بول Stanli Lane Poole » المتوفى سنة ١٩٤١ م في المجلدات الثلاثة الباقية معتمداً على مسودات مؤلفه . ثم صورت المجلدات الثمانية الأخرى في طبعة ثانية صدرت في بيروت سنة ١٩٦٨ م .

٢ - تكلمة المعاجم العربية : ألفه المستشرق الهولندي (دوزي Dozi) المتوفى سنة ١٨٨٣ م . ونشره بين سنتي ١٨٧٧ - ١٨٨١ م في مجلدين ضخمين ، وضمنه الألفاظ التي لم تذكرها المعاجم العربية غالباً ، مرتبة

بحسب أوائل أصولها المجردة ، ومشروحة باللغة الفرنسية . ويتخلل الشروح بعض المفردات والتعابير العربية محالة الى مصادرها .

٣ - **ذيل المعاجم العربية** : ألفه المستشرق الفرنسي « فانيان Fagnan » المتوفى سنة ١٩٣١ م . وهو في مجلد واحد مختصر . ويمكن أن يعد تكملة للمعجم دوزي .

٤ - **معجم فيشر** : ومؤلفه « فيشر » مستشرق ألماني أمضى في عمله هذا زهاء أربعين عاماً ، وحالت وفاته دون انجاز ذلك المعجم الذي يعنى بتحديد عصر كل لفظة وتطور معانيها خلال العصور المختلفة . وقد نشر مجمع اللغة العربية في القاهرة جزءاً من هذا المعجم سنة ١٩٦٧ م من أول حرف الهمزة الى « ابد » ويقال ان العمل توقف في هذا الكتاب بسبب فقدان قسم كبير من مواده ومسوداته خلال تنقل مؤلفه بين ألمانيا ومصر ، أو بعد وفاته في أعقاب الحرب العالمية الثانية ١٩٤٩ م .

* *

هذا ، وكنا قد لاحظنا خلال الكلام على المعاجم العربية القديمة المرتبة على الأواخر كالصاحح واللسان والقاموس ظهور بدعة جديدة في العصر الحديث في ميدان نشر تلك الكتب اللغوية وهي اللجوء الى قلب نظام بعض المعاجم التي رتب موادها بحسب الأواخر ، وترتيبها ثانية بحسب الأوائل .

وقد بدأ هذه المحاولة في مصر سنة ١٩٠٥ م محمود خاطر ، فبدل ترتيب « مختار الصحاح » الى أوائل المواد . وتبعه الطاهر أحمد الزاوي الليبي في « ترتيب القاموس المحيط » الذي طبع أول مرة سنة ١٩٥٩ م ، ثم اختصره الزاوي نفسه في « مختار القاموس المحيط » وطبع سنة ١٩٦٤ م .

ثم قام نديم مرعشلي ويوسف الخياط باعادة ترتيب « لسان العرب » على الأوائل ، وسميا الكتاب : « لسان العرب المحيط » (بيروت ١٩٧٠ م) وألحقا به المصطلحات العلمية والفنية الحديثة . كما قام نديم مرعشلي وابنه أسامة بتهذيب معجم الصحاح . واعادة ترتيبه على الأوائل أيضاً ، مع اضافة بعض المصطلحات والألفاظ الحديثة ، وسمياه « الصحاح في اللغة والعلوم » ، وطبع سنة ١٩٧٤ م في بيروت ، في مجلدين ضخمين . ثم اختصره أيضاً في « معجم بسيط » يحمل العنوان نفسه ، طبع في بيروت سنة ١٩٧٥ م في مجلدين أصغر حجماً .

وأخيراً ظهرت في مصر طبعة جديدة « للسان العرب » ، مرتبة على الأوائل أيضاً ، في ستة مجلدات ، وقام بتحقيقها ثلاثة من الباحثين اللغويين .



تلك جولة عامة مفصلة في ميدان التأليف المعجمي في اللغة العربية ، لدى العرب وغيرهم ، على مر العصور ، منذ القديم حتى اليوم ، مع بيان طرائق تلك المعاجم ، ومناهجها في ترتيب موادها وتنظيم محتوياتها . وقد اقتصرنا على جمهرة ما ألف من تلك الكتب ، مما يرتبط بالعمل المعجمي بوشائج قوية ، وضرربنا صفحاً عن الكتب اللغوية المتخصصة ، التي تقتصر على جانب لغوي محدود ، وتضييق مساحتها عن الدائرة المعجمية ، مثل الكليات وكتب المعربات ، وكذلك الكتب التي تمزج اللغة بمصطلحات العلوم والفنون المختلفة ، كالتعريفات للسيد الجرجاني ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، ودستور العلماء للأحمد نكري

وعلى كثرة ما ألف من المعاجم ، ولا سيما في العصر الحديث ، فإنها لا تزال حتى اليوم قاصرة عن بلوغ الغاية المرجوة . فاللاحق يسير غالباً على خطا السابق ، مقصلاً تارة ، أو موجزاً تارة أخرى ، مع إضافات يسيرة هنا وهناك أحياناً . وكان يُنتظر لبعض هذه المعاجم أن تؤتي ثماراً يانعة وتسد فراغاً كبيراً ، وتلبي حاجات العصر الحديث ، وتسائر ركب التطور ومسيرة الحضارة ، ولكن حالت معوقات مختلفة دون انجاز هذه البدايات الرائعة ، على الرغم من مرور سنوات طويلة على الشروع في تأليف تلك المعاجم : كمعجمي الملايلي : المعجم (١٩٥٤) والمراجع (١٩٦٣) ، وكذلك المعجم الكبير (١٩٧٠) .

وهكذا تذهب الجهود سدى ، بدلا من تضافرها على تصنيف معجم عصري واف بالمقصود ، محقق للمراد ، يستوعب متن اللغة العربية في القديم والحديث ، ويميز بين الحقيقة والمجاز ، ويبين تطور معاني الألفاظ ودلالاتها ، ويحيط بما قدمته العلوم والآداب والفنون ، وما وضع لها - أو يوضع - من مصطلحات وألفاظ أقرتها المجامع اللغوية ، ومكاتب التعريب ، مع تحري الدقة والصواب ، وحسن الترتيب والتنسيق ، وتجنب مزالق التعريف والتصنيف ، والعودة الى كتب الأدب ، والتاريخ ، والجغرافية ، والفلسفة ، وعلوم العربية ، والموسوعات القديمة من لغوية وغيرها ، ودواوين الشعر المختلفة ، لامداد المعجم المنشود ، واغنائه بما غفلت أو تغافلت عنه المعاجم التي ألفت سابقاً .

وهذا عمل عظيم ، لا ينهض به فرد ، أو أفراد معدودون ، بل يحتاج إلى
جمهرة كبيرة من ذوي الاختصاص والدأب ، يمكفون على هذا العمل ، ويتفرغون
له في اعداد منظم ، ومثابرة راتبة ، وتنسيق علمي واضح .

* * * *

الباب الثالث

كتب الأدب
والثقافة العامة

تمهيد

الأدب بحر خضم ، وعباب زاخر ، في تراثنا الثقافي العربي . وكلمة « الأدب » تقوم في الأصل على معنى التهذيب الخلقي ، والاستقامة المثلى ، وقد وردت بهذا المعنى في عدد من الأحاديث النبوية الصحيحة ، منها قوله عليه السلام : « ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن » وقوله أيضاً : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم »^(١) . وفي كتب الحديث ، كصحيح البخاري ومسلم ، وسنن الترمذي وابن ماجه باب خاص بعنوان « باب الأدب » ، ولا يزال هذا المعنى معروفاً متداولاً حتى عصرنا هذا .

ثم اكتسبت كلمة « الأدب » معنى تربوياً وتعليمياً ، حين أصبح أولاد الخلفاء يسلمون الى « مؤدّب » يقوم بتعليمهم وثقيفهم وتحقيظهم الأشمار والأقوال البليغة . ومن هنا امتزج في الكلمة مدلولان اثنان ، أحدهما تربوي خلقي ، والآخر علمي ثقافي .

واتسع معنى « الأدب » في العصر العباسي وما بعده ، منذ أن ازدهرت حركة الترجمة وتدوين المعارف الانسانية ، وأصبح يقارب مدلول « الثقافة » في مفهومنا الحديث وهو الأخذ من كل علم بطرف ، أو أن يعرف المرء شيئاً عن كل شيء . وبذلك أضحى الأدب ذا معنى ثقافي واسع ، يشمل الشعر والحكم والوصايا ، والرسائل ، والخطب ، والقصص ، وأيام العرب والأخبار والنوادر ، والنقد ، والتاريخ ، والجغرافية ، والتراجم ، والرحلات ، وغير ذلك من المعارف البشرية ، فكان يقال عن الكتاب انه كتاب أدب ، اذا حوى جوانب من ذلك كله أو معظمه ، كالبيان والتبيين للجاحظ ، والكمال للمبرد ، وعيون الأخبار لابن قتيبة . اضافة الى ما في أمثال هذه الكتب من اجادة في الأسلوب ، وفصاحة في اللغة ، وبلاغة في التعبير .

(١) الحديث الاول في سنن الترمذي « باب البر » ، ولثاني في سنن ابن ماجه « باب الأدب » . وأما الحديث الدائر على الألسنة : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » فسنده ضعيف ، كما في « أسنى المطالب » ٢٥ و « تمييز الطيب من الخبيث » ٩ . وقال الشوكاني في « الفوائد المجموعة » ٣٢٧ : « لا يعرف له اسناد ثابت » .

وقد وضع ابن خلدون هذا المعنى الواسع للأدب في مقدمته المشهورة فقال وهو يتكلم على « علم الأدب » :

« هذا العلم لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه أو نفيها ، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور ، على أساليب العرب ومناحيهم ، فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة : من شعر عالي الطبقة ، وسجع متساو في الاجادة ، ومستأنل من اللفظة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة . . الخ . والمقصود بذلك كله ألا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفحه ، لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه ، فيحتاج الى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه . »

ثم انهم اذا أرادوا حد هذا الفن قالوا : الأدب هو حفظ أشعار العرب وخبارها ، والأخذ من كل علم بطرف . . (١) .

وفي عصرنا الحديث ضاق مفهوم « الأدب » الذي أصبح قنأ كغيره من الفنون ، ولكنه يقوم بعد ذاته على « فن القول » وهو ما تبدعه القرية من تعبير جميل عن الأفكار والمشاعر ، نظماً ونثراً ، في أسلوب فصيح ، وعبارات بليغة ، وخيال مجتنب .

وتراثنا الأدبي - بمعناه الثقافي الواسع - وافر جداً ، لا يكاد يدانيه تراث أية أمة في العالم ، اتساعاً وضخامة وغنى . ولكن عوادي الزمن والحروب والكوائن المتوالية ذهبت بجانب كبير من هذا التراث الثمين الحافل . ومع ذلك فإن ما بقي منه مخطوطاً ومطبوعاً يبعث على الفخر ، ويقف شامخاً كالطود الراسي في وجوه الأعاصير .

وسوف نكتفي بعرض نماذج معدودة من كتب الأدب في تراثنا العربي ، ونتوخى فيها أن تكون صورة حية ، ومرآة صادقة لمفهوم « الأدب » بمعناه الثقافي الشامل عند العرب منذ القرن الثالث للهجرة حتى أواسط القرن الخامس .

* * * *

(١) مقدمة ابن خلدون ، طبعة كتاب الشعب ، بإشراف : علي عبد الواحد وإبي .
ص ٥٢١ -

البيان والتبيين للجاحظ

نشأ أبو عثمان ، عمرو بن بحر ، في البصرة ، وهي يومئذ - بمزبدها وحلقاتها الدراسية - مهد العلم ومنتدى الأدب ، وعاش في ريعان العصر الذهبي للحضارة العربية ، أديباً موسوعياً ، عالماً متضلعا ، ومثقفا ممتازا . فقد اتصل بجهازة اللغة والرواية ، وصاحب فئات من علماء العرب ومترجمي الفرس ، وشافه علماء الكلام ، واشترك في مناظرات الفلاسفة والمناطق . كما أغرم بالمطالعة غراماً شديداً ، إذ كان قارئاً لا يكل ولا يمل ، ويقال انه مات والكتاب على صدره ، بل قضت عليه مجلدات من الكتب سقطت عليه وهو قعيد المرض في فراشه .

فاذا أضفنا الى ذلك كله ما كان يمتاز به الجاحظ من حافظة واعية ، وفكر وقاد ، وذكاء غريب ، وفكاهة وظرف ، في حياته المديدة التي قاربت القرن ، أدركنا أبعاد شخصيته النادرة ، ومدى الثقافة التي استوعبها ، من عربية وأجنبية ، والتي جعلته منقطع القرين ، ومنبعاً ثراً لدارسيه والمترجمين له حتى اليوم .

وقد انعكست ثقافته تلك في كتبه الكثيرة ورسائله الوافرة ، وفي مقدمتها: البيان والتبيين ، والحيوان ، والبخل ، ورسالة التربيعة والتدوير . وهي في جملتها صورة حية للثقافة العربية من جهة ، ولعصر الجاحظ نفسه من جهة أخرى ، في أسلوب رشيق يدل على مقدرته الانشائية وامامته في الأدب ، حتى سمي امام النثر العربي .

توفي الجاحظ سنة ٢٥٥ هـ وقد تاهز السادسة والتسعين من عمره .

وكتابه « البيان والتبيين » أحد أصول الأدب الشامخة في تراثنا العربي . وقد نوه بذلك ابن خلدون فقال^(١) :

« وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه - يعني الأدب - أربعة دواوين^(٢) ، وهي : أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب

(١) مقدمة ابن خلدون ٢٢ ، ط كتاب الشعب .

(٢) الدواوين هنا بمعنى الكتب .

الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي . وما سوى هذه الأربعة فتبع لها ، وفروع عنها » .

وهذا القول يدل على منزلة كتاب « البيان والتبيين » وأهميته البالغة بين كتب الأدب ، حتى ان المؤرخ المسعودي صاحب « مروج الذهب » يقول فيه : « وللجاحظ كتب حسان ، منها كتاب البيان والتبيين ، وهو أشرفها ، لأنه جمع فيه من المنثور والمنظوم ، وغرر الأشعار ، ومستحسن الأخبار ، وبليغ الخطب ، مالم يقتصر عليه مقتصر لاكتفى به » .

وقد عرض الجاحظ في كتابه هذا لموضوع « البيان » والمقصود به أنواع الكلام العربي من شعر وكتابة وخطابة ، كما عرض لموضوع « التبيين » وهو كيفية التعبير عما في النفس بأسلوب مشرق جميل . ذلك هو مبتدأ الجاحظ في « البيان والتبيين » ، ومن هنا راح يبسط القول في هذا بسطاً وافياً ، موضحاً أهم ما يعتمد عليه الشاعر والكاتب والخطيب ، ومفصلاً الكلام في الفصاحة والبلاغة والألفاظ ومخارج الحروف ، وعيوب النطق المختلفة من لثغة أو لكنة أو حصر وعي ، كما عرض لموضوع اللحن في الأداء وذكر جانباً من أخبار بعض البلغاء الذين كانوا يلحنون في كلامهم . وخرج من ذلك كله الى الاشادة بفضل الفصاحة والبيان من خلال آيات قرآنية كثيرة وأشعار غزيرة .

كل ذلك جاء محلي بنصوص وافرة من الشعر والنثر ، والخطب ، والوصايا ، والحكم والأمثال ، والطرائف والأخبار ، أرسل الجاحظ فيها نفسه على سجيته ، لا يتقيد بنظام يترسمه ، ولا بمنهج يلتزمه . فتراه يبدأ الكلام في قضية ، ثم يدعها ليدخل في قضية أخرى ، ثم يعود الى ما كان فيه ، وهذا الاستطراد كان يتعمده الجاحظ في كتبه عامة لينفي الملل عن القارئ ، وينتقل به من موضوع الى آخر ، ومن فكرة الى أخرى ، كما ينتقل المرء في البستان بين أشجار متنوعة ، وأزهار جميلة متباينة .

« ومن خلال هذه المادة الأدبية الغزيرة في الشعر والنثر ، كان الجاحظ ينطلق - كلما سنحت له الفرصة - الى الخوض في النزعة التي استفحلت في عصره ، وهي الشعوبية وما كان يردده غلاتها من الطعن على العرب والازراء

بهم • فكان الجاحظ يشيد بالمرب وفصاحتهم ، وبماداتهم وتقاليدهم ويتصدى للرد على مزاعم أولئك الشعوبية وسمومهم» (١) :

ومما قاله في ذلك : « اعلم أنك لم تر قوماً قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ، ولا أعدى على دينه ، ولا أشد استهلاكاً لمرضه ، ولا أطول نصيباً ، ولا أقل غنماً من أهل هذه النحلة • وقد شفى الصدور منهم طول جشوم الحسد على أكبادهم ، وتوقد نار الشنآن في قلوبهم ، وغلبان تلك المراحل الفائرة ، وتسعر تلك النيران المضطربة • ولو عرفوا أخلاق كل ملة ، وزى أهل كل لغة وعللهم ، على اختلاف شاراتهم وآلاتهم ، وشماثلهم وهيئاتهم ، وما علة كل شيء من ذلك ، ولم اجتلبوه ولم تكلفوه ، لأراحوا أنفسهم ، ولخفت مؤونتهم على من خالطهم» (٢) •

وفي الكتاب أيضاً مادة موفورة لدراسة عادات المجتمع العربي وتقاليده في بغداد والبصرة أيام الجاحظ ، لأنه يغترف مما حوله ، وفيه أيضاً آراء ثاقبة ، وأحكام ناضجة تدور حول الشعر العربي والبلاغة ، وأصول الخطابة وما إلى ذلك ، في أسلوب أدبي رفيع ، يأخذ بلب القارئ ، ويظوف به في عوالم من الجمال والفن والثقافة • ولكنه — والحق يقال — يتطلب أناة في القراءة ، ومعاودة لها ، حتى يستطيع القارئ الاحاطة بما فيه من أسرار ، والاستمتاع بما يحويه من فصول لطيفة ، وخطب رائعة ، وأخبار بارعة ، وأحكام عميقة ، أفاد منها كل من جاء بعد الجاحظ ، ونقلوها في كتبهم ، مثل المبرد في « الكامل » وابن عبد ربه في « المعقد الفريد » وأبي اسحق الحصري في « زهر الآداب » • وما زال كتاب البيان والتبيين نبأ ثراً يغترف منه الباحثون والمثقفون في عصرنا الحديث ولا يرتوون •

طبع « البيان والتبيين » مراراً ، وأفضل طبعاته تلك التي نشرها عبد السلام هارون سنة ١٩٤٨ ، في أربعة أجزاء • محققة تحقيقاً علمياً ، ومذيلة بفهارس قيمة تيسر الانتفاع بالكتاب والاستفادة منه • ثم أعيد طبعها أو تصويرها غير مرة •

(١) مصادر التراث العربي ، د • عمر الدقاق ٨٦ •

(٢) البيان والتبيين ٢٩/٣ — ٣٠ • (ط • هارون) • الشنآن : البغض والكراهية • والشارات : مفردا شارة ، وهي الهيئة ، واللباس •

الحيوان للجاحظ

يعد كتاب « الحيوان » أثراً كبيراً ونفيساً من آثار الأدب العربي القديم عامة ، و آثار الجاحظ خاصة ، لأنه أول كتاب عربي جامع في موضوع الحيوان .
صحيح أن غير واحد من العلماء الذين سبقوا الجاحظ أو عاصروه قد ألفوا كتباً بل رسائل عن الابل والخيول والغنم والشاء وبعض أنواع من الطيور والحشرات ، لكن هذه الرسائل هي في حقيقتها ذات طابع لغوي صرف ، لا تعرض فكراً علمياً عن الحيوان وخصائصه وأحواله ، ولا تكشف عن تحليل خاص في ذلك . أما كتاب الجاحظ فقد شمل كل الحيوانات التي كانت معروفة في عصر الجاحظ ، وكان صاحبه قادراً على عرض المعرفة الخاصة بكل نوع منها عرضاً فريداً ذا سمات خاصة .

والراجح أن كتاب « الحيوان » كان من آخر ما صنقه الجاحظ ، لأنه يذكر فيه معظم كتبه ، ولأنه قدمه الى محمد بن عبد الملك الزياني الذي صار وزيراً للمعتصم والواثق ، ثم قتله المتوكل سنة ٢٣٣ هـ ، وكانت جائزة الجاحظ عن الكتاب خمسة آلاف دينار .

وقد ذكر الجاحظ في عدة مواضع من هذا الكتاب أنه وضعه لبيان ما في الحيوان وعجائب الكون من الحجب على حكمة الله العجيبة وقدرته الباهرة .
يضاف الى ذلك - على الصعيد العلمي - نظرة شاملة في علم الحيوان وفروعه ، وتقص شديد لهذا الجانب في مختلف الميادين .

وقد بدأ الجاحظ كتابه بمقدمة طويلة سرد فيها طائفة من كتبه ، ورد على خصومه الذين انتقدوا تلك الكتب ، وساقه ذلك الى ذكر فوائد الكتاب ، ووصفه وصفاً رائعاً ممتعا يندر أن تجد له مثيلاً في آداب اللغات الأخرى .
واستطرد الى مناظرة طويلة بين الديك والكلب أو بين صاحبيهما ، على طريقة المناظرة وعلماء الكلام ، متأثراً في ذلك بمذهبه الاعتزالي ، ثم انتقل الى الموضوع الأساسي للكتاب وهو الكلام على أنواع الحيوانات والطيور والحشرات وطبائعها وما الى ذلك ، وكان حديثه عنها مزيجاً من العلم والأدب ، والتحليل والفلسفة ، والحكايات الغريبة ، والأشعار والأخبار ، والنوادر والفكاهات والآيات والأحاديث ، والتاريخ والنقد ، هذا الى بحوث في الديانات السماوية

وفي المذاهب الأخرى من مانوية وزرادشتية ، ووثنية ، ودهرية ، وما فيها من شيع ونزعات مختلفة . .

وبذلك شط الكتاب عن موضوعه الأصلي ، ليصبح موسوعة متنوعة ، ومعلمة واسعة لثقافة العصر العباسي ، يتضمن معارفاً طليعية ، وفلسفية ، وجدلاً دينياً ، ومعلومات جغرافية ، وأخباراً تاريخية . وفوائد طليعية ، وإشارات إلى الأجناس البشرية وبعض أحوال العرب والأعراب ، إلى جانب ما يضمه من صفحات أدبية ، وشعر مختار ، وأمثال عربية ، وحكم عملية ، جعلت منه كتاباً عظيم القيمة ، عديم النظير . حتى المجون كان له حظ في هذا الكتاب . وهذه الظاهرة كانت مألوفة لدى كثير من متأدي عصر الجاحظ ، ولم يكن فيها حينئذ حرج .

أما طريقة الكتاب والمنهج الذي سار عليه صاحبه في سرد مضامينه فإن الجاحظ لم يلتزم في ذلك تنسيقاً ولا تبويباً ، بل كان ينتقل من موضوع إلى موضوع لأدنى مناسبة بين الموضوعين ، وقد لا يكون هناك مناسبة بينهما . فهو إذا تحدث عن الظلم - وهو ذكر النعم - وابتلاعه للنار ، تداعى عنده هذا المعنى ، واستطرد إلى نيران المعجم والعرب ، والنيران المعبودة والمقدسة ، ثم تناول من يعبد هذه النار بالنقد ، وما قيل في سائر الديانات والمذاهب ، وتخلل ذلك أمشاج من الشعر والقصص والأدب والأمثال .

فإن كتاباً اذن يفتقر إلى وحدة الموضوع ، وإلى مزيد من الترتيب المنطقي ، ولم يغب ذلك عن الجاحظ ، إلا أنه تعمد الانتقال والاستطراد فيما يكتب ويؤلف ، لأنه يعد ذلك خير وسيلة لإبعاد الملل عن القارئ ، وانفتاح القلوب وتفهم العقول . وكأنه - في ابتعاده عن الوحدة التأليفية - يريد أن يراعي أهواء قارئيه على اختلاف أذواقهم وأمزجتهم ، فيسترضي عامة معاصريه بما يشيع في كتابه من دعاية وهزل وأخبار ، ويستميل خاصتهم بما يبثه من معارف عالية ، وسياسات رفيعة ، وثقافات عميقة .

وقد دافع الجاحظ نفسه عن هذا النمط من التأليف في كتابه فقال :

« متى خرج - القارئ - من أي القرآن صار إلى الاثر ، ومتى خرج من أثر صار إلى خبر ، ثم يخرج من الخبر إلى الشعر ، ومن الشعر إلى نوادر ، ومن النوادر إلى حكم عقلية ومقاييس شداد ، ثم لا يترك هذا الباب - ولعله أن يكون أثقل والملال إليه أسرع - حتى يفضي إلى مرح وفكاهة ، وإلى سخف وخرافة ، ولست أراه سخفاً » .

ويقول أيضا : « اني أوشح هذا الكتاب بنوادير من ضروب الشعر ، وضروب الأحاديث ، ليخرج قارئه من باب الى باب ، ومن شكل الى شكل . فاني رايت الأسماع تمل الأصوات المطربة ، والأغاني الحسنة ، والأوتار الفصيحة ، اذا طال ذلك عليها . واذا كانت الأوائل قد سارت في صفار الكتب هذه السيرة ، كان هذا التدبير لما طال وكثر أصلح ، وما غايقتنا من ذلك كله الا أن تستفيدوا خيرا » .

وهذا الكتاب الضخم استمد الجاحظ مادته من مصادر شتى وكثيرة ، بعضها عربي : كالأيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والشعر العربي — ولا سيما البدوي الذي تحدث عن الحيوان حديثا مسهبا — والأمثال العربية ، والكتب المؤلفة قبله أو في عصره . وبعضها أجنبي : كمباحث أرسطو — وبخاصة كتابه في « الحيوان » الذي نقله ابن البطريق ، ولخصه آخرون — وجالينوس ، وديموقريطوس ، وغيرهم .

يضاف الى ذلك ما تلقفه الجاحظ من أفواه الأخباريين والرواة وأهل المعرفة ، في حله وترحاله ، وما يدور على السنة أهل الاعتزال من كلام على الحيوان في مجالسهم ، واتصاله المباشر بالملاحين والسماكين والصيادين والحواة ، ثم خبرته الشخصية وما يجريه بنفسه من تجارب على الحيوان والنبات ، ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وهذه صفة العالم الأريب . فهو تارة يقطع اعضاء الحيوان ، أو يلقي عليه ضربا من السم ، وتارة يقوم بذبح الحيوان ويفتش جوفه ، وقد يجمع أصداد الحيوان في وعاء كالعقارب والحيات والجعلان ليعرف تقاتلها وتصارعها . فهو اذن يستعين بالحواس لادراك الحقيقة . وربما وجد الحواس مخادعة في بعض الأحيان ، فيحترس في أحكامها ، ويرجع عندئذ الى العقل الذي هو قائد للحواس ، وهو الحجة والدليل ، عند التصحيح والتمييز . وهذا ما جعله يرفض كثيرا من الخرافات والأضاليل ويصفها بأنها « من أحاديث الباعة والمعاجز » ويمتنع ما يرد عليه من الأقوال والآراء ، حتى انه نال بنقده طائفة من العلماء ، ومنهم أرسطو نفسه ، ولم يصب الجاحظ أمامه بشلل الفكر ، أو بالتجرد من أية محاكمة عقلية .

وهذا كله لا يحجب عنا أن في الكتاب أغلاطا علمية لا يقرها العلم الحديث ، لأن عصر الجاحظ لم يتح له فرصة استخدام أدوات التجريب ووسائله الدقيقة ، وهذا ما جعله يحترس أحيانا لدى سماع بعض الأخبار ، فيستعمل صيغ التمريض مثل : « زعموا ، يقال ، هكذا قيل ٠٠٠ » . ثم ينبغي ألا ننسى أن بيننا وبين الجاحظ أكثر من أحد عشر قرنا .

ومع ذلك فإن كتاب الحيوان يعد من مفاخر الجاحظ ومعاسنه ، وقد جمع فيه بين العلم والأدب ، والجد والهزل ، وعلى كثرة ما جاء فيه من علم ومعرفة بالحيوان وغيره ، يطلبه طالب الأدب أكثر مما يطلبه طالب العلم . وهو - الى ذلك - يمتاز بسلاسة الاسلوب ، ونصاعة البيان ، وثرارة اللغة ، ودقة التعبير ، وتحديد الأسماء والتمييز بين الأوصاف والعبارات ، مما يدخل في باب المصطلحات العلمية ، وهذا ما يمد العلوم الحديثة - ولا سيما علم الطبيعة والحيوان - بمبارات وصفية بديعة ، وأسماء فصيحة ، يجد فيها المؤلفون والمترجمون عوناً كبيراً ، من تراث انساني ثمين .

طبع كتاب الحيوان أول مرة بمصر في سبعة أجزاء سنة ١٣٢٣ - ١٣٢٤ هـ ، وصححه بدر الدين النعساني الحلبي ، ثم تكرر طبعه مختلف الأجزاء باختلاف طبعاته ، الا أن أجودها تلك التي حققها عبد السلام هارون في ثمانية أجزاء ، مع الفهارس الفنية المفصلة ، وقد ظهرت في حلتها الأولى سنة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م ، ثم جددت غير مرة .

وقد عرض للكتاب قوم من القدماء بالاختصار والتلخيص ، ومنهم :

١ - الشاعر المصري ابن سناء الملك « - ٦٠٨ هـ » صاحب الموشحات ، وقد اختصر كتاب الجاحظ في مؤلف سماه « روح الحيوان » .

٢ - العالم المؤرخ عبد اللطيف البغدادي « - ٦٢٩ هـ » الذي اختصره في كتاب سماه « اختصار كتاب الحيوان » .

ومن المفيد هنا أن نذكر أن أشهر كتب الحيوان القديمة التي ألفت بعد الجاحظ كتاب « حياة الحيوان » لكمال الدين الدميري المصري « - ٨٠٨ هـ » في مجلدين ضخمين ، وقد رتب فيه أسماء الحيوانات على الحروف الهجائية ، فالأرنب في حرف الهمزة ، والببط في حرف الباء ، والثعلب في حرف التاء . . وهكذا .



عيون الأخبار

لابن قتيبة

ابن قتيبة : هو أبو محمد ، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . ولد في بغداد ، أو في الكوفة ، سنة ٢١٣ هـ ، وكان منذ نشأته ميالا الى الأخذ بمعارف عصره المتنوعة ، وأن يضرب في كل علم بسهم ، وهو القائل : « من أراد أن يكون عالماً فليطلب فناً واحداً ، ومن أراد أن يكون أديباً فليتسع في المعلوم » . وهكذا كان ابن قتيبة عالماً في اللغة والنحو ، وغريب القرآن وسمانيه ، والشعر ، والفقه ، والحديث . وهو يعد امام مدرسة بغداد التحوية .

أمضى مدة من الزمن قاضياً لمدينة « دينور » في اقليم الجبال ، ثم سكن بغداد ، واشتغل بالتدريس والتأليف حتى مات سنة ٢٧٦ هـ .

ومن مؤلفاته : أدب الكاتب ، وتاويل مشكل القرآن ، وتاويل مختلف الحديث ، والشعر والشعراء ، والمعارف ، وعيون الاخبار . وربما زادت مؤلفاته على سبعين في أنواع العلوم والمعارف .

وكتابه « عيون الأخبار » من الكتب المشهورة جداً في الأدب والثقافة العامة ، وهو يحوي روائع النصوص المختارة ، وزبدة الأخبار المنتقاة ، في عرض جميل ، وأسلوب ممتع ، وشخصية قوية فيما يكتب . ومنذ بداية الكتاب تطالمننا تلك الشخصية بما تتحلل به من استقلال في الفكر ، وصفاء في الذهن ، وجراءة في قول الحق ، وذلك في المقدمة الطويلة التي أنشأها ابن قتيبة لكتابه ، وتناول أموراً مختلفة في عرض طريف وممتع . فقال عن مضمون كتابه والهدف من تأليفه : « وهذه عيون الأخبار نظمتمنا لمنفل التأديب تبصرة ، ولأهل العلم تذكرة ، ولسائس الناس ومسوسهم مؤدباً . . وهي لقاح عقول العلماء ، ونتاج أفكار الحكماء ، وزبدة المنخفض ، وحلية الأدب ، وأثمار طول النظر ، والمتخير من كلام البلغاء وفطن الشعراء ، وسير الملوك ، وآثار السلف ، جمعت لك منها ما جمعت في هذا الكتاب ، لتأخذ نفسك بأحسنها ، وتقومها بثقافتها ، وتخلصها من مساوئ الأخلاق ، كما تخلص الفضة البيضاء من خبثها ، وتروضاها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة ، وسيرة قوية ، وأدب كريم ، وخلق عظيم ، وتصل بها كلامك اذا حاورت ، وبلاغتك اذا كتبت . . » .

ويحتاج بعد ذلك مشيراً الى من ألف كتابه من أجلهم فيقول : « ولم أر
سواها أن يكون كتابي هذا وقفا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ، ولا على
خواص الناس دون عوامهم ، ولا على ملوكهم دون سوقتهم ، فوفيت كل فريق
منهم قسمه ، ووفرت عليه سهمه ٠٠ ولم أخله مع ذلك من نادرة طريفة ،
وفطنة لطيفة ، وكلمة معجبة ، وأخرى مضحكة ، لئلا يخرج عن الكتاب مذهب
سلكه السالكون ، وعروض أخذ فيها القائلون ، ولأروح بذلك عن القارئ من
كدّ الجِد ، واتعاب الحق ، فإن الأذن مجاعة ، وللتقصص حمضة ، والمزج إذا كان
حقا ، أو مقاربا ، ولأحايينه وأوقاته وأسباب أوجبه مشاكلا ، ليس من
القبیح ، ولا من المنكر ٠٠٠ وانما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها
مذاقات الطعموم ، لاختلاف شهوات الأكلين » .

وقد تعددت المصادر التي استمد منها ابن قتيبة مادة كتابه ، على مدى
سنوات طويلة منذ حدوثه ، وقد بين ذلك في المقدمة أيضا فقال في تواضع
وصدق وتقدير : « واعلم أنا لم نزل نلتقط هذه الأحاديث في الحداثة
والاكتحال عمن هو فوقنا في السن والمعرفة ، وعن جلسائنا واخواننا ، ومن
كتب الأعاجم وسيرهم ، وبلاغات الكتاب في فصول من كتبهم ، وعمن هو
دوننا ، غير مستنكفين أن نأخذ عن الحديث سنا لحدثه ، ولا عن الصغير قدرا
لخساسته ، ولا عن الامة الوكعام^(١) لجهلها فضلا عن غيرها ، فإن المعلم ضالة
المؤمن ، من حيث أخذه نفعه ٠٠ ومن ترك أخذ الحسن من موضعه أضرع
الفرصة ، والفرص تمر مر السحاب » .

أما منهج الكتاب وطريقته في عرض محتوياته فإن ابن قتيبة يخالف فيه
عن طريقة الجاحظ في إثارة الاستطراد والتنقل من موضوع الى آخر ، ويقيم
كتابته على أساس من التنظيم والتبويب ، فيقسمه الى عشرة كتب صغيرة ،
يشتمل كل منها على موضوع عام ، وتتناول مختلف جوانب الحياة السياسية
والاجتماعية والثقافية والأدبية والنفسية والحضارية ، وهي : (كتاب
السلطان ، كتاب الحرب ، كتاب السؤدد ، كتاب الطبائع والأخلاق ، كتاب
العلم والبيان ، كتاب الزهد ، كتاب الاخوان ، كتاب الحوائج ، كتاب
الطعام ، كتاب النسم) ووضع في كل « كتاب » من هذه الكتب ما يتصل به من
أخبار وشواهد ، مسندة الى أصحابها ورواتها .

(١) الوكعام : المحقّم .

ولكن « الكتاب » الواحد من كل هذه « الكتب الصغيرة » العشرة لا يخضع في محتواه لتبويب واضح ، أو ترتيب معين ، بل يسوق ابن قتيبة النصوص والأخبار وما إليها ، كيفما اتفق ، مراعيًا فيها الموضوع الذي عقد « الكتاب » لأجله . وربما وضع شيئًا في غير بابه أو جزأه ، لأن له صلة بالسياق الذي يورده فيه . وقد أشار إلى ذلك فقال :

« وان وقفت على باب من أبواب هذا الكتاب لم تره مشبعًا ، فلا تقصّر علينا بالاغفال حتى تصفح « الكتب » كلها ، فانه رُبّ معنى يكون له موضعان وثلاثة مواضع فنقسم ما جاء فيه على مواضعه ، كالتلطف في القول : يقع في كتاب السلطان ، ويقع في كتاب الحوائج ، ويقع في باب البيان وكالخل : يقع في كتاب الطبائع وفي كتاب الطعام ، وكالكبير والمشيب يقع في كتاب الزهد ، ويقع في كتاب النساء » .

ولم يفرّق ابن قتيبة في اختيار مواد كتابه بين قديم ومحدث ، ولا قدم ذاك لقيدمه ، ولا آخر هذا لعداثته ، وكان ابن قتيبة من أوائل من رفع لواء المساواة بين القديم والمحدث أمام ميزان النقد والتقويم ، واتخاذ الجودة أساسًا في الحكم والاعتبار ، وقد أشار إلى ذلك في كتابه « الشعر والشعراء » كما كره هذه الإشارة في « عيون الأخبار » فقال : « وكذلك مذهبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدثين إذا كان متخير اللفظ ، لطيف المعنى ، لم ينز به عندنا تأخر قائله ، كما أنه إذا كان بخلاف ذلك لم يرفع تقدمه ، فكل قديم حديث في عصره ، وكل شرف فأوله خارجيه^(١) ، ومن شأن عوام الناس رفع الممدوم ، ووضع الموجود ، ورفض المبدول ، وحب الممنوع ، وتمظيم المتقدم وغفران زلته ، وبخس المتأخر والتجني عليه ، والعامل منهم ينظر بعين العدل لا بعين الرضا ، ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم » .

ومع أن ابن قتيبة يعرض النصوص والأخبار وما إليها بلغة فصيحة ، وبيانًا بليغ ، وأسلوب متين ، فانه في إيراد النواذر والطرائف لا يتحرج من ذكر بعض الكلمات الملتحونة التي تخالف قواعد العربية لا حياء بها وتعمد لها ، بل إبقاء على جمال النادرة أو الطرفة ، ولئلا يذهب بهاؤها إذا رويت مُعرّبة . وهذا مذهب سلكه الجاحظ من قبل في عدد من كتبه ، وتابعه على ذلك ابن

(١) الخارجى ، هنا : هو الذي يخرج ويشرف بنفسه ، من غير أن يكون له قديم .

قتيبة ، فقال : « وكذلك الملحن ان مر بك في حديث من النوادر ، فلا يذهبن عليك أنا تعمدها وأردنا منك أن تتعمده ، لأن الاعراب ربما سلب بعض الحديث حسنه ، وشاطر النادرة حلاوتها » .

والخلاصة أن كتاب « عيون الأخبار » من الكتب التي تمتاز بحشد من المعارف ، وفيض من الثقافات التي تجعل من قارئها انساناً واسع المعرفة ، متفتح العقل ، سامي الفكر ، وقد جاء هذا الكتاب صورة حية لمؤلفه الذي كان واضح الشخصية فيه ، جيد العرض لمواده ، متعدد الثقافات ، فكان كتابه متممة من متع الفكر العربي .

طبع « عيون الأخبار » محققاً مفهراً في أربعة أجزاء ، نشرتها دار الكتب المصرية بين سنتي ١٩٢٤ و ١٩٣٠ ثم صورت هذه الطبعة مراراً في كل من القاهرة وبيروت .



كتاب «الكامل» لمبرد

ولد أبو العباس ، محمد بن يزيد ، الملقب بالمبرد ، في البصرة سنة ٢١٠ هـ . ثم رحل الى بغداد ، وأخذ العلم عن أبي عثمان المازني ، وأبي حاتم السجستاني ، وأبي عمر الجوهري ، وما زالت همته تسمو به حتى صار امام العربية في بغداد . بل امام المذهب البصري في النحو . وكان مع شهرته باللغة والنحو والتصريف ، شاعراً أديباً ، على ندرة ما يتفق ذلك للنحاة واللغويين ، وكان فصيح اللسان ، ظاهر البيان . وقد أثر عن مجالسه كثير من طريف الأحاديث ، ومن تلاميذه : الأخفش الأصغر ، وأبو اسحق الزجاج .

وكانت بين المبرد ومعاصره ثعلب ، امام المذهب الكوفي ، خصومة عنيفة ، ومنافرات كثيرة ، والناس مختلفون في تفضيل كل واحد منهما على صاحبه .

توفي المبرد سنة ٢٨٥ هـ ، وله مؤلفات كثيرة منها : المختضب (في النحو) ، والمذكر والمؤنث ، والتمازي والمراثي ، وشرح لامية العرب ، والفاضل ، والكامل . . .

وكتابه « الكامل » هو في « اللغة ، والأدب ، والنحو ، والتصريف » وقد مر بنا ما ذكره ابن خلدون في مقدمته من أن هذا الكتاب احد أركان كتب الأدب الأربعة ، التي لا غنى لطالب المعرفة والثقافة عن قراءتها . والحق أنه كتاب نفيس ، يحتوي على كل ثمين من ألوان الثقافة العربية الخالصة ، وكل طريف ومفيد من أبواب اللغة والأدب والتصريف ، من خلال كلام العرب وأقوالهم ، وبذلك جمع هذا الكتاب ، كما يقول مؤلفه « ضرورياً من الآداب ، ما بين كلام منشور ، وشعر مرصوف ، ومثل سائر ، وموعظة باللغة ، واختيار من خطبة شريفة ، ورسالة بليغة » . وجعل هذه النصوص المختلفة منطلقاً لممله وسيره في كتابه .

ومقدمة كتاب « الكامل » قصيرة لا تتجاوز بضعة عشر سطراً ، وقد أوضح المبرد فيها منهجه في كتابه فقال :

« والنية أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب ، أو معنى مستغلق ، وأن نشرح ما يعرض فيه من الاعراب شرحاً شافياً ، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً ، وعن أن يُرجع الى أحد في تفسيره مستغنياً » .

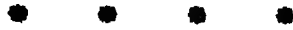
وهكذا فعل المبرد ، فهو يورد النص الذي يحضره ، شعراً أو نثراً ، ثم يشرح ما فيه ويعلق عليه من النواحي اللغوية ، والنحوية ، والأدبية ، والصرفية ، إلا أنه لا يكتفي بذلك بل يستطرد كثيراً خلال شروحه وتعليقاته قبل أن يعود الى الموضوع الذي كان فيه ، وربما لن يعود . فكتاباه من هذه الناحية يشبه طريقة الجاحظ في فقدان الترتيب والتبويب ، والاكتثار من الشواهد وضرب الأمثلة . وإن كان يختلف عن كتب الجاحظ في طبيعة المضمون والمحتوى . وربما فصل المبرد بين موضوع وآخر بعنوان جزئي يدل على ما يريد أن يبدأ به كلامه ، مثل : « باب من أخبار الخوارج » و « باب التشبيه » ولكنه لا يلتزم بما يدل عليه العنوان ، بل سرعان ما يخرج عنه مستطرداً الى موضوعات أخرى جانبية . وقد يكتفي بكلمة « باب » يجعلها عنواناً لفقرة جديدة . وكثيراً ما نراه يردد في كتابه مثل هذه العبارات في باب أخبار الخوارج مثلاً ، حين يريد أن يعود الى موضوعه الاول : « ثم نعود الى ذكر الخوارج » و « عاد القول في الخوارج » و « عاد الحديث الى أمر الخوارج » و « ثم نرجع الى ذكر الخوارج » .

وكانت هذه الطريقة متبعة في مجالس العلم وحلقات الدرس ، التي انبثقت عنها فكرة تأليف كتب الأمالي والمحاضرات ، تلك الكتب التي يتجلى فيها الجانب التعليمي والطابع التدريسي الى حد كبير ، حتى انها كانت في مضمونها وطريقتها وأسلوبها في العرض صورة صادقة لتلك المجالس . وكتاب « الكامل » لا يخرج — في جملته — عن هذه الدائرة المشتركة ، إلا أنه في الوقت نفسه يعد مصدراً غنياً من مصادر الأدب واللغة والتفسير والتاريخ والأخبار والتراجم ، ومنبعاً ثراً لأشعار العرب ورسائلهم وخطبهم وأمثالهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وأيامهم ، ولهجاتهم وبلاغتهم ، وبذلك يمكن أن يعد أيضاً من دوائر المعارف الادبية ، والمعلّقات الثقافية العربية الخالصة ، وإن كان فيه بعض النقول عن المعجم . وقد ضم قدراً كبيراً من الآيات القرآنية مفسرة تفسيراً واضحاً ، متخذاً منها شواهد لغوية ونحوية ، كما ضم عدداً وافراً من الأحاديث النبوية التي يورد كلا منها في مقام استشهاد بعينه .

طبع كتاب « الكامل » عدة مرات . وأجود طبعاته اثنتان احدهما حققها زكي مبارك وأحمد شاكر في ثلاثة أجزاء طبعت في مصر سنة ١٩٣٦ — ١٩٤٠

ثم الحق بها فهرس صنمها محمد سيد كيلاني في جزء رابع صدر سنة ١٩٥٦ -
والثانية نشرتها « دار نهضة مصر » في القاهرة سنة ١٩٥٦ م في أربعة أجزاء
بعناية : محمد أبو الفضل ابراهيم ، والسيد شحاتة .

وممن شرح كتاب الكامل : الأديب اللغوي المعاصر سيد بن علي المرصفي
الأزهري « - ١٩٣١ م » ، وقد طبع شرحه في القاهرة مع « الكامل » في كتاب
واحد يقع في ثمانية أجزاء بعنوان « رغبة الأمل من كتاب الكامل » سنة ١٩٢٨ -
١٩٣٠ ، ثم طبع هذا الشرح ثانية بطريقة التصوير .



العقد الفريد

لابن عبد ربه

مؤلف هذا الكتاب أندلسي قرطبي ، وهو أحمد بن محمد بن عبد ربه .
برع في النثر والنظم ، وتضلّع من أدب المشاركة وإن لم يرحل إلى المشرق .
توفي سنة ٣٢٨ هـ .

وكتابه « العقد الفريد » أو « العقد » - كما يسمى أحياناً - من كتب
الأدب الموسوعية ذات المادة الغزيرة المتنوعة : من شعر ونثر ، وخطب ، وأخبار
أدبية ، وحكم ونوادر ، إلى جانب ما حواه من رسائل ولغة وفقه وحديث ،
وتاريخ وعروض .

وهو يقوم في مجمله على الجمع والاقتباس وليس فيه لابن عبد ربه إلا
الترتيب والتبويب ، وبمض فقرات من نثره . ومقطوعات من شعره أودعها في
مقدمات أبواب كتابه أو في خلال مختاراته المختلفة .

وذكر ابن عبد ربه في المقدمة سبب تأليفه لهذا الكتاب . وهو أنه وجد
كتب الأدب قبله غير جامعة ولا محيطية بفنون الأخبار . فوضع كتابه ليكون
كافياً في موضوعه جامعاً لفنون الثقافة العامة ، فيسد الخلل ، ويكمل النقص .

و « العقد » مقسم إلى خمسة وعشرين كتاباً ، كل منها يسمى جوهرة .
ذلك أن ابن عبد ربه تصور كتابه عقداً مؤلفاً من ٢٥ جوهرة كريمة ، تتوسطها
حبة كبيرة تسمى « الواسطة » وقد انتظمت اثنتا عشرة جوهرة في جانب منها ،
ومثلها في الجانب الآخر ، وكل من هذه الجواهر تحمل اسماً وموضوعاً ، على
النحو التالي :

- كتاب اللؤلؤة : في السلطان

- كتاب الفريدة : في الحروب ومدار أمرها

- كتاب الزهرجدة : في الأجواء والأصناف

- كتاب الجمانة : في الوفود . . .

وهكذا إلى آخر الجواهر الاثنتي عشرة .

وفي الطرف الآخر المقابل نجد الجواهر الأخرى تتكرر أسماؤها ، ولكنها
تحمل موضوعات جديدة :

- كتاب اللؤلؤة الثانية : في النُتف والهدايا والفكاهات والمُلح
 - كتاب الفريدة الثانية : في الطعام والشراب
 - كتاب الزبرجدة الثانية : في بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان . .
 - كتاب الجمانة الثانية : في المتنبئين والمرورين والبغلاء والطفيليين .
- وهكذا الى آخر الجواهر الاثنتي عشرة .

أما « الواسطة » فهي في الخطب .

ويتصف كتاب العقد الفريد بعدد من المزايا والخصائص ، منها :

١ — أن المؤلف استهل كل كتاب — أو جوهرة — بتمهيد من انشائه اللطيف يسميه « الفَرش » وقد جعله بمثابة المدخل الى موضوعه ، كما أورد شيئاً من شعره في خلال الكتاب ، لاثبات حظ المغرب من المنظوم والمنثور .

٢ — حذف الأسانيد من متن الكتاب ، مقتصرأ على ايراد نص القول أو الخبر منسوباً الى صاحبه الأصلي ، حرصاً على الاختصار والايجاز ، ومجانبة للتطويل والاسهاب . وقد احتج المؤلف نفسه لذلك في مقدمة كتابه فقال :

« وحذفتُ الأسانيد من أكثر الأخبار ، طلباً للاستخفاف والايجاز ، وهرباً من التشقيل والتطويل ، لأنها أخبار ممتعة ، وحِكَم ونوادر ، لا ينفعها الاسناد باتصافه ، ولا يضرها ما حُذف منها . وقد كان بعضهم يحذف أسانيد الحديث من سنة متبعة ، وشريعة مفروضة ، فكيف لا نحذفه من نادرة شاردة ، ومثل سائر ، وخبر مستطرف ، وحديث يذهب نوره اذا طال وكثر ؟ » .

٣ — و « العقد » أحد المصادر الأساسية لتاريخ الحياة العربية بجوانبها المختلفة . من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ، فهو يضم بين صفحاته مادة غنية من الأخبار والقصص والوثائق التي تعين على تصور حركة تطور المجتمع العربي في الجاهلية والاسلام ، والتي وصلت اليها في « العقد » سائلة من التشويه والتحريف ، في معظمها ، وهذا ما جعله يحظى بمكانة رفيعة في حياتنا الثقافية المعاصرة .

طبع العقد الفريد مراراً ، وأجود طبعاته اثنتان : أولاهما حققها محمد سعيد العريان ونشرها سنة ١٩٤٠ في ثمانية أجزاء . والثانية طبعة أحمد أمين وزملائه في سبعة أجزاء ، ظهرت سنة ١٩٤٠ أيضاً ، ثم صورت غير مرة .



كتاب «الأمالي» لأبي علي القالي

ولد أبو علي - اسماعيل بن القاسم^(١) - في « مناز جرد » من أعمال « ديار بكر » في أرمينية ، وفيها شدا شيئاً من العلوم والآداب ، ولما قارب سن الرشد انتجع بغداد طلباً للعلم ، في رفقة من أهل « قالي قلا » - من قرى مناز جرد ، وأحد ثغور المسلمين في وجه الروم ، وكان أهلها موضع إكرام - فانتسب إليها أبو علي رجاء أن ينتفع بذلك ، ومن ثم عرف بالقالي نسبة إليها ، وثبت ذلك عليه .

وفي العراق أتيح له أن يتلقى العلم ويتضلع منه على جملة من أفاضل العلماء في الحديث واللغة والنحو والأدب : كآبي القاسم البغوي ، وآبي بكر السجستاني ، وابن درستويه ، وابن دريد صاحب الجهرة ، وآبي بكر السراج ، ونفطويه ، وآبي اسحق الزجاج ، وآبي الحسن الأخفش ، وآبي بكر الأنباري .

ولبت على ذلك خمساً وعشرين سنة يتعلم ويعلم ، حتى غدا عالماً بارزاً ، وراوية حافظاً للأخبار والأشعار ، ولغويًا حجة ، وقد أفاد في ميدان اللغة كثيراً من أستاذه ابن دريد ، لأنه كان شديد الملازمة له ، والأخذ عنه ، والاعجاب به . ولا أدل على ذلك من أن أبا علي ملأ كتابه « الأمالي » بأقوال ابن دريد ، وما رواه من أخبار في مجالسه ، وكثيراً ما يبدأ اسناد الخبر بقوله : « حدثنا أبو بكر بن دريد » أو « حدثنا أبو بكر » . وقد يروي عن وراق استاذة : « وحدثني أبو يعقوب وراق آبي بكر بن دريد » .

وصلت هذه الشهرة الواسعة إلى الأندلس ، وطبقت الآفاق ، فما هو إلا أن تلقى أبو علي دعوة من الخليفة عبد الرحمن الناصر - باعث النهضة الأدبية

(١) أفضنا هنا في الكلام على القالي وكتابه ، كما توسعنا قليلاً في حديثنا عن كتاب الحيوان أنفاً لأن الطلاب يدرسون نصوصاً مختارة من هذين الكتابين في مادة « المكتبة المربية » وهذا يقتضي شيئاً من التفصيل في ذينك الكتابين أكثر من غيرهما .

والعلمية في عصر الأندلس الزاهر - يستقدم أبا علي إليه ، فلبى الدعوة ، ويمم وجهه نحو قرطبة ، ماراً ببلاد الشام ومصر ، وقد ناهز الأربعين من عمره ، وهناك لقي حفاوة بالغة ، ورعاية كريمة من الخليفة الناصر وابنه الحكم ولي العهد ، وعرف بالبغدادي بين أهل المغرب والأندلس ، لقدومه اليهم من بغداد .

وفي قرطبة وجد القالي المجد المنشود ، علماً وجاهاً ومالاً ، وأفاد منه العلماء والطلاب ، وكثر قاصدوه ، وكان يملئ دروسه في أيام الأخمسة بقرطبة وفي المسجد الجامع بالزهراء ، ضاحية العاصمة ، وممن تتلمذ للقالي هناك : أبو بكر الزبيدي الاشبيلي اللغوي (٣٧٩ هـ) صاحب كتاب « طبقات النحويين واللغويين » فقد لزم أبا علي منذ وفد على الأندلس - كما لزم أبو علي من قبل ابن دريد - وعنه أخذ معظم معارفه في اللغة والنحو والشعر والاختبار ، وخصه بترجمة في كتابه صدرها بقوله : « كان أحفظ أهل زمانه للغة ، وأرواهم للشعر الجاهلي ، وأحفظهم له ، وأعلمهم بملل النحو على مذهب البصريين ، وأكثرهم تدقيقاً فيه » .

وفي قرطبة ألف أبو علي القالي أكثر كتبه ، وأمل كثيراً منها عن ظهر قلبه . وقد طبع منها ثلاثة :

١ - كتاب أفعل : وهو في الأمثال العربية التي تبدأ باسم التفضيل ، مثل : أبلغ من سبحان وائل ، وأخف من ريشة ، وأكذب من مسيلمة ، وأروغ من ثعلب . . . وقد طبع في تونس سنة ١٩٧٢ بتحقيق محمد الفاضل بن عاشور .

٢ - كتاب البارع : وهو معجم لغوي ضخم يشتمل على خمسة آلاف ورقة ، رتبته على مخارج الحروف ، كما فعل الخليل في « العين » ، وليس له نظير في الاحاطة والشمول . ولكن لم يصل إلينا منه سوى قطعة صغيرة يتخللها خروم كثيرة ، طبعت في بيروت سنة ١٩٧٥ بتحقيق هاشم الطمان .

٣ - كتاب الأمالي ، أو « النوادر » : وهو أشهر كتب القالي ، أملاه ظاهراً من قلبه ، وارتجل تفسير ما فيه ، وهو - كما يقول أبو بكر الزبيدي - « غاية في معناه ، وهو أنفع الكتب » .



وكلمة « الأمالي » عرفت في ميداني التعليم والتأليف بالمشرق منذ القرن الثاني للهجرة ، ثم شاعت كثيراً في القرنين الثالث والرابع وما بعدهما ، وظهرت كتب كثيرة قبل القالي وبعده تحمل اسم « الأمالي » ولا سيما في ميدان اللغة والأدب والأخبار . مثل : أمالي اليزيدي (- ٣١٠ هـ) وأمالي الزجاج (- ٣١٦ هـ) ، وأمالي ابن دريد (- ٣٢١ هـ) ، وأمالي أبي بكر بن الأنباري (- ٣٢٨ هـ) - والعالمان الأخيران من أبرز أساتذة القالي الذين ألفوا في الأمالي - وأمالي القالي (- ٣٥٦ هـ) ، وأمالي المرتضى (- ٤٤٦ هـ) ، وأمالي ابن الشجري (- ٥٤٢ هـ) . . .

ولفظ « الأمالي » من جموع الكثرة ، استعمله العرب بصيغة الجمع فحسب أما مفردة فهو « املاء » على غير القياس ، أو هو « أملية » . وهي تشير الى طريقة التدريس ومجالس العلم عند العرب ، كما تشير الى نوع من التأليف كان يقوم على الاملاء ، اذ كان العلماء يجلسون الى تلاميذهم في المساجد ، ويلقون عليهم الدروس ارتجالاً في التفسير والحديث ، والشعر والنثر ، واللغة والنحو . فيكتب عنهم التلاميذ ما يريدون كتابته أو ما يستطيعونه . وأخيراً تضم هذه الأمالي - أو المحاضرات - بعضها الى بعض لتكون كتاباً أو نواة لكتاب ، يعرض في الغالب على الشيخ الملمي ليرى رأيه فيه ، أو ليحيل فيه قلم التحرير والتشذيب اذا شاء وقد يكتب له مقدمة ، ولذا سمي هذا النوع من التأليف بالأمالي . وقد يسمى بالمجالس ، مثل مجالس ثعلب (- ٢٩١ هـ) .



وكتاب « الأمالي » لأبي علي القالي أشهر الكتب التي تحمل هذا الاسم ، واذا أطلقت التسمية فهو المراد ، بخلاف غيره من كتب الأمالي . شأنه في ذلك شأن « الحماسة » فاذا أطلقت كان المراد حماسة أبي تمام ، على كثرة « الحماسات » الأخرى .

وقد يطلق القدماء على أمالي القالي اسم « النوادر » أو « الأمالي والنوادر » . وجدير بالذكر أن أبا علي بعد أن انتهى من املاء كتابه ، ألحق به كتابين آخرين صغيرين ، ضمهما اليه ، هما : « ذيل الأمالي والنوادر » و « النوادر » . ومن هنا اختلطت تسمية الأمالي بالنوادر ، الى أن ثبتت تسمية « الأمالي » عند المتأخرين والمعاصرين .

وقد عرف القدماء فضل هذا الكتاب ومكانته ، فأحلوه منزلة رفيعة ، وجعلوه ركيزة من ركائز الأدب ، وركناً من أركانه . وجمهرة المثقفين تحفظ

أو تعرف ما سبق ذكره ، من قول ابن خلدون في مقدمته ، وهو يتكلم على (علم الأدب) : « وسمنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين^(١) ، وهي : أدب الكاتب : لابن قتيبة ، وكتاب الكامل : للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين : للجاحظ ، وكتاب النوادر : لأبي علي القالي البغدادي . وما سوى هذه الأربعة فتبع لها ، وفروع عنها » .

أملى أبو علي كتاب « الأمالي » من حفظه في أيام الخميس بقرطبة ، حيث كانت له مجالس علمية راتبة ، وصلات ثقافية واسعة ، وأهداه إلى ولي العهد « الحكم » مشيداً بفضلته وفضل أبيه الخليفة الناصر في مقدمة كتابه ، قائلا :

« وجعلت غرضي أن أودعه من يستحقه ، وأبديه لمن يعلم فضله .. حتى تواترت الأنباء المتفقة .. بأن مشرفه في عصره أفضل من ملك الورى ، مهذب الخليفة ، محكم الرأي .. أمير المؤمنين .. « عبد الرحمن بن محمد » .. وابن معظمه ومشتريه ، ربيع العقاة ، وسم العداة .. « الحكم » ولي عهد المسلمين .. الذي لم يترفع فيما مضى من الأمراء شبيهه .. ولا ولد النساء من الأجواد نظيره ... » .

أما موضوع الكتاب ومحتواه : فإن مادته الأساسية تقوم على اللغة خاصة ، من خلال نصوص غزيرة من الأخبار والأشعار والآيات والأحاديث ، والخطب والوصايا ، والحكم والأمثال ، والرسائل وما إلى ذلك . وقد مزج أبو علي ذلك كله في كتابه وأضاف إليه شذرات من التصريف والتفسير والقراءات ، مع الإفاضة في التعليقات والشروح اللغوية للألفاظ والتراكيب ، والاستشهاد عليها بمأثور كلام العرب ، من شعر ونثر ، مما يدل على اطلاع واسع ، وتمكن من اللغة وخصائصها .

وقد لخص مضمون الكتاب تلميذ أبي علي أبو بكر الزبيدي فقال في طبقاته : « وهذا الكتاب غاية في معناه ، وهو أنفع الكتب ، لأن فيه الخبر الحسن ، والمثل المتصرف ، والشعر الفائق المنتقى في كل معنى ، وفيه أبواب من اللغة مستقصاة ، ليست توجد في شيء من كتب اللغة بكمال ما هي في هذا الكتاب ، وفيه الإبدال والقلب مستقصى ، وفيه تفسير الاتباع ، وهو ما لم يسبقه إليه أحد ، إلى فوائد كثيرة فيه »^(٢) .

(١) الديوان ، هنا ، بمعنى الكتاب المدون مطلقاً .
(٢) طبقات النحويين والملغوين ١٨٦ .

وكانت قولة ابن خلدون السابقة حافزاً لبعض العلماء والباحثين من قداماء ومحدثين ، الى أن يوازنوا بين « الأمالي » وأقرانه من أركان كتب الأدب ، ولا سيما الكامل ، لما بين هذين الكتابين خاصة من وشائج القربى والنسب ، يقول ابن حزم : « كتاب نوادر أبي علي مبار لكتاب الكامل ، الذي جمعه المبرد ، ولئن كان كتاب أبي العباس - المبرد - أكثر تحواً وخبراً ، فان كتاب أبي علي أكثر لغة وشعراً » (١) .

فالكتاب - كما ترى - يقوم في منهجه وطريقته على جمع الروايات الأدبية المتنوعة واستيعاب جملة صالحة من النصوص والأخبار ، داخل اطار اللغة ومفرداتها . ذلك أن القالي لا يغادر النص المختار الا بعد أن يشرح ما فيه من ألفاظ غريبة ، ويشير الى ما يشتق من تلك الألفاظ أو يشترك واياها في أصوله واحدة ، ومعان متقاربة .

وقد يستطرد الى أمور أخرى قبل أن يستقبل نصاً آخر جديداً ، وربما عقد مجلساً خاصاً لمادة لغوية بعينها مثل « لحن » أو « خلل » أو « عقب » . . . فيبدأ بشرح الألفاظ مستطرداً الى ذكر شواهد مؤيدة ، أو نصوص مناسبة يثبت بها ما ذهب اليه ، معتمداً على حافظته الواعية وهو يملئ في مجلسه ويروي من محفوظه .

واستطراذه هذا يذكرنا بطريقة الجاحظ في كتبه ولا سيما الحيوان والبيان والتبيين ، وهو ما فعله المبرد أيضاً في كتاب الكامل وغيره . . ولكن لا بد من التذكير بأن كتاب أبي علي القالي لا يغلب عليه الاستطراد الكثير الذي عرفت به الكتب السابقة ، فهو أخف وطأة منها ، وأقصر نفساً ، ذلك أن كل أملية منه تتحدد بكونها محاضرة أو أملية في اللغة تلقى في مجلس واحد . وهو ما يهم أبا علي الذي يستغرق في الشروح اللغوية وشواهدا دون العناية بتفاصيل الأخبار والقصص وما الى ذلك .

صحيح أن الخبر قد يطول لديه فيستغرق عدة صفحات - كما هو الحال في خبر ليلي الأخيلية مع الحجاج - ولكن هذا الخبر لا يخرج عن هذا النطاق ، وما فيه من شعر توبة بين الحمير ، عشيق ليلي . دون أن يستطرد الى ذكر ما روي من قصص حول ذلك العشق وأخباره ، على نحو ما فعل أبو الفرج في كتاب الأغاني ، مثلاً .

(١) معجم الأدباء ٢٨/٧ ط٠ دار المأمون .

ومع ذلك يبقى الكتاب خالياً من منهج محدد المعالم في التأليف ، وعذر صاحبه أنه أملاه في مجالس أسبوعية متعاقبة ، وفي شكل محاضرات مرتجلة ، تتوارد فيها الخواطر على ذهنه ، يتلقفها الطلاب والعلماء بطريقة ألفوها كثيراً ، ولم تكن عندهم موضع انكار ، ان لم نقل انها كانت مستحبة لديهم ، وربما لم يخل ذلك من جفاف وبعد عن الطراءة أحياناً .

والقالي يعرص - في معظم ما يرويه - على ذكر أسانيد رواياته وأخباره .
ويبدأ الخبر عنده عادة بقوله : « حدثنا » أو « حدثني » أو « أنشدني » أو « قرأت على فلان » - وقد يبدو به بقوله : « قال أبو علي » يعني نفسه ، وهي طريقة مألوفة عند أصحاب كتب الأمانى والمحاضرات ، ولا سيما عندما ينتقل أحدهم من موضوع الى آخر ، أو من مقام الى مقام .

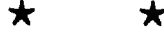
ومن خصائص هذا الكتاب أيضاً أن مادته مشرقية صرف ، فلا تجد فيه شيئاً من أدب الأندلسيين وفكرهم ، ولا نصوصاً من شعرهم ونثرهم ، ويعود ذلك الى أن أبا علي حمل تلك المادة من المشرق ، ووجد على الأندلس حين اكتمل فضجه وعلمه . وليس ببعيد أيضاً أنه كان راغباً في ارواء غليل أهل تلك الجزيرة بأخبار أجدادهم المشاركة ، واحياء تراثهم التليد الذي نأى عنهم وناوا عنه .

ولكتاب « الأمالي » بعد هذا أهمية كبيرة ، فهو يعد مصدراً لغوياً لا غنى عنه ، ذلك أن صاحبه متضلع من اللغة أقوى تضلع ، محيط بها أشد احاطة ، وهو فضلاً عن ذلك خبير بالشعر وروايته . عالم بمعانيه وأسراره ، واختياره لذلك الشعر النادر الثمين يدل على ذوق مرهف أصيل ، وحفظ واسع يذكرنا بالأصمعي والمفضل وغيرهما من رواة الشعر والأخبار . فجاء كتابه من أمتع الكتب الأدبية واللغوية ، وأغزرها مادة ، وأضبطها رواية ، وأدقها تحقيقاً ، وهو في جملة تحفة غنية من الاخبار والنصوص الجميلة .

وقد عرف القدماء فضل كتاب الأمالي ، فقام أبو عبيد البكري الأندلسي « - ٤٨٧ هـ » بشرحه في كتاب « اللآلي في شرح أمالي القالي » الذي طبع في القاهرة سنة ١٩٣٦ بتحقيق عبد العزيز الميمني ، في مجلدين باسم « سمط اللآلي في شرح أمالي القالي » .

وأعقب البكري ذلك بكتاب آخر تسقُط فيه هفوات القالي وأوامامه ، وسماه « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » ، طبع مع الأمالي غير مرة .

كما أن أحمد بن عبد المؤمن الشريشي (٦١٩ هـ) - وهو من العلماء بالأدب والأخبار - اختصر كتاب الأمالي ، ولكن مختصره لم يصل إلينا ، بل ذكرته كتب التراجم .



طبع كتاب « الأمالي » أول مرة ، في جزأين ، بالمطبعة الكبرى الأميرية ، ببلاط مصر سنة ١٣٧٤ هـ ، الموافقة سنة ١٩٠٦ م . ووضع له المستشرقان كرنذو وبيقان-فهارس قيمة طبعت في ليدن سنة ١٩١٣ م .

ثم طبع الأمالي ثانية في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ - ١٣٤٤ هـ ، مع « ذيل الأمالي والنوادر » و « كتاب النوادر » وكلها لأبي علي ، وألحق بها « كتاب التنبيه » للبكري . ووضع لها محمد عبد الجواد الأصمعي خمسة فهارس متنوعة تيسر الانتفاع بها .

ثم طبع مرة ثالثة بمطبعة السعادة بمصر عام ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م عن طبعة دار الكتب المصرية مع الفهارس الوافية أيضاً ، بعهدة مصطفى اسماعيل يوسف .

وصدرت بعد ذلك طبعات أخرى للأمالي ، بطريقة التصوير عن إحدى الطبقات الثلاث السابقة ، حتى انتشر الكتاب كثيراً بعد احتجاب ، وأصبح ميسور الاقتناء بعد عسر .

وعلى هذا ، فقد أصبحت طبعته المتداولة مجموعة من خمسة كتب ينظمها جميعاً مجلدان اثنان كبيران : يشتمل أولهما على كتاب « الأمالي » وحده بجزأيه معاً ، ويضم المجلد الثاني : « ذيل الأمالي والنوادر » و « كتاب النوادر » - وكلاهما للمقالي أيضاً - وألحق بهما كتاب « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » للبكري .



زهراآداب

الحصري القيراني

مؤلف الكتاب أبو اسحق ، ابراهيم بن علي ، الحصري القيراني ، الذي عاش في النصف الأول من القرن الخامس الهجري ، وتوفي سنة ٤٥٣ هـ . وهو أديب نقاد وشاعر مثقف ، نال في عصره شهرة واسعة ، وسارت تأليفه في البلاد . وفي شعره رقة وحلاوة ، وسجية وطبع . وما قاله في الغزل :

كتمتُ هواك حتى عيل صبري وادنتني منكماتي ليرمسي
وحبك مالِك لعظي ولفظي واظهاري ، واضماري ، وحسي
فان أنطق فيك جميع نطقي وان أسكت فيك حديث نفسي (١)

وأشهر كتب الحصري : « زهر الآداب وثمر الألباب » وهو كتاب أدبي صرف ، جمع كل غريبة في فن القول من شعر ونثر ، وفي الكلام على البلاغة والبلغاء ، والشعر والشعراء والانشاء والمنشئين ، متنقلا بين الجد والهزل ، والمطبوع والمصنوع ، والمحاورة والمفاخرة مما حسن لفظه ومعناه ، ولم يكن شارداً حوشياً ، ولا ساقطاً سوقياً ، حتى جاء هذا الكتاب صورة صادقة للعصر الذي عاش فيه مؤلفه ، وما ألفه الناس من ألوان الأدب المصنفي ، وفن القول الجميل ، والمعارف الأدبية -

ذلك هو مضمون « زهر الآداب » ومحتواه . أما خصائصه ومزاياه فنعدد فيما يلي أبرزها :

١ - يقوم هذا الكتاب غالباً على الاستطراد ، والتنقل من موضوع الى آخر ، وصاحبه لا يعنى بترتيب المسائل ، ولا بتبويب الموضوعات ، لأن الأدب

(١) هناك حصري آخر هو أبو الحسن ، علي بن عبد الغني ، الحصري ، من القيراني ، أيضاً ، كان شاعراً ضريباً . قيل انه ابن خالة أبي اسحق صاحب زهر الآداب ، وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها :

يا ليل الصَّبِّ متى غده اقيام الساعة مومده
رقد السُّمار وارقه أسف للبين يسرده
فبكاه النجم ورق له مما يرماه ويرصده . . .

لا موضوع له ، وكذلك كان يفهمه أبو اسحق الحصري ، ويرى زكي مبارك أن « هذه الطريقة من أهم الطرق في التأليف ، وإن عابها من لا يفرق بين الموضوعات العلمية والموضوعات الأدبية » . وقد أشار الحصري نفسه في المقدمة الى أنه قد يجتئح الى ترتيب مواد كتابه وتسلسلها تارة ، والى ارسال بعضها الآخر وتفريقها في مواضع شتى من كتابه « ليسلم من التطويل الممل ، والتقصير المخل ، وتظهر في التجميع افادة الاجتماع ، وفي التفريق لذادة الامتاع » . اذ كان الخروج من جد الى هزل ، ومن حزن الى سهل ، أنفى للكلل ، وأبعد من الكلل . . . » .

٢ - عني الحصري كثيراً بموضوع الوصف ، في كتابه ، وهو يبدى في ذلك وينمى ، ويكثر من ايراد النصوص الشعرية والنثرية في وصف البلاغة والبلاء . والكتّاب والشعراء ، والفُرس ، والكتاب ، والدنيا ، والنار ، والماء ، والرعد ، والبرق ، والحسن ، والمشيب ، والقصور ، والتقوى ، والزهد ، والحسد ، والشباب ، والليل ، الخ . والوصف باب واسع له نصيب وافر في كل الأغراض والمعاني . وكل هذه الأوصاف وغيرها ، كان يهتم بها أهل ذلك العصر من المتقدمين الذين اهتموا بوصف ما تقع عليه أعينهم ، وما يجري في خواطرهم ، عامدين الى ذلك ومتقنين ، ولم يكن الوصف عندهم مما يأتي عفواً عند المناسبات الطارئة .

٣ - ويذكر الحصري في كتابه كثيراً من الآداب الاجتماعية التي كان الناس يحمّدونها لمعده ، فهو يذكر مثلاً ما يجعل في معاملة الملوك ، ويتحدث عن الحرص على الأدب ، وواجب النسخ ، وما الى ذلك مما يتصل بالمرء من حقوق وواجبات .

٤ - والحصري ينقل كثيراً عن معاصريه ، وقد يذكر جوانب من حياتهم ، ويورد شيئاً من شعرهم ونثرهم ، وهذا ما يعطينا صورة حية عن الشعر والنثر في القرنين الرابع والخامس .

٥ - وحاول الحصري ، ما أمكنه ذلك ، أن يخلي كتابه من المجون والمبث ويحرص على الجانب الأخلاقي فيه ، ومن هنا غلب الطابع الجدي على الكتاب . وعلى الرغم من أنه يصرح في بعض المواضع أنه صان كتابه عن ذكر فاحش القول ، إلا أنه غلب على أمره أحياناً فأباح في ألفاف الكتاب ما لا يباح ، وتسمح فيما أخذ به نفسه من جد القول وبريء اللغو ، منساقاً الى شيء من المبعث المالحن .

طبع **زهر الآداب** غير مرة ، ومن نشره زكي مبارك سنة ١٩٢٥ في أربعة أجزاء ، ثم أعاد نشره محمد محيي الدين عبد الحميد سنة ١٩٥٣ ، وتبعه علي البجاوي في طبعة علمية جيدة ، ذات فهرس متنوعة ، وتقع في جزأين اثنتين ، طبعا سنة ١٩٥٣ أيضاً .

ولأبي اسحق الحصري كتاب آخر في جزء واحد طبع أول مرة باسم « ذيل **زهر الآداب** » لأنه سار فيه على طريقته في **زهر الآداب** . ثم نشره البجاوي في طبعة جيدة محققة سنة ١٩٥٣ ورد إليه اسمه الأصلي وهو : **جمع الجواهر في الملتح والنوادر** . ويمتاز هذا الكتاب بجمعه للنوادر ، والفكاهات ، والملح ، إلا أنه يستطرد أيضاً إلى المختار من الشعر ، والجيد من النثر ، ويعتمد عن المجون وما تستهجنه العادات الحسنة والأخلاق الطيبة ، ويثبت ما تتراح إليه الأرواح ، وتطيب له القلوب ، وتشد به الأذهان ، وتنشط لأجله النفوس .



تلك هي أشهر كتب الأدب والثقافة العامة في تراثنا العربي القديم حتى القرن الخامس للهجرة ، ولكن هذه الكتب لا تعد شيئاً بالقياس إلى ما عرفته المكتبة العربية في هذا الميدان ، فضلاً عن غيره ، فما هي إلا قطرة من بحر ، وغيض من فيض ، إذ لم ينقطع التأليف في ذلك ، وألفت كتب جيدة منذ تلك العصور حتى عصور مناخرة ، ونورد منها على سبيل المثال ، للمذكرة :

- ١ - الامتاع والمؤانسة : لأبي حيان التوحيدي « - نحو ٤٠٠ هـ »
- ٢ - البصائر والذخائر : لأبي حيان التوحيدي « - نحو ٤٠٠ هـ »
- ٣ - بهجة المجالس : لابن عبد البر القرطبي « - ٤٦٣ هـ »
- ٤ - محاضرات الأدباء : للراغب الأصفهاني « - ٥٠٢ هـ »
- ٥ - نهاية الأرب في فنون الأدب : للنويري « - ٧٣٢ هـ »
- ٦ - صبح الأعشى في صناعة الانشاء : للقلقشندي « - ٨٢١ هـ »
- ٧ - المستطرف من كل فن مستظرف : للأبشيبي « - ٨٥٠ هـ »
- ٨ - المغلاة : لبهاء الدين العاملي « - ١٠٣١ هـ »
- ٩ - الكشكول : لبهاء الدين العاملي « - ١٠٣١ هـ »
- ١٠ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : للمقري التلمساني « - ١٠٤١ هـ »

الباب الرابع

كتب النراجم

وما إليها

تمهيد في تعريف مكتب التراجم وانجازاتها وطرائقها

كتب التراجم هي تلك التي تحدثنا عن حياة الأعلام البارزين من الرجال والنساء ، علي السواء ، في ميادين العلم ، والأدب ، والطب ، والاجتماع ، والسياسة ، واللغة ، والنحو ، والفن ، والفلسفة ، ... الخ .

وان التاريخ لأولئك الأعلام ، في تراثنا العربي ، فن قائم بذاته يعرف بفن التراجم . ويعد العرب في طليعة الأمم في هذا المضمار ، من حيث اهتمامهم بأخبار رجال العلوم والآداب ، ورسم معالم حياتهم ، حتى شغلت كتب التراجم في ذلك التراث أبين مكان ، واستغرقت أكبر حيز . وهي - في جملتها - تقوم على ذكر تاريخ ولادة المترجم ، ونشأته العلمية ، ورحلاته ، وأساتذته ، وطلابه ، وبمضحكايات رويت ، وحوادث عرّضت ، ويعقب ذلك تاريخ وفاته . وربما ورد خلال ذلك شيء من مؤلفاته وآرائه المتعلقة باختصاصه الذي يبرز فيه .

وكتب التراجم هذه تعد من أغنى الكتب فائدة ، وأمتعتها عرضاً ، لأنها لا تقتصر على عرض سير أولئك الأعلام وأخبارهم وتجاربهم ورحلاتهم ، بل كثيراً ما تندرج خلال ذلك معارف وحقائق وأخبار غنية لا صلة لها مباشرة بالعلم الذي نقرأ ترجمته ، ومثل هذه المعارف الجانبية قد يفيد الباحث ، في شؤون أخرى مختلفة ، لما فيها من تنوع وجدة وطرافة ، وهي تأتي مصادفة في مطاوي تلك الكتب ، فيجد فيها القارئ صورة صادقة عن جانب أو أكثر من جوانب الحياة الاجتماعية ، والفكرية ، والعلمية ، والثقافية ، والأدبية ، في عصر من العصور ، أو في بلد من البلاد .

وربما كان الباحث الأول على ترجمة الرجال عند العرب ، يعود الى عناية المحدثين في بداية تدوين الحديث النبوي وجمعه - برواية الأحاديث والآثار المتعلقة بحياة النبي (ص) وغزواته ، وكذلك الحوادث المتعلقة بكبار الصحابة ، ولا سيما الخلفاء الراشدين ، فكان ذلك أساساً لوضع كتب السيرة النبوية . وقد روي أن أول من ألف في سيرة رسول الله (ص) عروة بن الزبير بن العوام

« ٢٣ - ٩٤ هـ » ، وأبان بن عثمان بن عفان « ٢٢ - ١٠٥ هـ » في العصر الأموي . وتبعهما كل من محمد بن اسحق المطلبي « ١٥١ هـ » وعبد الملك ابن هشام المعافري « ٢١٣ هـ » في الموضوع نفسه .

وكانت الخطوة التالية للمحدثين ، بعد جمعهم للأحاديث النبوية ، أن قاموا بنقد رواية تلك الأحاديث وتعديلهم أو تجريحهم ، وفي مقدمتهم شعبة بن الحجاج « ١٦٠ هـ » ويحيى بن سعيد القطان (١٩٨ هـ) ، فتكون من ذلك مجموعات من تراجم الرواة ورجال الحديث وسيرهم وكنائهم وألقابهم ، في كتب عرفت بكتب الجرح والتعديل ، أو كتب معرفة الرجال ، وتحمل عناوين مختلفة ، مثل : كتاب الضعفاء : للبخاري (٢٥٦ هـ) ، وكتاب الضعفاء والمتروكين : للنسائي « ٣٠٣ هـ » ، وكتاب الكنى والأسماء : لأبي بشر الدولابي « ٣٢٠ هـ » وكتاب الجرح والتعديل : لعبد الرحمن الرازي « ٣٢٧ هـ » . ثم توالى أمثال هذه الكتب بعد ذلك .

وجاء رجال الأدب واللغة وما إليها فقلدوا المحدثين وحذوا حذوهم ، في تأليف كتب تعنى بتراجم الرجال والنساء في كل علم وفن ، ويبدو أثر المحدثين بارزاً في عناية مؤلفي كتب التراجم الأدبية وغيرها بأسانيد رواياتهم ، على طريقة أسانيد المحدثين ، وسردها بين يدي كل خبر يوردونه . وهذا التأثير واضح في كتاب الأعلامي ، لأبي الفرج الأصفهاني وعيون الأخبار ، لابن قتيبة ، وغيرهما .

ويعود السبب في ازدهار فن التراجم عند العرب في العصر العباسي الى اتساع نطاق المعرفة ، وكثرة عدد الأعيان والأعلام البارزين الذين كانت لهم فعاليات قوية في تاريخ الحياة العربية ، والمعارف الإسلامية ، والفنون الأدبية والثقافية ، والتيارات الفكرية ، فكان من الطبيعي أن تتجه عناية المصنفين والعلماء الى الكتابة عن هؤلاء جميعاً ، والترجمة لهم ، اما على نطاق فردي ، يعنى بالترجمة لعلم مشهور بعينه ، فيخصه بكتاب مستقل^(١) ، واما على نطاق جماعي ، يعنى بالترجمة لعدد وافر من الأعلام ، يجمع شملهم في كتاب واحد يؤلف بينهم ، وهذا هو المنحى الغالب في كتب التراجم القديمة ، وهو الذي يهمنا هنا .

(١) من ذلك : السيرة النبوية : لابن هشام . وسيرة عمر بن عبد العزيز : لعبد الله بن عبد الحكم . ومثله لابن الجوزي . وأخبار أبي نواس : لأبي هنان المهزمي . ومثله لابن منظور . والنوادر السلطانية « في سيرة صلاح الدين » : لابن شداد . والمحسن البصري : لابن الجوزي . والصبح المثني عن حيشة المتنبى : ليوسف البديعي .

وهذه الكتب المؤلفة في التراجم المجتمعة تختلف في مضامينها وطبيعتها
الأعلام الذين تترجم لهم من جهة ، كما تختلف عنواناتها - من جهة أخرى -
اختلافاً قد يدل على منهجها ومضمونها ، وقد لا يدل على ذلك . مثل : الشعر
والشعراء ، المؤلف والمختلف ، معجم الشعراء ، مراتب النحويين ، جذوة
المقتبس ، وفيات الأعيان ، تاريخ بغداد ، الفلاحة والمفلوكون ، نساء الخلفاء ،
أخبار النحويين البصريين ، معرفة القراء الكبار ، المحمدون من الشعراء ،
..... الخ .

ومما يلفت النظر أن بعض كتب التراجم يحمل عنوان « الطبقات » وهذا
النوع من الكتب يترجم لجماعات من الأعيان اتفقت في الغالب اختصاصاتهم ،
وتلاقت ثقافتهم ، فيصنفون تصنيفاً « طبقياً » معينا يقوم على مراعاة الزمان ،
أو المكان ، أو المنزلة العلمية ، أو يخرج عن ذلك الى ترتيب الأسماء على حروف
المعجم ، أو يجمع بين ذلك ، كله أو بعضه ، بطريقة ما . وربما كان الكتاب
يحمل اسم « طبقات » ولكنه يخلو من أي تقسيم ذي مفهوم طبقي سوى ذكر
منزلة العالم نفسه خلال الترجمة له . ومن الأمثلة على ذلك كله : الطبقات
الكبرى ، طبقات فحول الشعراء ، طبقات النحويين واللغويين ، نزهة الألباء في
طبقات الأدباء ، طبقات الشعراء ، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء .

وكذلك تختلف الاتجاهات التي سلكها مؤلفو كتب التراجم ، والطرائق
التي اعتمدها في اختيار الأعلام المترجمين ، من حيث اختصاصاتهم وعصورهم
والصفات الغالبة عليهم ، ونواحي النشاط التي قاموا بها في حياتهم . وفي
ضوء ذلك يمكن أن نميز الاتجاهات والميادين التالية في تأليف كتب التراجم
عامة :

١ - بعض المؤلفين اقتصر في تراجمه على أهل مدينة بعينها ، ممن ولد
في تلك المدينة ونشأ فيها ، أو مرّ بها ، أو توفي فيها . مثل : تاريخ بغداد :
للخطيب البغدادي « - ٤٦٣ هـ » ، وتاريخ دمشق : لابن عساكر « - ٥٧١ هـ » ،
ودرّ الجيب في تاريخ أعيان حلب : لابن الحنبلي الحلبي « - ٩٧١ هـ » .

٢ - وبعضهم اهتم بتراجم الصحابة وحدهم ، دون غيرهم من الأعلام
الأخرين ، ومن هذه الكتب : الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لابن عبد البر
« - ٤٦٣ هـ » ، وأسد الغاية في معرفة الصحابة : لعز الدين بن الأثير « - ٦٣٠ هـ »
لأصابية في تمييز الصحابة : لابن حجر « - ٨٥٢ هـ » .

٣ - وحظي المتصوفة والزهاد بكتب خاصة بهم ، تترجم لهم ، وتجمع أخبارهم ، مثل : طبقات الصوفية : للسلمي (- ٤١٢ هـ) وحلية الأولياء : لأبي نعيم الأصفهاني « - ٤٣٠ » ، وصفة الصائرة : لابن الجوزي « - ٥٩٧ » .

٤ - ومن المؤلفين من ترجم لأعيان عصره الذي عاشه ، والنصر التريب منه ، ومن أمثلة ذلك : كتاب يتيمة الدهر : للثعالبي « - ٤٢٩ هـ » ، ودمية القصر : للباخرزي « - ٤٦٧ » ، والنخبة في محاسن أهل الجزيرة : لابن بسام الأندلسي « - ٥٤٢ » ، وخريدة القصر : للعماد الأصفهاني « - ٥٩٧ » .

٥ - وراعى بعض المؤلفين في تراجمهم اختصاص المترجمين ، والميادين العلمية والفكرية التي برزوا فيها أكثر من غيرها ، إذا كان الواحد منهم متعدد الجوانب والاختصاصات . وهذا يحتاج الى مزيد من التحري والتمحيص ، وربما اختلفت فيه وجهات النظر أحياناً ، وأهم هذه الجوانب : الشعر ، واللغة والنحو ، والقراءات القرآنية ، والحديث النبوي ، والطب ، والفلسفة والحكمة ، والتفسير ، والفقه . ونذكر فيما يلي كتباً مؤلفة في بعض هذه الجوانب :

أ - تراجم الشعراء : طبقات فحول الشعراء : لابن سلام الجمحي « - ٢٣٢ هـ » والشعر والشعراء : لابن قتيبة « - ٢٧٦ » ، وطبقات الشعراء المحدثين : لابن المعتز « - ٢٩٦ » ، والأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني « - ٣٥٦ » والمؤتلف والمختلف : للآمدي « - ٣٧٠ » ومعجم الشعراء : للمرزباني « - ٣٨٤ » والمحمدون من الشعراء : للقفطي « - ٦٤٦ » .

ب - تراجم اللغويين والنحويين : وقد جمع المؤلفون بين هؤلاء وأولئك في كتب واحدة ، لأنك قل أن ترى لغوياً لا يشتغل في النحو ، أو نحوياً لا يشتغل في اللغة . ومن هذه الكتب : مراتب النحويين : لأبي الطيب اللغوي « - ٣٥١ هـ » وأخبار البصريين : لأبي سعيد السيرافي « - ٣٦٨ » ، وطبقات النحويين واللغويين : لأبي بكر الزبيدي الأندلسي « - ٣٧٩ » ، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء : لابن الأنباري « - ٥٧٧ » ، وانباء الرواة على أنباء النحاة : للقفطي « - ٦٤٦ » وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : للسيوطي « - ٩١١ » .

ج - تراجم الأطباء والحكماء والفلاسفة : طبقات الأطباء والحكماء : لابن جليل « - ٣٧٧ هـ » وهو من أقدم ما ألف في هذا الموضوع . وكتاب

تاريخ حكماء الاسلام : لظهر الدين البيهقي « - ٤٦٥ » واخبار العلماء بأخبار الحكماء : للقفطي « - ٦٤٦ » ، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء : لابن أبي أصيبعة « - ٦٦٨ » .

٦ - وهناك كتب التراجم العامة التي لا تختص بفئة معينة ، ولا بطائفة محدودة ، بل تشمل جمهرة الأعلام والأعيان المشهورين في المصور كافة ، على اختلاف مشاربهم وثقافتهم وصفاتهم العلمية والسياسية والاجتماعية والفنية ، منذ القديم حتى عصر المؤلف ، مهما كان الميدان الذي برز فيه نشاطهم أو اختصاصهم ، ولا سيما الأدباء الذين أخذوا من كل علم بطرف ، وأسهموا في ميادين التأليف والتصنيف ، ومن تلك الكتب : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : لابن الجوزي « - ٥٩٧ هـ » ومعجم الأدباء : لياقوت الحموي « - ٦٢٦ » ، ووفيات الأعيان : لابن خلكان « - ٦٨١ » وفوات الوفيات : لابن شاعر الكتبي « - ٧٦٤ » والوفاء بالوفيات « - ٧٦٤ » ، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : للشوكاني « - ١٢٥٠ » .

ومن هذا النوع كتب ألفت على القرون الهجرية ، مثل : الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة : لابن حجر « - ٨٥٢ هـ » والضوء اللامع لأهل القرن التاسع : للسكاوي « - ٩٠٢ » .

وهذه الكتب جميعاً ، المؤلفة في التراجم المختلفة ، لا تسير على منهج واحد في الترتيب والتنظيم ، فقد تتفق فيما بينها حيناً ، وتختلف حيناً آخر :

- فقد ترتب أسماء الأعلام المترجمة ترتيباً هجائياً : وربما بديء قبل ذلك كله بالمحمدين والأحمدين ، ثم تتسلسل حروف الهجاء من الهمزة الى الياء : كبنية الوعاة للسيوطي .

- وقد يكون الترتيب فيما بين الأعلام زمنياً في الأغلب ، يراعى فيه الأقدم ، فالأقدم : كالشعر والشعراء لابن قتيبة ، ونزهة الألباء للأنباري .

- وبعض كتب التراجم حشدت فيها أسماء الأعلام موزعة على البلدان والأقاليم المختلفة المشهورة : كالمراق ، ومصر ، وبلاد الشام ، .. الخ . كتيمة الدهر للشالبي .

– وقد يكون للمفهوم « الطبقي » أثره في التقسيم والترتيب ، بحسب المنزلة العلمية أو الأدبية أو الشعرية للمترجمين ، فيوزعون على طبقات مختلفة ، كما في (طبقات النحويين واللغويين) للزبيدي الأندلسي .

– وقد تنوّى تراجم الأعلام متسلسلة بحسب سنوات وفياتهم ، سنة سنة ، حيث يترجم في كل سنة لمن مات فيها ، ثم التي بعدها وهكذا ، مثل كتاب المنتظم لابن الجوزي ، والنجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي ، وشدرات الذهب لابن العماد الحنبلي .

– وقد يجمع المؤلف بين طريقتين أو أكثر من هذه الطرائق والمناهج في شكل يرتضيه لكتابه ، وتقتضيه طبيعة هذا الكتاب ومن يترجم لهم .

ثم ان هناك كتباً أخرى يمكن أن تسلك في هذا السّمط ، وهي كتب تعنى بترجمة المادة العلمية نفسها ، وتعرف بأبرز أصحابها والمؤلفين فيها ، وتذكر أسماء كتّيبهم التي ألفوها في هذا الميدان . ذلك أنه لما اتسعت العلوم عند العرب ، وكثرت المؤلفات في الموضوعات المختلفة ، أصبحت الحاجة ماسة الى الاحاطة بتلك العلوم وميادينها وأشهر من برّز فيها . ومن هنا ظهرت تلك الكتب التي تعنى بتقصي جوانب التراث العربي ، مؤلفاً ومترجماً ، وحصر العلوم واحصائها ، والقيام بوصفها وبيان طبيعتها وحدودها ، والتعريف بأصحابها في وقت واحد ، في مسارد شاملة للعلوم العربية وللعلماء معاً ، وراصدة للنتاج الفكري على مر العصور ، منذ أن عرف العرب التدوين والتأليف . فهي اذن كتب تتناول العلوم وأصحابها معاً .

ومن أمثلة ذلك : الفهرست : لابن النديم (أواخر القرن الرابع ، أو أوائل القرن الخامس) والفهرست : لابن خير الاشبيلي « – ٥٧٥ هـ » ، وارشاد القاصد الى أسنى المقاصد : لابن ساعد الأنصاري السنجاري « – ٧٤٩ هـ » ومفتاح السعادة : لطاشكبري زاده « – ٩٦٨ هـ » وأسماء الكتب : لعبد اللطيف ابن محمد رياضي زاده « القرن ١١ هـ » ، وكشف الظنون : لحاجي خليفة « – ١٠٦٧ هـ » .

ويحسن أن نلحق بهذا الجانب أيضاً ما ألفه العلماء من كتب تعرف بالمدن والأقاليم والمواضع التي كانت مراكز للعلم والثقافة ، أو منتجعات للرحالة والمسافرين ، أو مقاصد للحجاج والمجاورين ، في أصقاع العالم العربي والاسلامي ، وهذه الكتب تعرف بكتب الرحلات والبلدان ، مثل : رحلة ابن جبير « – ٦١٤ هـ » ورحلة ابن بطوطة « – ٧٧٩ هـ » المسماة : « تحفة النظار

في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » - وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم :
للمقدسي (- نحو ٣٩٠) ، ومعجم ما استمعجم من أسماء البلاد والمواضع :
لأبي عبيد البكري « - ٤٨٧ هـ » والروض المعطار في خبر الأقطار : للمحميري
(ق ٧ - ٨ هـ) ومعجم البلدان : لياقوت الحموي « - ٦٢٦ هـ » .

وفي العصر الحديث كثرت كتب التراجم المفردة خاصة ، حتى كادت تغطي ،
بل طفت على كتب التراجم المجتمعة . إلا أنه لا بد من التنويه ببعض كتب
التراجم العامة الشاملة في هذا العصر ، وهي ثلاثة :

الأعلام : لخير الدين الزركلي « - ١٩٧٦ م » ومعجم المؤلفين ، وأعلام
النساء : وكلاهما لعمر رضا كحالة .

وسوف نتناول بالدراسة في الصفحات التالية بعضاً من كتب التراجم
والبلدان ومصادر المؤلفات في تراثنا العربي ، قديماً وحديثاً .

* * * *

الفصل الأول كتب تراجم الشعراء

طبقات فحول شعراء الابن سلام

هذا أقدم كتاب وصل إلينا في تراجم الشعراء القدامى ، وتصنيفهم في طبقات . ألفه أبو عبدالله محمد بن سلام الجُمَحي ، الذي ولد في البصرة ، وعاش حياته في بغداد ، وكانت نشأته في بيت علم وثقافة ، فأبوه راوية أدب ، وأخوه عبد الرحمن من رواة الحديث . أما محمد فقد درس على جلة من شيوخ الأدب واللغة في عصره : كالأصمعي ، وخلف الأحمر ، وأبي عبيدة معمر ابن المنثى ، والمفضل الضبي ، . . وحظي بين معاصريه بمكانة رفيعة ، وكان موضع اجلال الناس جميعاً .

وقد روى عنه من كبار علماء عصره : أحمد بن حنبل ، وثعلب ، وأبو عثمان المازني ، ويحيى بن مَعِين ، وابن أخته أبو خليفة الجمحي . .

توفي ابن سلام سنة ٢٣٢ هـ وقد ناهز التسعين من عمره ، وله من الكتب : كتاب بيوتات العرب ، وكتاب الفاصل في مُلَحِّج الأخبار والأشعار ، وكتاب غريب القرآن ، وكتاب طبقات فحول الشعراء . . .

ولكن لم يصل إلينا من كتبه سوى الأخير : « طبقات فحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين » وعنوانه الكامل هذا يدل على مضمونه ومحتواه . وربما يسمى اختصاراً « طبقات فحول الشعراء » أو « طبقات الشعراء » . أو « طبقات ابن سلام » . وقد رواه عن ابن سلام : ابن أخته أبو خليفة الجمحي ، واسمه الفضل بن الحُبَاب ، وكان من رواة الأخبار والأشعار والآداب والأنساب .

وكتاب « طبقات فحول الشعراء » يتألف من مقدمة طويلة ، تتبعها تراجم الشعراء .

أما المقدمة فهي تقارب الخمسين صفحة بحواشيها ، في الطبعة الأخيرة للكتاب ، وقد أوضح ابن سلام في هذه المقدمة منهجه في كتابه ، وتناول عدداً من القضايا الأدبية المهمة ، التي تتصل بتاريخ الأدب ، والنقد الأدبي ، والتي سبق فيها ابن سلام غيره ، في مقدمة تعد الأولى من نوعها ، ونكتفي هنا بمرض أهم تلك القضايا :

وقد كانت قضية الشعر « الموضوع » أول ما تحدث عنه ابن سلام ، فقال : « وفي الشعر مصنوع مُفتعل موضوع كثير لا خير فيه ، ولا حُجّة في حريية ، ولا أدبٌ يستفاد ، ولا معنىٌ يُستخرج » ، وبين سبب ذلك بأن الناس لم يأخذوا هذا الشعر من منبعه الأصلي ، فقال : « وقد تداوله قوم من كتاب التي كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء ، وليس لأحد - إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه - أن يقبل من صحيفة ، ولا يروى عن صحفي^(١) » . ومنا يجدر ذكره هنا أن كل من كتب في عصرنا هذا ، في موضوع نحل الشعر الجاهلي كان عالة على ابن سلام .

وينتقل ابن سلام في مقدمته الى فكرة أخرى يبدو من خلالها مؤمناً بالتخصص في العلم والأدب ونقد الشعر ، كما هو الشأن في كل صناعة فيقول : « وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات . . من ذلك اللؤلؤ والياقوت ، لا تعرفه بصفة ولا وزن ، دون الماينة ممن يبصره . . ويقال للرجل والمرأة في القراءة والفناء : انه لندي الحلق ، طلّ الصوت^(٢) ، طويل النفس ، مصيب للحن ، ويوصف الآخر بهذه الصفة ، وبينهما بون بعيد . يعرف ذلك العلماء عند الماينة والاستماع له ، بلا صفة ينتهي اليها ، ولا علم يوقف عليه » .

ويرى ابن سلام أن الراوية الاخباري محمد بن اسحق المطلبي « - ١٥١هـ » « كان ممن أفسد الشعر وهجنه ، وحمل كل غُثاء منه^(٣) » . وكان أكثر علمه

(١) الصحفي : الذي يأخذ عن صحيفة ، لم يعرض على العلماء ، ولم يتلق علمه بالرواية .

(٢) ندي الحلق : طري الحلق ، وهذا أرفع لصوته ، وإبعد لمدهبه . وطل الصوت : حسنه ومذهبه وناعمه ، بهيج النغمة .

(٣) هجن الشيء : قبحه وأدخل فيه آفة تعيبه . والغثاء : ما يحمل السيل من الزبد وورق الشجر البالي .

بالمغازي والسير وغير ذلك ، فقبل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر ، أتينا به فأحمله . ولم يكن ذلك له عذراً . . » .

ويتناول قضية أنساب العرب ، وأول من تكلم بالعربية قديماً ، فيشك
فيهما فوق عدنان من « أسماء لم تؤخذ إلا عن الكتب ، والله أعلم بها ، لم يذكرها عربي قط » كما يشك في ذلك الشعر الذي يُنسب إلى عاد وثمود ، وهو « ليس بشعر ، إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف » ويلخص رأيه في ذلك قائلاً : « فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان ، ولا نجد لأولية العرب المعروفين شعراً ، فكيف بماد وثمود ؟ فهذا الكلام^(١) الواهن الخبيث . ولم يروِ خط عربي منها بيتاً واحداً ولا رواية للشعر ، مع ضعف شريه ، وقلة طلاوته » .

والى جالب ما تقدم من قضايا أدبية ونقدية ، عرض ابن سلام في مقدمة
كتابه - لنشأة النحو العربي ، على يد أبي الأسود الدؤلي ومن أخذ عنه مثل يحيى بن يعمر ، وميمون الأقرن ، ونصر بن عاصم الليثي ، كما تحدث عن شيوع اللحن على الألسنة ، ولا سيما في العصر الأموي ، ووقوف علماء اللغة في وجه اللحن واللاحنين .

ويعود ثانية إلى الشعر فيتكلم على نشأة الشعر العربي وتحوله في القبائل ،
وضياع قسم كبير منه ، ومتى قصص القصائد ؟ ويشير في إيجاز إلى ما قام به الخليل بن أحمد من استخراج الأوزان ووضع علم العروض .



تلك هي أهم القضايا التي تناولها ابن سلام في مقدمة كتابه « طبقات
فحول الشعراء » ، وتأتي بعد ذلك تراجم الشعراء الجاهليين والإسلاميين ،
وقد اقتصر ابن سلام على المشهورين المعروفين منهم ، فقال في المقدمة : « ذكرنا العرب وأشعارها ، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وإشرافها وأيامها ، إذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب ، وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها ، فاقصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم ، ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب » .

وقد رتب ابن سلام الشعراء في كتابه على طبقات ، بحسب معايير ارتضاها
لنفسه ، وهذه المعايير تراعي بيئات الشعراء تارة ، وعصرهم تارة أخرى ،

(١) الكلام : خبر المبتدأ « هذا » . والاشارة إلى رواية ابن اسحق شعراً لماد وثمود .

والموضوعات التي طرقتها تارة ثالثة ، الى جانب اعتبارات أخرى فنية كالجودة والكثرة في شعر كل شاعر .

وهذه الطبقات موزعة على النحو التالي :

١ - طبقات فحول الجاهلية : وقد اختار هنا ابن سلام أربعين شاعراً وزعها على عشر طبقات ، في كل طبقة أربعة شعراء اجتمع أهل العلم على أنهم أشهر العرب طبقة ، ثم اختلفوا في المفاضلة بينهم :

فالتبقة الأولى : امرؤ القيس ، والنايفة الذبياني ، وزهير بن أبي سلمى ، والأعشى .

والطبقة الثانية : أوس بن حجر ، وبشر بن أبي خازم ، وكعب بن زهير ، والحطيئة .

والطبقة الثالثة : النابغة الجعدي ، وأبو ذؤيب الهذلي ، والشماع ابن ضرار ، ولييد بن ربيعة . . . الخ .

٢ - طبقة أصحاب المراثي : وعددهم أربعة وهم : متمم بن نويرة ، والخنساء ، وأعشى باهلة ، وكعب بن سعد الغنوي .

٣ - طبقة شعراء القرى العربية : وتشمل شعراء أربعة مواضع :

أ - شعراء المدينة ، وهم خمسة : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وقيس بن الخطيم ، وأبو قيس الأسلت (ثلاثة مخضرمون ، واثنان جاهليان) .

ب - شعراء مكة : وعددهم تسعة من الجاهليين والمخضرمين ، منهم : عبد الله بن الزبير ، وأبو طالب بن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن الحارث ، وضرار بن الخطاب الفهري . .

ج - شعراء الطائف : وهم خمسة من الجاهليين والمخضرمين وكلهم من قبيلة ثقيف ، مثل : أمية بن أبي الصلت ، وأبي محجن الثقفي . .

د - شعراء البحرين : ثلاثة : المثقب العبدني ، والممزق العبدني ، والمفضل التكري .

٤ - طبقة شعراء يهود : وهم ثمانية ، منهم : السمور ، وكعب بن الأشرف .

٥ - طبقات فحول الاسلام : وعددهم أربعون شاعراً ، معظمهم من شعراء العصر الأموي ، كجرير ، والفرزدق ، وكثير عزة ، وجميل يثينة ، ورؤبة ابن المعجاج . وفيهم مخضرمون كحميد بن ثور ، وجاهليون كبشامة بن الغدير . وقد وزعهم ابن سلام على عشر طبقات أيضاً ، كما فعل في فحول الجاهلية ، وفي كل طبقة أربعة شعراء :

الطبقة الأولى : جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، والراعي النميري .
والطبقة الثانية : البعث المجاشعي ، والقُطامي ، وكثير عزة ، وذو الرُّمة .

والطبقة الثالثة : كعب بن جُعيل ، وعمرو بن أحمر ، وسحيم بن وثيل ، وأوس بن مفرأ . الخ .

وبذلك يصبح مجموع شعراء كتاب ابن سلام ٤٠ شاعراً .

ويلاحظ على هذا التوزيع « الطبقي » ما يلي :

١ - أن ابن سلام يفصل بين فحول الجاهلية وفحول الاسلام بأصحاب المراثي ، وشعراء القرى العربية ، ومن كانوا يتخذون اليهودية ديناً ، وأن العدد في كل طبقة لا يقتصر دائماً على أربعة .

٢ - وأنه خلط الجاهليين والاسلاميين في الطبقة الواحدة أحياناً ، ولا سيما في فحول الجاهلية ، وفحول الاسلام معاً ، ولم يعتبر المخضرمين طبقة قائمة بنفسها بل نزلهم منازلهم ، من طبقات أهل الجاهلية ، وطبقات أهل الاسلام . ففي الطبقة الثانية من الجاهليين : أوس بن حجر ، وبشر بن أبي خازم ، وهما جاهليان ، ومعهما كعب بن زهير والحطيئة ، وهما مخضرمان . والطبقة الثالثة كلها مخضرمون .

وشعراء الطبقة الأولى من فحول الاسلام كلهم أمويون ، وفي الطبقة الثامنة بشامة بن الغديري ، وقراد بن حنش ، وهما جاهليان ، ومعهما شبيب ابن البرصاء - وهو مخضرم - وعقيل بن علفة ، وهو أموي .

٣ - ولم يوضح ابن سلام القواعد التي بنى عليها اختياره لشعراء كل طبقة ، واتخذها أساساً للمفاضلة بين أصحابها . وربما كان من أسباب تفضيله للشاعر كثرة شعره من جهة ، وجودته الفنية من جهة أخرى . ولا يبعد أن يكون ابن سلام قد تابع في هذا الاختيار والتفضيل آراء العلماء قبله ، فهو يقول في مقدمة كتابه : « ثم انا اقتصرنا^(١) - بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم - إلى رهط أربعة ، اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة ، ثم اختلفوا فيهم بعد^(٢) » .

٤ - وفي ترجمته للشاعر يبدأ بذكر نسبه ، ثم يورد رأي المتنبي في شعره ، وقد يوازن بينه وبين غيره من الشعراء ، مؤيداً ما يذهب إليه بأشعار ذلك وهؤلاء . وربما فسر في أحيان قليلة بعض الألفاظ الغريبة الواردة في تلك الأشعار .

وخلاصة القول في كتاب « طبقات فحول الشعراء » أن « ابن سلام هدب النقد الساذج من موروث الجاهلية ، وإن لم يصف إليه كثيراً ، وحاول أن يدخل في تاريخ الأدب اتجاهاً نحو التفسير والتعليل ، ومحاولة للتبويب والتنظيم ، تخضع لأسس ، وتنهض على قواعد ، واهتماماً بسير الشعراء وحياتهم ، ليفسر في ضوئها إنتاجهم . وإن لم يكن قد بلغ الغاية في كتابه ، فحسبه أن يضع اللبقة الأولى^(٣) » .

طبع كتاب ابن سلام هذا منذ سنة ١٩١٣ م حتى اليوم عدة طبعات ، آخرها وأجودها : الطبعة التي حققها محمود محمد شاكر ، وقد نشرت طبعته هذه أول مرة في مصر سنة ١٩٥٢ ثم أعاد تحقيق الكتاب من جديد في طبعة ثانية أكمل وأوفى سنة ١٩٧٤ في جزأين . وفي أوائل عشر الثمانين صورت تلك الطبعة الثانية وأضاف إليها المحقق جزءاً آخر بعنوان « برنامج طبقات فحول الشعراء » ضمنه بعض التوضيحات حول عمله في الكتاب ، من جهة ، وبعض الردود على من انتقد هذا العمل في الطبعتين السابقتين من جهة أخرى . ويقع هذا البرنامج في ١٧٩ صفحة ، وتاريخ مقدمته هو ١٩٨٠ م .

(١) اقتصرنا : معناه هنا : انتخبنا ، ولذلك عدناه بحرف الجر « إلى » .

(٢) دراسة في مصادر الأدب ، د . طاهر أحمد مكي ١٥١ .

ونذكر فيما يلي نصاً من كتاب « طبقات فحول الشعراء » يتضمن ترجمة
زهير بن أبي سلمى ، وقد جعله ابن سلام في الطبقة الأولى من فحول الجاهلية :

« وزهير بن أبي سلمى - واسم سلمى : ربيعة - بن رياح بن قنوط بن
الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن مزينة .

أخبرني عيسى بن يزيد بن دأب باسناد له عن ابن عباس قال : قال لي
عمر : أنشدني لأشعر شعرائكم . قلت : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال :
زهير . قلت : وكان كذلك ! قال : كان لا يعاقل في الكلام ، ولا يتتبع حوشيه ،
ولا يمدح الرجل الا بما فيه (١) .

وأخبرني عمر بن موسى الجمحي ، عن أخيه قدامة بن موسى - وكان
من علماء أهل المدينة - أنه كان يقدم زهيراً . قلنا : فأشعره شعره كان اعجب
اليه ؟ قال : التي يقول فيها :

قد جعل المبتغون الخيرَ في هَرمٍ - والسائلون الى أبوابه طرفاً
متنّ يلقي يوماً ، على علاته ، هرماً يلقى السحابة منه والندى خلفاً

وقال أهل النظر : كان زهير أخضفهم (٢) شعراً ، وأبعدهم من سجع ،
وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق ، وأشدّهم مبالغة في المدح (٣) ،
وأكثرهم أمثالا في شعره .

وأخبرني أبو قيس العنبري - ولم أر بدوياً يزيد عليه (٤) - عن عكرمة
ابن جرير ، قال : قلت لأبي : يا أبة ، من أشعر الناس ؟ قال : أعن أهل
الجاهلية تسألني أم عن أهل الاسلام ؟ قلت : ما أرفقت الا الاسلام ، فأتاك ذكرت
الجاهلية فأخبرني عن أهلها . قال : زهير شاعرهم . قال : قلت : فالاسلام ؟

(١) الماطلة : أن يحقد الكلام ، وهو الذي يفضله فوق بعض حتى يقدح في بعض .
وحوشي الكلام : وحشيته وخرابه .

(٢) أحسنهم : أحكمهم وأجزلهم - من الصفاة : جودة الرأي وأحكامه .

(٣) المراد بالمبالغة هنا : الاجتهاد في تصحيح معنى المدح ، وتوقيفه حقه .

(٤) أي يزيد عليه أو يماثله في حسن الحديث ، وسعة الرواية .

قال : الفرزدق نبعة الشعر^(١) • قلت : فالأخطل ؟ قال : يجيد مدح الملوك ،
ويصيب صفة الخمر • قلت : فما تركت لنفسك ؟ قال : دعني ، فاني نحرث
الشعر نحرأ^(٢) •



(١) النبعة : نوع من الشجر ينبت في أعالي الجبال ، تتخذ من أعواده القسي • يعني
أن فضل شعر الفرزدق على الشعر كفضل القوس المتخذة من شجر النبع على سائر
القسي •

(٢) يعني كأنه قتل الشعر ، تمكننا منه وإقتداراً عليه •

الشعر والشعراء

لـ ابن قتيبة

هذا كتاب آخر في تراجم الشعراء القدامى ، ألفه ابن قتيبة^(١) . وقد مهد له بمقدمة نقدية طويلة أيضاً ، تقارب الخمسين صفحة ، كما فعل ابن سلام من قبل .

ومقدمة كتاب « الشعر والشعراء » تتضمن عدة موضوعات ، أهمها :

١ - كثرة الشعراء العرب فيما مضى من العصور ، ولا سيما المفمورون الذين قل ذكرهم وكسد شعرهم ، ولا يعرفهم الا بعض الخواص . والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائهم وقبائلهم في الجاهلية والاسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط ، ولو أنفذ عمره في التنقير عنهم .

٢ - المساواة بين الشعراء القدامى والمحدثين في الترجمة لهم ، والاختيار من أشعارهم . وابن قتيبة هنا يقف موقفاً يُحمد عليه ، وقد كرره في مقدمة كتابه « عيون الأخبار » أيضاً . ومثل هذا الموقف في عصر ابن قتيبة كان له دوي كبير ، اذ كان الناس أو جمهرتهم يتعصبون للقديم وحده ، ويعرضون عن الشعر المحدث ، أو لا ينظرون اليه بعين الرضا والقبول ، فجاء ابن قتيبة ليعلن تلك المساواة في كلام جميل ، فيقول : « ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر . . فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدون محدثين . . ثم صار هؤلاء قداماء عندنا ببعد العهد منهم ، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا : كالخريمي ، والعتابي ، والحسن بن هانئ ، وأشباههم . فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له ، وأثنيّا به عليه ، ولم يضعه عندنا تأخّر قائله أو فاعله ، أو حدّثه سنه ، كما أن الرديم اذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ، ولا تقدمه » .

٣ - وتحدث ابن قتيبة عن أقسام الشعر من حيث اللفظ والمعنى فقال :
« تدبر الشعر فوجدته أربعة أضرب :

(١) سبق التعريف بابن قتيبة عند الكلام على كتابه « عيون الأخبار » ص ١٣٤ .

آ - ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه . .

ب - وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك هائدة
في المعنى

ج - وضرب منه جاد معناه ، وقصرت عنه ألفاظه . .

د - وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه . . «

وفي خلال ذلك يذكر ابن قتيبة أمثلة مختلفة من أشعار القدماء والمحدثين
على السبيل ، لكل ضرب من تلك الأضرب الأربعة .

٤ - تفصيل الكلام في منهج القصيدة العربية ، التقليدية ، الذي يقوم
على الابتداء بذكر الديار والأطلال ، وأهلها الطاعنين عنها ، ويصل الشاعر
ذلك بالسبب والغزل ، فذكر الرحلة وسرى الليل ، حتى ينتهي أخيراً إلى
المهيج . ثم يقول ابن قتيبة : « قال الشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب ،
وعدل بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ، ولم يَطل
فيمل السامعين ، ولم يقطع وبالنفس ظمناً إلى المزيد » .

٥ - الكلام على الشاعر المتكلف ، والشاعر المطبوع « فالتكلف هو الذي
قوم شعره بالثقاف ، ونقحه بطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر بعد النظر ،
كزهر والحطيئة . . والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر ، واقتدر على
القوافي ، وأراك في صدر بيته عجزه ، وفي فاتحته قافيته ، وتبهرت على شعره
رونق الطبع ، ووشي الغريزة . . » وقد أيد ابن قتيبة هنا كلامه بكثير من
الأمثلة الشعرية ، لدى القدماء والمحدثين معاً .

٦ - الدواهي التي تبهر على الشعر وتدفع للشاعر إلى للنظم : « منها
الطمع ، ومنها الشوق ، ومنها الشراب ، ومنها الطرب ، ومنها الغضب » هذا
إلى دواع أخرى منها : « الماء الجاري ، والشرف العالي ، والمكان الخضر الخالي »
ثم إن « للشعر تارات يبعد فيها قريه ، ويستصعب فيها ريشه ، وكذلك
الكلام المنشور في الرسائل والقصائد^(١) والجوابات . . ولا يصرف لذلك
سبب . . . »

(١) المصنف : المصنف ، أو الكلام الذي تستعجبه مواقف الفاعلة وما أشبه ذلك .

ويضيف ابن قتيبة الى ذلك قوله مبيناً الأوقات المناسبة للنظم : « وللشعر أوقات يسرع فيها آتيه ، ويسمح فيها آبيه ، منها : أول الليل قبل تغشي الكرى ، ومنها صدر النهار قبل الغداء ، ومنها شرب الدواء ، ومنها الخلوة في الحبس والمسير . ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ، ورسائل الكاتب » .

٧ - وذكر مقاييس أخرى ، غير اللفظ والمعنى ، يختار الشعر عليها ، منها الاصابة في التشبيه ، وخفة الروي ، أو أن قائله لم يقل غيره ، أو لأنه غريب في معناه كقول هارون الرشيد :

النفس تطمع ، والأسباب عاجزة والنفس تهلك بين الياس والطمع

٨ - ويختتم ابن قتيبة مقدمة كتابه بالكلام على بعض عيوب الشعر : كالأقواء ، والاكفاء ، والسناد ، والاجازة ، وعلى بعض الضرائر الشعرية ، وأشار الى أنه لم يكن لأوائل الشعراء الا الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث الحاجة . وقرن ذلك بأمثلة لقديم الشعر من أقوال : دويد بن نهد ، وأعصر بن سعد ، والحارث بن كعب .

وبعد المقدمة يأتي قسم تراجم الشعراء ، ويلاحظ فيه ما يلي :

١ - ان ابن قتيبة لم يكن يحرص ، في سرد تراجم الشعراء ، على منهج علمي دقيق ، كأن يرتب الأسماء على حروف المعجم مثلاً ، أو يصنف الشعراء في طبقات محددة على أساس بيئي ، أو قيمي ، أو فني . . . وكل ما فعله أنه وضع لنفسه تصوراً عاماً - وان لم يصرح به - اذ سلسل الشعراء على حسب العصور ، بدءاً من شعراء العصر الجاهلي (كأصحاب المعلقات ، والمتلمس ، ولقيط بن يعمر ، وعدي بن زيد ، وحاتم الطائي ، ومهلل بن ربيعة . .) ، فالمختصرين وشعراء صدر الاسلام ، (كالحطيئة ، وكعب بن زهير ، والناطقة الجمدي ، وحسان بن ثابت ، والغنساء ، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي ، وأبي محجن الثقفي . .) ، ثم شعراء العصر الأموي ، (كالبزري ، وجرير ، والأخطل ، والراعي النميري ، وليلى الأخيلية ، وجميل بثينة ، وكثير عزة ، والطرماح ، ورؤبة بن المعجاج . .) ، فالمحدثين في العصر العباسي الأول . الا أنه في الهفت نفسه لا يلتزم بترتيب شعراء كل عصر بحسب وفياتهم ، ولم يكن هذا من شأنه ، كما أنه قد يقدم شاعراً على عصره ، أو يؤخره عنه ، ولو أن ابن قتيبة عني بتاريخ ولادة الشعراء وسنوات وفاتهم لكان ذلك دافعا له الى ترتيب زمني دقيق .

٢ - لم يقتصر ابن قتيبة على الشعراء القدامى ، في الجاهلية والاسلام ،

فحسب ، بل ترجم أيضاً — كما ذكرنا — لعدد قليل من الشعراء المحدثين ، مثل :
بشار بن برد ، وأبي دلامة ، وخلف الأحمر ، وأبي العتاهية ، وأبي نواس ،
والعباس بن الأحنف ، ومسلم بن الوليد ، ودعبل الخزاعي ، ومنصور النمرى ،
وأشجع السلمي . .

٣ — وكان أكثر قصده — كما يقول — للمشهورين من الشعراء ، الذين
يعرفهم جلُّ أهل الأدب ، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب ، وفي
النحو ، وفي كتاب الله عز وجل ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقد بلغ عدد الشعراء الذين ترجم لهم ٢٠٦ .

٤ — وفي ترجمته لكل شاعر يذكر اسمه ونسبه وزمنه ، ومنزله الشعرية ،
وأحواله ، وأخباره ، وما يستجد من فنون شعره ، وما أخذه العلماء عليه من
الغلط والخطأ في ألفاظه أو معانيه . ومن ثم كثرت المختارات الشعرية في هذا
الكتاب .

* * * *

طبع كتاب « الشعر والشعراء » مراراً . وكانت أولى طبعاته المحققة
الكاملة سنة ١٩٠٢ — ١٩٠٤ م في ليدن بإشراف المستشرق دي غويه . ثم
توالى طبعاته في الآستانة ومصر ولبنان ، وأشهرها بل أجودها اثنتان :

الأولى : حققها أحمد شاكر وصدرت عن دار المعارف في القاهرة سنة
١٩٥٠ في جزأين . ثم طبعت ثانية سنة ١٩٦٦ — ١٩٦٧ م وهي مديلة
بفهارس فنية وافية .

والثانية : صدرت عن دار الثقافة في بيروت سنة ١٩٦٤ في جزأين واعتمد
فيها على طبعة دي غويه ، وعني بمراجعتها والتعليق عليها : محمد يوسف نجم ،
واحسان عباس .

وما عدا هاتين الطبعتين المحقتين (حتى اليوم ١٩٨٨ م) ، لا يعتمد به
ولا يعمل عليه كثيراً ، من الناحية العلمية ، سواء في ذلك ما طبع في مصر ،
وما طبع في لبنان .

* * * *

كتاب «الأغاني»

لأبي الفرج الأصفهاني

أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين « - ٣٥٦ هـ » عالم أديب ، واسع المعرفة في التاريخ والأنساب والسِّير والآثار واللغة والمغازي . ولد في أصفهان ، ونشأ في بغداد ، وتوفي فيها . وقد عاصر سيف الدولة والمتنبي وأبا فراس الحمداني وغيرهم من جيل النصف الأول من القرن الرابع للهجرة . وترك عدة مؤلفات تدل على سعة ثقافته ، وتعدد جوانبه ، منها : مقاتل الطالبين ، والامام الشواعر ، وأدب الغرباء ، والأغاني .

ويعد كتاب « الأغاني » أعظم مؤلفات أبي الفرج . وقد أحدث هذا الكتاب عند ظهوره ، ما لم يحدثه كتاب آخر من التأثير والقبول في الأوساط العلمية ، وحلقات الأدب ، ومجالس الأمراء والملوك ، ولا غرو ، فقد قضى أبو الفرج خمسين سنة من عمره في تأليف هذا الكتاب الذي استنفد طاقته ، وامتنص سني شبابه وكهولته وشيخوخته .

وكلمة « الأغاني » في عنوان الكتاب تعني الأصوات أو الألحان في عرفنا اليوم ، وكان الدافع الأول الى تأليفه وتبويبه هو جمع الألحان المئنة التي اختارها المغنون لهارون الرشيد ، الخليفة العباسي ، المتوفى ١٩٣ هـ ، أي قبل عصر أبي الفرج بقرن ونصف تقريباً .

الا أن عنوان الكتاب لا يدل على مضمونه ، الذي يقوم في الحقيقة على تقصي تراجم الشعراء والمغنيين ، وما يتصل بهم من شعر وأخبار ، وغناء وموسيقا ، وما الى ذلك ، منذ العصر الجاهلي حتى القرن الثالث الهجري :

— كامريء القيس ، والنايفة ، وزهير ، والأسود بن يعفر ، وتابط شراً ، والشنفرى (من شعراء العصر الجاهلي) .

— وحسان بن ثابت ، والحطيئة ، وأبي معجن الثقفي ، وكعب بن مالك ، والعباس بن مرداس (من المخضرمين) .

— وجريز ، والفرزدق ، والأخطل ، والكميت ، والأحوص الأنصاري ، وتوبة بن الحمير (من العصر الأموي) .

– وبشار بن برد ، والبحري ، وأبي تمام الطائي ، والحسين بن الضحاك ،
وديك الجن (من شعراء العصر العباسي) •

– ومعبد ، وابن سريج ، والغريص ، من المغنين و « الملحنين » •

ولكن أبا الفرج ، مع ذلك ، لم يقتصر على الشعراء والمغنين – كما قد
يوحي عنوان كتابه – وإنما جعل كتابه موسوعة جزيلة الفائدة ، تضم أخبار
المشترات ، بل المئات من الأعلام ، والمالحنين ، والقيان ، وأخبار قبائل العرب
وأيامهم ، وخلفائهم ، وقوادهم ، وأمرائهم ، كما أن فيه مختارات جيدة من
روائع الشعر والنثر . والأمثال ، والحكم ، والوصايا ، ووصف مآكل العرب ،
وصوراً من حياتهم الاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم • وهو في ذلك كله ، وفي
غيره ، مصدر ثمين ، لا يعدله مصدر آخر ، وكنتز موروث لا يرقى إلى نفاسته
كنتز آخر ، وهذا ما جعل سيف الدولة ينعم على أبي الفرج بألف دينار حين
قدمه إليه أبو الفرج ، واعتذر لقلة المبلغ • والخلاصة أنه مكتبة في كتاب •

أما منهج « كتاب الأغاني » وطريقته فيقومان على الأمور التالية :

١ – بنى أبو الفرج كتابه أولاً على مائة نغم موسيقي ، سمى كلا منها
« صوتاً » ، وذلك مما كان المغنون قد اختاروه للرشد من الغناء القديم الذي
يشتمل على مئات الأصوات والأنغام •

٢ – والخطة العامة التي التزمها أبو الفرج : هي ذكر كل « صوت »
من تلك الأصوات المائة – يعني الشعر الذي غنى به ولحن – فيعرف قائله ،
ومن غنى به ولحنه ، ويترجم لهما – على التوالي – ترجمة وافية ، ثم ينتقل
إلى صوت آخر ، بالطريقة نفسها ، حتى يستوفي الأصوات المئة •

مثال ذلك أنه بدأ كتابه بالصوت الأول ، وهو أبيات للشاعر الأموي أبي
قطيفة المعيطي ، فذكر اسم صاحب الأبيات ، واسم مغنيها « معبد » ، على
النحو التالي :

صوت

فيه لحنان

القصر' ، فالنخل ، فالجماء بينهما أشهى الى القلب من أبواب جيرون
الى البلاط ، فما حازت قرائنه دُور نزحن عن الفحشاء والهون
قد يكتم القاص' أسراراً فأعلمها ولا ينالون ، حتى الموت ، مكنوني(١)

هروضة من أول البسيط . الشعر : لأبي قطيفة الميطي . والغمام
لمبعد ، وله فيه لحنان : أحدهما خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها من رواية
اسحاق ، وهو اللحن المختار . والآخر : ثقيل أول بالوسطى ، على مذهب اسحاق ،
من رواية عمرو بن بائة(٢) .

ثم ترجم أبو الفرج بعد هذا للشاعر أبي قطيفة ، أولاً ، ولمبعد ثانياً .

وانتقل بعد ذلك الى الصوت الثاني ، وهو أبيات للشاعر الغزل عمر
ابن أبي ربيعة فقال :

(١) القصر : قصر الأمير سميد بن العاص ، والي المدينة لمعاوية بن أبي سفيان .
وما زالت آثار هذا القصر في المدينة شاخصة الى اليوم . والنخل المذكور كان
لسميد هناك بين قصره وبين الجماء ، وهي أرض كانت له أيضاً . ومثلها البلاط
والقرائن ، وهي دور كانت لبني سميد بن العاص متلاصقة ، سميت بذلك لاقترانها
وأما أبواب جيرون فهي في دمشق . ونزحن : بعدن . والمكنون : المستور الخفي .
والمراد : السر . والشاعر في هذه الأبيات يحن الى وطنه المدينة المنورة ، ويفضله
على أبواب جيرون بدمشق وكان قد نفاه إليها عبدالله بن الزبير ، مع من نفاه من
بني أمية عن المدينة .

(٢) ما يذكره أبو الفرج في هذا الموضع وأشباهه فيما بعد ، تعليقا على الشعر المغنى ،
انما هو بيان للحن الذي يغنى به ذلك الشعر ، والأصابع التي يستعان بها في
التوقيع على الآلة الموسيقية . وهو قريب مما ندعوه اليوم بالسلم الموسيقي .
وقد بقي هذا « السلم » الميثوث في سائر كتاب الأغاني لغزاً مجهولاً حتى اليوم ،
ولم يستطع علماء الموسيقى العربية الاهتمام الى هذا السر المكنون .

صوت

قُتلَ لَهْد وتَربها قبل شَحط النوى غدا :
 ان تجودي ، فطالما بَتد ليلى مسهها
 انتِ في وُد بيننا خير ما عندنا يسدا
 حين تدلي مضطرا حالِك اللون أسودا (١)

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج عن حماد ولم يجنسه وفيه لملك خفيف ثقيل أول بالنصر في مجراها عن اسحاق . وقال الهشامي فيه لابن محرز خفيف ثقيل بالوسطى .

ثم يترجم أبو الفرج لابن أبي ربيعة بالتفصيل ، ومن بعده للمفني ابن سريج ، وهكذا . . . وإذا تكرر بعد ذلك اسم المفني ، مع شاعر آخر ، فإن أبا الفرج لا يترجم له ثانية ، بل يكتفي بالترجمة للشاعر الجديد .

٣ - وقد يرد في خلال ترجمتي الشاعر والمفني أصوات أخرى ، من غير المئة المختارة ، فيمر بها أبو الفرج مروراً سريعاً ويعلق عليها تعليقاً موجزاً ، ثم يتابع ما هو فيه من ترجمة الشاعر الأصلي أو المفني .

٤ - وقد اعتمد الأصفهاني في كل ما أورده من الأخبار والتراجم على الاسناد المتسلسل ، ونسبة كل ما يرويه الى أصحابه ، كقوله في ترجمة مجنون ليلى :

« أخبرني جعفر بن قدامة ، عن أبي الميناء ، عن العُتبي ، قال : لما حُببت ليلى عن المجنون ، خطبها جماعة فلم يرضهم أهلها ، وخطبها رجل من ثقيف موسر ، فزوجوه وأخفوا ذلك عن المجنون . ثم نمي اليه طرف منه لم يتحققه فقال :

دموتُ الهى دموع ما جهلتها - وربي بما تخفي الصدور بصير -
 لئن كنت تهدي برد أنيابها العلاء لأفقر مني ، انني لفقر -
 فقد شامت الأخبار أن قد تزوجت فهل ياتيني بالطلاق بشر ؟ »

(١) التَّرب : اللدة ، وهو من يماثلك في سنك ، وأكثر ما يستعمل الترب في الآثا .
 والجمع أتراب . وجمع اللدة : ليدات . وشحط النوى : الفراق البعيد .
 المضفر : الشعر المضفور .

والأبيات في ديوان عمر ، ص ٤٨١ - ٤٨٢ ط . محمد محيي الدين عبد الحميد -
 مصر ١٩٥٢ م .

٥ - وأبو الفرج لا يراعي في ترتيب تراجم الشعراء والمغنين طريقة معينة ، بل يورد ذلك كيفما اتفق ، بلا منهج معلوم ، ويملا التراجم بالأخبار ، والوصف ، والنقد . ومن هنا ساد الكتاب كثير من الاستطراد والتنوع في المادة .

طبع كتاب « الأغاني » عدة مرات في مصر وبغروت ، في بضعة وعشرين مجلداً . وبعض طبعاته لم يكتمل حتى اليوم . وأجود طبعاته الكاملة : طبعة دار الكتب المصرية ، وعدد أجزاءها ٢٤ جزءاً (١) .

(١) إليك بياناً بالطبعات الكاملة ، المختلفة ، لكتاب الأغاني :

أ - طبعة بولاق بمصر ١٢٨٥ هـ = ١٨٦٨ م في ٢٠ جزءاً . ثم استدرك عليها المستشرق (برنو) جزءاً آخر طبع في ليدن ١٨٨٨ م . وجاء المستشرق (جويدي) فصنع لهذه الأجزاء الواحد والعشرين فهارس مفصلة في جزأين آخرين طبعاً في ليدن ١٩٠٠ وبذلك صارت أجزاء هذه الطبعة ٢٣ جزءاً . ثم صورت في بيروت ، هذه الجزء (٢١) .

ب - طبعة محمد الساسي « الكتبي » : بمصر سنة ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٨ م ، في ٢٣ جزءاً ، اعتمد فيها على طبعة بولاق ، كما هي ، بعد أن قام محمد مسعود بترجمة جزأي الفهارس اللذين أعدهما (جويدي) وتعديل أرقام صفحاتهما بحسب هذه الطبعة الجديدة ، التي صورت بعد ذلك في بيروت أيضاً ، دون الفهارس .

ج - طبعة دار الكتب المصرية : وهي أجود الطبعات الكاملة جميعاً . وقد حققها فريق من الأدباء واستغرق طبعها نصف قرن تقريباً (١٩٢٧ - ١٩٧٥ م) وتقع في ٢٤ جزءاً ، طبعت منها « دار الكتب المصرية » ١٦ جزءاً ، ثم أكملتها « الهيئة المصرية العامة » وفي آخر كل جزء فهارسه العامة الشاملة . ثم صورت هذه الطبعة كاملة في بيروت غير مرة ، بعد أن أسقطت الفهارس العامة من آخر كل جزء .

د - طبعة داركي الفكر ومكتبة الحياة في بيروت : نشرت سنة ١٩٥٦ - ١٩٥٧ في ٢١ جزءاً جمعت في ١١ مجلداً . وهي غير محققة ، ولا فهارس عامة لها . بل لكل جزء فهرس موجز بما يحوي من تراجم فقط .

و - طبعة دار الكتب العلمية في بيروت : نشرت سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م في ٢٤ جزءاً ، وألحق بها جزء سمي بالخامس والعشرين ، وهو كتاب « أخبار أبي نواس » لابن منظور . وهذه الطبعة خالية من الفهارس العامة ، وتفتقر الى مزيد من التحقيق والعناية .

هذا وقد كان الأغاني ولا يزال موضع عناية الأدباء والباحثين قديماً وحديثاً . ومن اختصره من القدماء ، بعد حذف الأسانيد وبعض الأخبار : ابن واصل العموي (- ٦٩٧ هـ) في « تجريد الأغاني » ، وابن منظور (- ٧١١ هـ) صاحب لسان العرب ، في « مختار الأغاني في الأخبار والتجاني » . أما المحدثون فقد اختصره منهم : محمد الخضري (- ١٩٢٧ م) في « مذهب الأغاني » ، وأنطون صالحاني (- ١٩٤١ م) في « رنات المثلث والمثاني في روايات الأغاني » ، كما اختصره أخيراً كل من احسان النص ، ويوسف عون . وهذه الكتب كلها مطبوعة وتلك منها طريقته المختصرة في الترتيب والاختصار ، كما يختلف عدد الأجزاء من كتاب الى آخر .

يتيمة الدهر للثعالبي

وهذا كتاب جامع مبسوط ، خصه أبو منصور^(١) الثعالبي « - ٤٢٩ هـ » بتراجم شعراء عصره ، وهم جيل القرن الرابع للهجرة وما اتصل به من قريب . وكان الثعالبي خشي أن يكون للشعراء المتقدمين على عصره من يترجم لهم ، ويذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، ويدون أقوالهم وأشعارهم ، ولا يكون لشعراء عصره من يتصدى لمثل ذلك ، فندب نفسه للاضطلاع بهذا العبء ، وهو المعجب بأشعار معاصريه أعجاباً جاوز الحد حتى وصف تلك الأشعار بأنها « تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز ، ومن حد الشعر إلى السحر » .

ولم يكن الثعالبي أول من اهتم بتراجم الشعراء المحدثين ، بل سبقه إلى ذلك ثلاثة على الأقل ، كانوا في قرن واحد ، وهم : المبرد « - ٢٨٦ هـ » الذي صنف كتاب « الروضة » ، وهارون بن علي بن المنجم « - ٢٨٨ هـ » الذي ألف كتاب « البارع » وجمع فيه أخبار ١٦١ شاعراً محدثاً ، أولهم بشار بن برد ، وآخرهم محمد بن عبد الملك بن صالح . والثاني : ابن المعتز « - ٢٩٦ هـ » الذي ألف كتاب « طبقات الشعراء المحدثين » وبدأه بابن هرمة ، فبشار بن برد ، وختمه بتراجم بعض الشواعر من الجواري ، مثل : عينا ، جارية الناطفي ، وعريب ، جارية المأمون ، وفضل الشاعرة .

فأحب الثعالبي أن يكون لشعراء عصره كتاب مماثل ، فصنف « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » . ويؤخذ من مقدمته أنه صنفه مرتين ، الأولى سنة ٣٨٤ هـ والثعالبي في مقتبل الشباب ، وقد كتبه في مدة تتصر عن إعطاء الكتاب حقه . ثم أعاد فيه النظر في المرة الثانية ، وغير ترتيبه ، وجدد تبويبه ، وجعله في أربعة أقسام ، وزع فيها الشعراء والأدباء على حسب أقاليمهم ومناطق بلادهم ، وكأنه ربط بين الأديب وبيئته برباط وثيق . وجعل كل قسم في عدة أبواب . وهذه الأقسام هي :

(١) سبق التعريف بأبي منصور الثعالبي عند الكلام على كتابه « فقه اللغة وسر العربية » في معاجم المعاني ص ٧٤ .

١ - شعراء بلاد الشام وما يجاورها ، مصر ، الموصل ، والمغرب .
وبدأ هذا القسم بأشعار الحمدانيين وشعرائهم ، كسيف الدولة ، وأبي فراس
الهمداني ، وأبي العتاتر الهمداني ، والمتنبي ، والوأياء الهمداني ، وأبي
الفتح البستي ، والسري الرفاء . وقد افتتح بهم الثعالبي كتابه لأنه كان
يرى أن شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما
يجاورها ، في الجاهلية والإسلام . وفي ذلك مبالغة واضحة .

٢ - شعراء العراق ، وأفاضل الكتاب والمنشئين في الدولة الديلمية
(البويهية) ، وفيهم الملوك والوزراء أيضاً ، مثل : عضد الدولة ، والوزير
المهلبي ، والصايي ، وأبي الفرج الأصفهاني ، والشريف الرضي .

٣ - شعراء الجبل ، وفارس ، وجرجان ، وطبرستان ، وأصفهان .
من وزراء الدولة الديلمية (البويهية) وكتابتها وقضاتها وشعرائها ، ومنهم :
ابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وابن فارس اللغوي (صاحب مقاييس اللغة)
والقاضي الجرجاني (صاحب كتاب الوساطة) ، وقابوس بن وشمكير .

٤ - الشعراء والكتاب في بلاد خراسان وما وراء النهر ، مقر الدولة
السامانية ، والغزنوية ، ولا سيما بخارى ، ونيسابور ، وسجستان ، ومنهم :
أبو بكر الخوارزمي ، وبديع الزمان الهمداني ، وأبو الفتح البستي ، والأمير
أبو الفضل الميكالي ، والجوهري (صاحب معجم الصحاح) .

ومن هذا العرض الموجز لأقسام اليتيمة نلاحظ ما يلي :

١ - أن الثعالبي لم يقتصر على شعراء عصره وحدهم ، بل ضم إليهم
الأدباء والكتاب أيضاً ، وأكثر من إيراد نصوص من محاسن أشعارهم ، وفقر
وفصول من محاسن انشائهم ، بل أنه وجه عنايته إلى جمع هذه المختارات الشعرية
والنثرية أكثر من عنايته بتراجم أصحابها وسير حياتهم ووفياتهم . ولم
يتحرج أحياناً من إيراد الأشعار المأجنة أيضاً .

٢ - وللمبحث عن ترجمة شاعر أو كاتب من أهل القرن الرابع وما اتصل
به من قريب ، لا بد من معرفة الاقليم الذي نشأ فيه الشاعر ، أو وفد عليه
وأقام فيه . وهو أمر لا يخلو من صعوبة ، لأنك قل أن تجد أدبياً لازم بلداً
واحداً لا يبرحه إلى بلد آخر . فليس هناك مقياس واضح أو دقيق يساعد
الباحث في ذلك . فهذا المتنبي شاعر عراقي المنشأ ، ولكنه تنقل بين بلاد الشام ،
ومصر ، وإيران ، فإذا بالثعالبي يجعله في جملة شعراء الشام ، مع الحمدانيين
وشعرائهم .

وهذا ما جعل الثعلبي يضطرب في توزيع الأدباء على الأقاليم ، أو يكرر ذكر بعضهم في موضعين اثنين ، كما فعل في ترجمة أبي الفتح البستي ، حيث أوجز ترجمته في القسم الأول ، ثم عاد فأطال فيها وفصل ، في القسم الرابع .

٣ - التراجع في يتيمة الدهر تطول أو تقصر ، بحسب شهرة الأديب ، ومنزلته وربما اقتصر الأمر على اختيار عدة أبيات وقعت للثعلبي ، أو سمعها من بعض رواتها من الأدباء . والحق أن هذا الكتاب لم يوضع أصلاً في تاريخ الأدب والشعر ، ولا كان الغرض منه تأريخ حياة الأدباء والشعراء وتتبع نشاطهم ومواليدهم ووفياتهم وتصرف الدهر بهم ، بل وضع في صميم الأدب ولبابه ، وعني بالنصوص الشعرية والنثرية أكثر مما عني بأحوال قائلها . ومع أنه شرط على نفسه اختيار الجيد من تلك النصوص ، ولا سيما الأشعار ، فإنه خرج عن هذا الشرط أحياناً ، فأورد ما ليس من أبيات القصائد ، ولا من وسائل القلائد .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن يتيمة الدهر كتاب ثمين ، قد قارب حد الشمول في ذكره لأدباء القرن الرابع للهجرة وما اتصل به ، تقدماً ، أو تأخراً في صدر القرن الخامس . ويبقى هذا الكتاب عمدة لمن يبحث في أدب هذه الحقبة خاصة . ولولاه لبقيت أخبار أولئك الشعراء والمنشئين وأقوالهم مبددة ، غير مضمومة في كتاب يجمع شملها ، ويضم نشرها . ويقيده شواردها . ولذا أعجب به الأدباء والباحثون والشعراء قديماً وحديثاً . حتى قال فيه الشاعر المشهور ، ابن قلاقين الاسكندري (- ٥٦٧ هـ) :

أبيات' أشعار اليتيمه	أبكار أفكار قديمه
ماتوا وعاشت بعدهم	فلذاك سميت اليتيمه

هذا ، وقد استدرك الثعلبي ، فيما بعد ، ما فاتته ذكره في كتاب اليتيمة من تراجم ونصوص ، فألف ذيلاً عليه سماه « تنمة اليتيمة » وجعله في جزأين صغيرين يقمان في ٣٠٠ صفحة ، وقسمه أربعة أقسام أيضاً ، صنيعه في اليتيمة . وقد نشر عباس اقبال « تنمة اليتيمة » في طهران سنة ١٣٥٣ هـ .

أما كتاب اليتيمة نفسه فقد طبع في الشام ومصر ولبنان عدداً من المرات ، وكل طبعاته غير محققة ولا مفهرسة . ومنها طبعة بعناية محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشرت في مصر سنة ١٩٥٦ ثم طبعت وصورته غير مرة .

كما ظهرت طبعة أخيرة جمعت بين اليتيمة وتتمتها معا في خمسة أجزاء طبعت في بيروت سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م بعناية مفيد محمد قمبيح ، والجزء الخامس يتضمن ثمة اليتيمة ، وهذه الطبعة ليست بأفضل من سابقتها وتفتقر ، مثلها ، الى تحقيق علمي يعتمد على مخطوطات الكتاب ، والى فهرس فنية جامعة تليق بقيمة هذا الكتاب الذي استفاضت شهرته ، حتى هذا حدوه مصنفون آخرون جاؤوا بعد الثعالبي ، وترجموا لأدباء عصرهم أيضا ، في كتب معروفة ، منها :

- ١ - دمية القصر وعصرة أهل العصر : للباخرزي ، من القرن الخامس (- ٤٦٧ هـ) .
- ٢ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : لابن بسام الأندلسي ، من القرن السادس (- ٥٤٢ هـ) .
- ٣ - زينة الدهر في لطائف شعراء العصر : للحظيري « - ٥٦٨ هـ » .
- ٤ - خريدة القصر وجريدة العصر : للعماد الأصفهاني « - ٥٩٧ هـ » .

كتب أخرى في تراجم الشعراء

تلك أشهر كتب تراجم الشعراء في تراثنا العربي ، عرفنا بكل منها تعريفاً مفصلاً . وفيما يلي تعريف موجز بكتب أخرى في هذا الموضوع ، ورد ذكرها خلال الصفحات السابقة :

- ١ - المؤلف والمختلف : للحسن بن بشر الأمدي « - ٣٧٠ » . وهو كتاب في تراجم موجزة لفريق من الشعراء القدامى ، الذين تماثلت أسماؤهم واختلفت أشخاصهم ، أو الذين اتفقت أسماؤهم - أو تقاربت - في الرسم والكتابة ، ولكنها اختلفت في النطق واللفظ . فهناك ، مثلا ، عدة شعراء عرفوا باسم « النابغة » أو « امرئ القيس » أو « الأخطل » . ومن الشعراء أيضا : بشير وبشير ، وحبيب وحبيب ، ويزيد وبزير ، وديزيد ودويذ ، وخديج وخديج ، وحمزة وجمرة ، وكل ذلك يدخل في باب المؤلف والمختلف . وقد بلغ عدد هؤلاء الشعراء ٧٤٥ شاعرا ، رتب الأمدي أسماءهم على حروف المعجم بحسب الحرف الأول ، ولكنه لا يراعي الحرف الثاني في الترتيب ،

وهو يثبت أسماء الشعراء المتقاربة في الصورة ، والمختلفة في الضبط والشكل ، أو في المعنى ، في باب واحد ليميز كل شاعر عمن يلتبس به ، وجعل الأديب الباب للأشهر ، ف « يزيد » و « بُريد » يوضعان في حرف الياء لأن « يزيد » أشهر من بُريد . أما الذين اتفقت أسماؤهم فيووضعون في باب واحد مشترك ، كالمراقبة والنوابغ . . .

وقد طبع كتاب « المؤلف والمختلف » أول مرة سنة ١٩٣٥م بأشراف المستشرق كرنكو ، ثم نشره محققاً عبد الستار فراج في القاهرة سنة ١٩٦١ م .

٢ - معجم الشعراء : للمرزباني « - ٣٨٤ هـ » : حاول المؤلف أن يستقصى في كتابه هذا - الذي سماه بالمعجم ، مع أنه في التراجم - الشعراء العرب المشهورين منهم والمغمورين ، في الجاهلية ، وصدر الاسلام ، والعصر الأموي ، وضم اليهم شعراء من العصر العباسي حتى القرن الرابع ، مثل : يموت بن المزرع (ابن أخت الجاحظ) ، وابن دريد صاحب الجمهرة ، وابن الرومي ، وأبي دلامة . . ورتب الأسماء على حروف الهجاء بحسب الحرف الأول ، ولم يراع الحرف الثاني . وتراجمه موجزة وبلغ عدد شعرائه نحو ٥٠٠٠ شاعر ، ولكن للأسف لم يصل إلينا هذا الكتاب كاملاً ، والمطبوع منه يعادل خُمسه فقط (نحو ١٠٠٠ شاعر) من حرف العين حتى الياء . وقد فقد القسم الذي يشمل الحروف : من الهمزة حتى جزء من العين ، كما فقدت من المطبوع تراجم حروف : الغين ، والنون ، والواو ، ومعظم حرف اللام .

وختم المرزباني كتابه بديل في نحو عشر صفحات ، سرد فيه من غلبت كنيته على اسمه من الشعراء المجهولين أو الأعراب المغمورين واكتفى بذكر كُناهم وقبائلهم فقط ، وساق كُناهم على حروف المعجم بحسب الحرف الأول من المضاف إليه ، مكتفياً بهذا التعداد والسرد ، لأنه ترجم لهم في الكتاب « المفيد » ، ولم يراع في الترتيب الحرف الثاني وما بعده . ويجري ذلك عنده على النحو التالي :

حرف الألف : أبو أراكة الهذلي ، أبو أثيلة الهذلي ، . .

حرف الباء : أبو بكر بن عبد الرحمن الزهري ، أبو البهاء الأزدي . . .

حرف الثاء : أبو ثهلان السعدي ، أبو ثور الهُجيمي . . .

وطبع « معجم الشعراء » سنة ١٩٣٥ م مع « المؤلف والمختلف » للأديب ،

بإشراف المستشرق كرنكو الذي جعل الكتابين في مجلد واحد، وفي ترقيم متسلسل واحد أيضاً . ثم نشره محققاً مستقلاً عبد الستار فراج في مصر سنة ١٩٦٠ م .

٣ - الذخيرة في معاسن أهل الجزيرة : لابن بسام الأندلسي (٥٤٢هـ) .
ترجم فيه المؤلف لمعاصريه الأندلسيين من الأدباء والشعراء والكتاب الذين عاشوا في القرن الخامس وما قرب منه . حاذيا في ذلك حذو الثعالبي في يثيمة الدهر ، من حيث مراعاة الأقاليم في توزيع المترجمين ، فجعل ابن بسام كتابه في أربعة أقسام أيضاً :

- القسم الأول : تناول فيه تراجم أعلام وسط الأندلس «قرطبة وماحولها» .
- القسم الثاني : لأعلام الجانب الغربي من الأندلس « اشبيلية وما اتصل بها حتى ساحل البحر » .
- القسم الثالث : ذكر فيه أهل الجانب الشرقي من الأندلس « بلنسية وما يليها » .
- القسم الرابع : أفرد له وفد على الأندلس في ذلك العصر ، من إفريقية والشام والعراق .

وقد اقتصر ابن بسام في كتابه هذا على أدباء عصره فحسب ، من الأندلسيين ، أو الوافدين على الأندلس من المشرق ، ومع أن المؤلف لم يستقص أولئك الأندباء جميعاً ، من مشهورين ومغمورين ، فإن كتاب الذخيرة يعد أوفى مرجع بين أيدينا لتراجم الأندلسيين في تلك الحقبة .

نشرت من الكتاب بعض الأجزاء محققة بين سنتي ١٩٣٩ و ١٩٧٥ م ، حتى أصدره الدكتور احسان عباس كاملاً باقسامه الأربعة ، التي طبعت في بيروت سنة ١٩٧٩ م ، والتي جزئت الى ثمانية مجلدات ، كل مجلدين في قسم ، وزود كل قسم بفهارس فنية خاصة به .

* *

الفصل الثاني كتب تراجم اللغويين والنحاة

إنباه الرواة للقطبي

مؤلف الكتاب : الوزير جمال الدين ، علي بن يوسف القفطلي ، المؤرخ الكاتب ، والناثر البليغ . ولد بـ « قِفْط » في صعيد مصر سنة ٥٦٨ هـ ، ثم سكن حلب ، وولي بها القضاء في أيام الملك الظاهر ، ثم الوزارة في أيام الملك العزيز ، وأطلق عليه لقب « الوزير الأكرم » . وكان جماعاً للكتب ، متمسكاً لها ، لا يحب من الدنيا شيئاً مثلما يحب مكتبته ، ويبذل في سبيل انمائها أموالاً كثيرة . وتوفي بحلب سنة ٦٤٦ هـ عن عمر يناهز الثامنة والسبعين .

وكتابه « انباه الرواة على أنباه النحاة » هو موسوعة ضخمة شاملة لتراجم رجال اللغة والنحو ، بدءاً من أبي الأسود الدؤلي حتى عصر المؤلف وهو النصف الأول من القرن السابع للهجرة .

ومن ترجم لهم القفطلي في كتابه هذا : الجواليقي صاحب كتاب «المعرب» وابن فارس صاحب «مقاييس اللغة» والميداني صاحب «مجمع الأمثال» ، وثعلب ، امام المذهب الكوفي في النحو ، والمبرد امام المذهب البصري ، وملك النحاة : الحسن بن صافي ، والخليل بن أحمد الفراهيدي ، وسيبويه ، وابن سيده الأندلسي وأبو الفضل الرياشي ، . الخ .

وقد تناول فيه القفطلي كل من له أدنى مشاركة في اللغة أو معرفة بالنحو : من القراء ، والمحدثين ، والأدباء ، والمؤرخين وغيرهم ، في أرجاء المشرق والمغرب من العالم الاسلامي ، حتى في الأندلس ، وصقلية ، وافريقية ، وارمينية ، وخراسان . فلم يختص بمصر دون عصر ، ولا باقليم دون آخر ، حتى اجتمع في هذا الكتاب ٩٧٦ ترجمة .

أما مصادره فقد اعتمد فيه المؤلف على ما ألف قبله من كتب في التراجم والسِّيَر والأخبار ، وعلى معارفه الخاصة التي استمدّها من شيوخه في القاهرة ، والاسكندرية ، وقِفَط ، أو حصلها في أسفاره بين مصر والشام • أو أفادها من مجالسه في حلب ، أو كاتب بها العلماء من مختلف الأمصار •

وبهذا اجتمع على تأليف هذا الكتاب : علم واسع لدى المؤلف ، الذي أغرم بالمطالعة والدرس ، ومكتبة ضخمة زاخرة بأهمّ المصادر في مختلف العلوم والفنون ، ومقدرة على التأليف تستمد قوتها من دأب المؤلف وصبره المتواصل على البحث والدرس والتصنيف •

ولا نعرف متى أنجز القفطي كتابه • ونرجح أنه ألفه في فترات متقطعة ، وتناوله بالزيادة على مر الأزمان إلى أن أكمله بتمامه • ولا يبعد أن يكون انتهى منه قبل سنة ٦٢٦ هـ ، وهي السنة التي توفي فيها ياقوت الحموي ، وقد ترجم له القفطي بعد وفاته ، في حرف الياء ، وهو آخر حروف الهجاء • ثم إن ياقوتا نفسه ترجم للقفطي في كتابه « معجم الأدباء » وذكر كتابه « انباء الرواة » باسم « أخبار النحاة » وهذا يدل على أنه اطلع على الكتاب أو على قسم كبير منه عندما التقى القفطي في حلب وصحبه فيها مدة من الزمن •

أما ترتيب الكتاب فهو مبوب على حروف الهجاء ، من الهمزة إلى الياء ، ولكنه لا يلتزم الدقة في الحرف الثاني من كل اسم ، ولا في الحرف الأول من اسم الأب • فيذكر « ابراهيم بن عبد الله » قبل « ابراهيم بن اسحق » ، و « الخليل بن أحمد » قبل « خلف بن محرز » • ومثل هذا كثير • وقد صرح القفطي بأن الترتيب لم يكن من عمله ، بل كان من عمل من نسخ له الكتاب ، فأعجله الجمع عند التأليف عن ترتيبه على الوجه المطلوب •

ومن خصائص هذا الكتاب ما يلي :

١ - **ليس للمؤلف في ترجمته للأعلام طريقة خاصة أو منهج محدود** ، وهو في الغالب يذكر المترجم باسمه ، ثم يتبعه بشهرته وذكر أخباره ونشأته وبلده ، ويعدد كتبه ويذكر سنة وفاته ، وربما ذكر سنة ولادته أحياناً •

٢ - **صدره المؤلف بمقدمة وقف فيها عند المحاولات النحوية الأولى** التي كانت على يد الامام علي بن أبي طالب ، وأبي الأسود الدؤلي وغيرهما ، متابعاً في ذلك عدداً من الكتب السابقة مثل : مراتب النحويين ، ونزهة الألباء ، وطبقات النحويين واللغويين •••••

٣ - ويبدو حرص المؤلف الشديد على احصاء مصنفات العلماء الذين ترجم لهم ، وقد أعانه على ذلك - أو دفعه اليه - عنايته بالكتب ، وغرامه باقتنائها وتمرّفها ، وكثيراً ما كان يصف تلك الكتب التي يذكرها ، ويصرح بأنه رآها أو تملكها ، ويبين قيمتها وأهميتها .

ويؤخذ على الكتاب أنه ربما ترجم للعلم مرتين ، مرة باسمه ، ومرة بكنيته أو شهرته - وهذا قليل - وأنه كرر بعض التراجم بأسماء مختلفة حسبما وقعت له ، دون أن يشير الى ذلك .

وتبقى لهذا الكتاب منزلته الكبرى ، في كونه مصدراً أصيلاً وغنياً لدراسة أعلام اللغة والنحو في مختلف البلاد والعصور ، إضافة الى ما حواه في مطاوي التراجم من معارف واسعة وحقائق نادرة نثرها المؤلف في كتابه ، وهي مما انفرد به ، أو نقله من كتب لم تصل إلينا .

طبع « انباه الرواة » في أربعة أجزاء ضخمة بتحقيق جيد قام به محمد أبو الفضل ابراهيم ، مع فهرس فنية متنوعة ، وقد طبعت تلك الأجزاء الأربعة في مصر على التوالي في السنوات ١٩٥٠ ، ١٩٥٢ ، ١٩٥٥ ، ١٩٧٤ م .

* * * *

بغية الوعاة للسيوطي

جلال الدين السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، امام حافظ ، مؤرخ ، أديب ، غزير الانتاج ، كثير المؤلفات . له نحو ٥٠٠ - ٦٠٠ مصنف ما بين كتاب ورسالة . ولد سنة ٨٤٩ هـ ونشأ في القاهرة يتيماً . ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس ، فالف أكثر كتبه . وبقي على ذلك حتى توفي سنة ٩١١ هـ وهو في الثانية والستين من عمره . وهو يعد من العلماء الأفذاذ في عهود العرب المتأخرة أيام المماليك . ومن مؤلفاته : الاتقان في علوم القرآن ، والأشباه والنظائر (في النحو) ، وتاريخ الخلفاء ، والمزهر في فقه اللغة ، وشرح شواهد مفتي اللبيب ، واشترك مع جلال الدين المحلي في تفسير موجز جيد للقرآن الكريم عرف باسم « تفسير الجلالين » .

وكتابه « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » هو آخر الكتب الجامعة المستوعبة لتراجم علماء اللغة والنحو ، حتى بلغ عددهم عنده ٢٢٠٩ ولم يأت بعد السيوطي من يزيد على ذلك شيئاً .

ويتجلى من خلال المقدمة التي أنشأها السيوطي لهذا الكتاب مدى انجهد الكبير الذي عاناه السيوطي في اعداد مواده ، ووفرة المصادر التي رجع اليها مما ألف قبل زمنه ، فقد طالع ما يزيد على ٣٠٠ كتاب في الأدب والتاريخ والتراجم واللغة واستوعبها كلها ، وكان يومئذ في التاسعة عشرة من عمره ، وأنجز مسودته في سنة واحدة (٨٦٨ - ٨٦٩ هـ) وقد بلغت سبعة مجلدات . فلما حل بمكة سنة ٨٦٩ أشار عليه بعضهم بتلخيصه ، ففعل ، وجعله في مجلد اللباب وأنجز هذا العمل في سنتين واحتفظ بتلك المسودة مدة ، ثم ألّف عدداً من الكتب ، وضمنها محتويات تلك المسودة موزعة عليها : كشرح شواهد المغني ، والأشباه والنظائر وغيرهما ، فلم يضع شيء من تلك المسودة .

واليك خصائص هذا الكتاب في صورته الاخيرة ، وما يتصف به من مزايا :

١ - اتبع السيوطي فيه الترتيب الهجائي لأعلام الكتاب ، بشكل دقيق جداً ، مراعيًا في ذلك الحرف الأول والثاني فما بعدهما ، للعلم المترجم من جهة ،

ولاسم أبيه من جهة أخرى ، من الهمزة الى الياء . واذا كان اسم البلم كنية مبدوءة بـ « أبو » لم يعتد بها السيوطي في الترتيب الهجائي للأبناء والآباء منا . كما أنه يقدم اسم العلم المضاف الى لفظ الجلالة « عبدالله » على غيره من الأعلام المضافة الى الأسماء الحسنى الأخرى . وهذا مثال من حروف التسميات يوضح لك كل ما تقدم ، في تتابع الأعلام المترجمة :

سعيد بن مسعدة ، الأخفش الأوسط
سعيد بن أبي منصور الحلبي
سعيد بن هارون الأشناداني
سفيان بن عبدالله التميمي
سفيان بن عبد الرحمن البلنسي
أبو سفيان بن العلاء ، أخو عمرو بن العلاء .

والى جانب ذلك ، فان السيوطي - قبل ان يبدأ تراجمه المرتبة سجعاً من الهمزة الى الياء - قدّم عليهم جميعاً أسماء المحمدين فالأحمدين من الأعلام المترجمة اجلالاً للرسول الكريم (ص) الذي سمي بهذين الاسمين . وبعد ذلك شرع في ذكر الاسماء المبدوءة بالهمزة ، فالباء ، فالتاء . . حتى حرف الياء .

٢ - وبعد حرف الياء ، ألحق السيوطي بكتابه أبواباً مختلفة ، تعد ذيلًا للكتاب ، وقد جعلها بمنزلة الكشاف أو الفهارس الهجائية المتنوعة لكي تساعد القارئ على الاهتمام الى ترجمة الأعلام التي اشتهرت بعدة أسماء أو ألقاب ، مثل :

أ - باب الكنى والألقاب والنسب والاضافات ، ومما جاء فيه :

الأيوردي : محمد بن أحمد
ابن الأثير : المبارك بن محمد
ابن السكيت : يعقوب بن اسحق
المصري : أبو العلاء أحمد بن سليمان . .

ب - فصل فيمن شهرته باسمين ضم كل منهما الى الآخر ، ومنهم :

أبو عمر الزاهد : هو المطرز
الموفق البغدادي : عبد اللطيف بن يوسف

ج - باب المتفق والمفترق ، وهو أن تتفق الأسماء وتختلف المسميات :

الأخفش : أحد عشر ، أشهرهم ثلاثة : الأكبر ٠٠ والأوسط ، ٠٠
والأصغر ٠٠٠
سيبويه : أربعة ٠ المشهور امام العربية عمرو بن عثمان ٠٠ والثاني
محمد بن موسى ٠٠٠

د - باب المؤتلف والمختلف ، وهو المتفق خطأ ، المختلف لفظاً ، ومن ذلك :

الزجاجي والزجاجي : الأول بفتح الزاي وتشديد الجيم ، أبو
القاسم عبد الرحمن بن اسحق ، صاحب الجمل ٠ والثاني
بضم الزاي وتخفيف الجيم ، يوسف بن عبد الله الجرجاني ٠

الغالي ، والقالبي : الأول بالفاء ، محمد بن سعيد السيرافي شراح
الكتاب ، والثاني بالقاف ، أبو علي اسماعيل ، صاحب
« الأمالي » ٠

هـ - فصل فيمن آخر اسمه « وَايه » : ماهويه ، ابن حملويه ٠٠

و - فصل في الآباء ، والأبناء ، والأحفاد ، والاخوة ، والأقارب :

أبو علي الفارسي ، وابن أخته محمد بن الحسين ، وولده بدرالدين
محمد ٠

ابن جني : أبو الفتح ، وولده علي ٠٠ الخ ٠

٣ - يحرص السيوطي في كل ترجمة على الإيجاز والاختصار ، فيذكر
اسم الرجل واسم أبيه ونسبه وكنيته ولقبه ، وشيئاً من أخباره ، وشيوخه ،
وتلامذته ، وأشهر مؤلفاته ، وسنة وفاته ٠ وإذا كان له نظم ذكر قطعة منه ٠
وهذا الإيجاز ساعده على الشمول والاستقصاء ، حتى ترجم لعلماء العصور
المتأخرة فكان مكملًا لما سبقه ٠

طبع كتاب « بغية الوعاة » أول مرة في مصر سنة ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ م
في مجلد واحد ضخيم ٠ ثم صورت هذه الطبعة ٠ ونشره بعد ذلك محققاً محمد
أبو الفضل إبراهيم في القاهرة سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م في جزأين ، وألحق به
فهارس متنوعة ٠

كتب أخرى في تراجم اللغويين والنحاة

هذان الكتابان : « انباه الرواة » و « بغية الوعاة » من أواخر الكتب الشاملة المؤلفة في تراجم اللغويين والنحاة . ولم يأت بعدهما ما يفوقهما شمولاً وتفصيلاً . وقد أفاد مؤلفاهما من عدة كتب ألفت قبلهما في هذا الموضوع ، وأهمها :

١ - مراتب النحويين : لأبي الطيب اللغوي (٣٥١ هـ) : هو كتاب مختصر ، صغير الحجم ، يضم تراجم بضعة وستين رجلاً من علماء اللغة والنحو ، مبتدئاً بأبي الأسود الدؤلي حتى عصر المؤلف ، كالأصمعي ، والمبرد ، وابن السكيت ، وابن دريد . وكلمة « مراتب » في عنوان الكتاب لا تدل على طبقات معينة صنف فيها أولئك العلماء ، بل يقصد منها بيان مرتبة كل منهم في العلم ، من خلال ما رواه الرواة عنهم ، وما وصفهم به تلاميذهم . ويغلب الإيجاز على تراجم الكتاب ، وقد تتداخل ترجمتان معاً ، كما في ترجمتي خلف الأحمر والأصمعي . ولم يعتمد المؤلف فيه ترتيباً معيناً ولا منهجاً واضحاً .

طبع « مراتب النحويين » في القاهرة سنة ١٩٥٥ م بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ثم أعاد طبعه ثانية بعد بضعة عشر عاماً ، مع مزيد من التحقيق والتعليق .

٢ - أخبار النحويين البصريين : لأبي سعيد السيرافي (٣٦٨ هـ) : يقتصر هذا الكتاب الموجز على المشهورين من نحاة البصرة خلال قرنين تقريباً ، وذلك منذ أواسط القرن الهجري الأول حتى أواخر القرن الثالث : كأبي زيد الأنصاري ، والأصمعي ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى ، وأبي عثمان المازني ، والمبرد وهو آخرهم . وفيهم من ليسوا من النحاة بل غلب عليهم الشعر والقراءة . وقد راعى السيرافي في ترتيبهم التسلسل الزمني .

طبع هذا الكتاب في بيروت سنة ١٩٣٦ م بعناية المستشرق «فريتس كرنكو» في ١٠٩ صفحات ، عدا الفهارس . وصورت هذه الطبعة بعد ذلك . ثم نشره ثانية طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي في القاهرة سنة ١٩٥٥ م محققاً أيضاً .

٣ - طبقات النحويين واللغويين : لأبي بكر الزبيدي الأندلسي (٣٧٩هـ) :

وهذا الكتاب يترجم لأعلام اللغة والنحو منذ عهد أبي الأسود الدؤلي حتى عصر المؤلف في النصف الأول من القرن الرابع للهجرة . ومهد له المؤلف بمقدمة تحدث فيها عن اللغة العربية وفشو اللحن على الألسنة ، مما أدى الى وضع أصول النحو على يد أبي الأسود الدؤلي . ثم تأتي تراجم النحويين واللغويين الذين بلغ عددهم ٣٠٠ وثلاثهم من الأندلسيين . واعتمد المؤلف في جمع مادته على الروايات الشفهية عن شيوخه بالأندلس ، كالقالي وغيره من رجال العلم واللغة والأدب ، كما اعتمد على الكتب المؤلفة قبله في اللغة والتراجم والتاريخ . ووزع المترجمين على خمس مناطق وهي : (البصرة ، والكوفة ، ومصر ، وإفريقية ، والأندلس) وقسم اعلام كل منطقة الى طبقات مرتبة ترتيباً زمنياً ، ويختلف عدد هذه الطبقات من منطقة الى أخرى . كما أن المؤلف فصل بين علماء النحو واللغة في تراجم علماء البصرة ، وعلماء الكوفة فقط ، فصنف كل فئة منهما منفردة ، ولكنه جمع بين الفئتين في بقية الامصار : (مصر ، وإفريقية ، والأندلس) . وهكذا جاء توزيع الفئات جميعاً على النحو التالي :

النحويون البصريون :	١٠	طبقات مرتبة زمنياً ، ويختلف عدد أفراد كل طبقة
النحويون الكوفيون :	٦	« « « « « «
اللغويون البصريون :	٧	« « « « « «
اللغويون الكوفيون :	٥	« « « « « «
النحويون واللغويون :	٣	« « « « « «
المصريون		
النحويون واللغويون :	٣	« « « « « «
القرويون (أي الإفريقيون)		
النحويون واللغويون :	٦	« « « « « «
الأندلسيون		

طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٩٥٤ م بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ثم أعاد طبعه سنة ١٩٧٣ م مع مزيد من العناية وتدارك ما فاتته في الطبعة السابقة .

٤ - نزهة الألباء في طبقات الأدباء : لأبي البركات بن الأنباري « - ٥٧٧ هـ » : يتناول هذا الكتاب تراجم النحاة واللغويين ، وبعض الشعراء والأدباء ورواة الشعر منذ القرن الأول حتى عصر المؤلف في القرن السادس

للهجرة . وتكلم في مقدمته على نشأة النحو ، وأول من وضعه ، ثم بدأ بتراجم
الأعلام الذين بلغ عددهم ١٨١ وراعى في ترتيبهم التسلسل الزمني تقريباً ،
وانتهى بترجمة أستاذه ابن الشجري المتوفى سنة ٥٤٢ هـ . وليس لكلمة
« الطبقات » الواردة في عنوان الكتاب أي مدلول اصطلاحى ، بل المراد منها
مجرد الترجمة لحياة أولئك الأعلام الذين اختلط فيهم النحاة : (كسيبويه ،
والخليل ، والمازني) بالرواة (كالمفضل ، وخلف الأحمر ، وحمام الراوية)
الى جانب الأدباء : (كالجاحظ ، وابن قتيبة) والشعراء : (كابي نواس ،
وأبي تمام ، والمتنبى ، والمعري) . . . وكان المؤلف راعى ذلك حين أضاف الى
عنوان كتابه عبارة « طبقات الأدباء » وأراد منها المعنى الواسع للأدب .

وقد طبع « نزهة الألباء » مراراً ، وأجود طبعاته اثنتان محققتان ،
الأولى قام بها د . ابراهيم السامرائي وطبعت في بغداد سنة ١٩٥٩ م ثم سنة
١٩٧٠ م . والثانية اضطلع بها محمد أبو الفضل ابراهيم وطبعت في مصر
سنة ١٩٦٧ م .



الفصل الثالث كتب التراجم العامة وما إليها

معجم الأدباء
بإتقان المروى

يعد ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي « ٥٧٤ - ٦٢٦ هـ » ممن لهم شهرة واسعة في تاريخ الثقافة العربية ، وأثر كبير في هذه الثقافة نفسها . وهو مؤرخ ثقة ، من أئمة الجغرافيين ومن العلماء باللغة والأدب . نشأ في بغداد وقام بأسفار كثيرة ، ورحلات واسعة في مختلف البلاد الإسلامية الواسعة الأرجاء ، فمن الشام إلى العراق ، إلى خراسان ، إلى الخرطوم ، إلى خوارزم ، ولقي في سبيل ذلك المصاعب والمهالك ، وهو لا يفتر مع ذلك عن الانتقال وتدوين مشاهداته ، ومشاهدة العلماء والمصنفين ، والأخذ عنهم . وحين كان في خوارزم صادقه زحف التتار هناك ، ففر هارباً وترك كل ما يملك ، سنة ٦١٦ هـ وهو في الثانية والأربعين من عمره ، ويصفه ابن خلكان وهو على تلك الحال قائلاً : « فانهزم بنفسه كبعثه يوم الحشر من رمسه » . وأعوزه دنياه المآكل وخشن الثياب ، وأقام بالموصل مدة مديدة ، ثم انتقل إلى سنجار ، وارتحل منها إلى حلب ، وأقام بظاهرها في الخان ، إلى أن مات في رمضان سنة ٦٢٦ هـ . ولم يعيش سوى ٥٢ سنة .

ويختتم ابن خلكان ترجمته لياقوت بقوله : « وقدمت حلب للاشتغال بها في مستهل ذي القعدة سنة وفاته ، وذلك عقيب موته ، والناس يشنون عليه ، ويذكرون فضله وأدبه . ولم يقدر لي الاجتماع به » .

وترك ياقوت عدة مؤلفات ، طبع منها : معجم الأدباء ، ومعجم البلدان ، والمشتراك وضعاً والمفترق صقلاً . ومن كتبه الأخرى التي لم تصل إلينا : معجم الشعراء ، وكتاب الدول ، وأخبار المتنبي . . .

أما كتابه « معجم الأديباء » فقد اشتهر بهذا الاسم ، ويذكر ابن خلكان أن الاسم الذي اختاره ياقوت لكتابه هو « ارشاد الألباء الى معرفة الأديباء » . في حين أن ياقوتاً يذكر في آخر مقدمته أنه سماه : « ارشاد الأريب الى معرفة الأديب » . فهي ثلاثة أسماء لكتاب واحد . والأول أشهرها .

و« الأديباء » في كتاب ياقوت هم الذين أخذوا من كل علم بطسرف ، وربطتهم بالعلم وشيعة قوية ، فهو يعني بهم المعنى الواسع لمفهوم الأدب ، ولذلك ترجم لفئات واسعة منهم حتى عصره ، ولا سيما من عرفوا منهم بالتأليف وتركوا مصنفات ، وقد فصلهم فقال في مقدمة كتابه : « وجمعت في هذا الكتاب ما وقع الي من أخبار النحويين ، واللغويين ، والنسايين ، والقراء المشهورين ، والاخباريين ، والمؤرخين ، والوراقين المعروفين والكتّاب المشهورين ، وأصحاب الرسائل المدونة ، وأرباب الخطوط المنسوبة والمعينة ، وكل من صنف في الأدب تصنيفاً ، أو جمع في فنه تأليفاً » .

فموضوع الكتاب اذن شامل لتراجم مختلف الفئات من العلماء والمثقفين الذين تركوا من بعدهم تصنيفاً أو مؤلفاً ، مهما اختلفت اختصاصاتهم ، فنجد فيه تراجم لأمثال : بديع الزمان الهمداني ، وابن فارس اللغوي ، وابن عبد ربه ، وثلعب ، وأسامة بن منقذ ، واسحق الموصلي ، والمعري ، وابن رشيق ، والخليل ابن أحمد الفراهيدي ، والزمخشري . .

ونذكر فيما يلي أهم خصائص هذا الكتاب :

١ - مهد ياقوت لكتابه بمقدمة طويلة (٢٠ صفحة) تحدث فيها عن كتابه ومنهجه فيه ، ثم اتبع المقدمة بفصلين : أحدهما خصصه للحديث عن فضل الأدب وأهله « ٢٥ صفحة » والآخر في فضيلة علم الأخبار « ١٠ صفحات » .

٢ - ثم رتب ياقوت الأسماء فيه على حروف الهجاء ، ملتزماً الدقة في ذلك ، اذ راعى الحرف الأول ، فالثاني ، فما بعدهما ، وكذلك فعل في أسماء الأديباء . وتجري التراجم عنده في الألف ، مثلاً ، على النسق التالي :

- آدم بن أحمد الهروي
- أبان بن تغلب الجريري
- أبان بن عثمان اللؤلئي
- ابراهيم بن أحمد الطبري . .

فاذا اتفق أسماء عدة رجال وأسماء آبائهم ، قدم من سبقت وفاته على من تأخرت .

٣ - استبعد ياقوت من كتابه الشعراء الذين لم يشتهروا بغير الشعر : كالمتنبي ، وبشار ، لأنه ألف كتاباً في تراجم الشعراء القدماء والمتأخرين ، سماه « معجم الشعراء » على المنوال نفسه ، ولكنه لم يصل إلينا . وقال عنه : « فأودعت ذلك الكتاب كل من غلب عليه الشعر . . ولم يشتهر برواية الكتب وتأليفها ، والآداب وتصنيفها » .

ومن ثم اقتصر ياقوت في « معجم الأدباء » على مصنفي الكتب من الأعلام والمشهورين ، دون الشعراء ، أما إذا عُرِف الشاعر بالتأليف فانه يترجم له : كالبحثري ، وابن عبد ربه ، والمعري . وفي ذلك يقول : « وأما من عُرِف بالتصنيف ، واشتهر بالتأليف . . وقل شعره ، وكثر نثره ، فهذا الكتاب عشته ووكره ، وفيه يكون ثناؤه وذكره . واجتزئ به عن التكرار هناك ، إلا النفر اليسير الذي دعت الضرورة إليهم ، ودلتنا عنايتهم بالصناعتين عليهم . ففي هذين الكتابين أكثر أخبار الأدباء ، من العلماء والشعراء » .

٤ - ولم يخصص ياقوت بتراجمه عصرًا معينًا ، ولا اقليمًا واحدًا ، بل ترجم فيه لأعلام الآداب والمعارف على امتداد الأراضي الإسلامية والعربية كلها ، من أواسط آسية شرقاً ، إلى شواطئ المحيط الاطلسي غرباً ، ومنذ القرن الأول للهجرة حتى عصره . حتى بلغ عدد تراجمه ١٠٦٥ ترجمة ، شملت العراق ، وخراسان ، والحجاز ، واليمن ، ومصر ، والشام ، والمغرب ، والأندلس . الخ .

٥ - اعتمد ياقوت في جمع مادة كتابه على ما تلقفه من أفواه العلماء الذين لقيهم في رحلاته ، وعلى ما حصله في أسفاره الكثيرة التي كانت عاملاً من عوامل اتساع ثقافته وتزايد معارفه وعلومه ، واعتمد كذلك على ما كان يقتنيه أو يتاجر به من دواوين العرب والمحدثين ، ومصنفات أهل الأدب والمؤرخين ، وتفاريق الكتب الأخرى ولا سيما كتب التراجم التي أورد أسماء بعضها ، أو أسماء مصنفاتها : كالسيرافي ، والمرزباني ، وأبي بكر الزبيدي ، وغبد الرحمن بن الأنباري ، وعلي بن فضال المجاشعي . .

٦ - وتتفاوت التراجم في هذا الكتاب ، طولاً وقصراً ، بحسب منزلة المترجم وآثاره ، ولكن ياقوتاً يؤثر - بصورة عامة - الاختصار والإيجاز

وان كان يخرج عن هذا أحياناً ، فيطيل جداً في الترجمة ، كما فعل في المعري ،
والصاحب بن عباد ، وأسامة بن منقذ ٠٠ ويختصر حيناً آخر حتى يصل به
الأمر الى سطر. و سطرين ، لأنه يرى أن ذكر الشيء القليل - مهما بلغ من
ضالة - خير من عدمه ٠

٧ - ومن الظواهر البارزة عناية ياقوت بالتاريخ وذكر السنين ،
للمناسبات ، والحوادث ، وإثبات سنوات الولادة والوفاة لمن يترجم لهم ، الى
جانب ذكر مؤلفاتهم ، ومستحسن أخبارهم ، وإيراد أنسابهم وشيء من أشعارهم
ولا سيما من عاصرهم ، أو لقيهم بنفسه وجالسهم ، اذ يورد من ذلك عندئذ
ما لا مزيد عليه ٠

٨ - وحذف من كتابه الأسانيد : « فلان عن فلان ٠٠ » ، الا ما قل
رجاله ، وقرب مناله ، وقد كان ياقوت في كتابه مثالا للصدق والأمانة العلمية ،
فيما ينقل أو يثبت من الاخبار والنقول ، فينسب كل قول الى صاحبه أو
مصدره ، مهما كان شأنه ٠

تلك أهم الخصائص التي يمتاز بها كتاب « معجم الأدباء » ٠ ولكن لنا
عليه بعض الملاحظات ، منها :

١ - أن هناك مواضع قليلة من الكتاب لم يراع فيها الحرف الاول ، أو
الثاني من اسم الأب ، مع أن ياقوتاً صرح في المقدمة بأنه التزم الدقة حتى في
ترتيب أسماء الآباء ٠

٢ - وفي الكتاب أيضاً تراجم لرجال لم يُعرفوا بغير الشعر ، وليس لهم
تصانيف البتة ٠ وفيهم المخضرمون والأمويون والمحدثون : كحميد بن ثور ،
والفرزدق ، وأبي دلامة ، والحسين بن الضحاك ٠ وهذا لا يتفق والشرط الذي
ألزم به ياقوت نفسه ٠

٣ - ثم ان في مقدمة « معجم الأدباء » اشارات الى أمور أو فصول ضمنها
كتاب ، ولكن لا وجود لها فيه ٠

مثل هذه الهنات لا يتناسب وما يتمتع به ياقوت من ملكة في التأليف ،
ودقة في التصنيف ، هما موضع أعجاب وثناء لدى كثير من المؤرخين ونقده
الآداب ٠ ومن ثم فان ياقوتاً لا يمكن أن يقع في تلك الهفوات التي لا يصعب على

عالم مثله تجنبها ، وهو الحريص جداً على صحة تأتية في مؤلفاته ، وخلوها مما يتنقصها . وإذا عرفنا أن النسخة المخطوطة للكتاب « معجم الأدباء » هي الوحيدة في مكتبات العالم ، وإن تاريخ نسخها لا يرقى إلى أكثر من القرن السابع عشر ، وليس لها أصل قديم معروف نقلت عنه ، فضلاً عما فيها من نقص واضطراب ، وتقديم وتأخير . . إذا عرفنا ذلك كله — وقد أشار إليه ناشر الكتاب — أحسننا الظن بياقوت ، بل بقينا على حسن ظننا به ، ورجعنا أن النساخ هم الذين عبثوا بنسخة الكتاب الخطية في تداولهم إياها بعد موته وقيامهم بكتابة نسخ أخرى عنها ، خلال خمسة قرون بعده ، وربما خلطوا أيضاً بين تراجم كتائيه « معجم الأدباء » و « معجم الشعراء » . وعلى هذا ، لا يمكننا الاطمئنان إلى أن هذه النسخة التي بين أيدينا من كتابه ، هي نفسها كما وضعها ياقوت في الأصل^(١) . هذا ، إلى أن الكتاب كان مسودة في حوزة مؤلفه الذي ألفه في أواخر حياته ، فلم يُتاح له تبييضه وتنقيحه ، فجاء النساخ وأجالوا فيه يد الإصلاح والتهذيب كما يحلو لهم .

وعلى الرغم من ذلك كله ، يبقى « معجم الأدباء » في مقدمة كتب التراجم شهرة ونفعاً ، وهو كتاب ثمين في قيمته ومنزلته ، حتى حق لمؤلفه أن يقول فيه : « وأعلم أنني لو أعطيت حُمر النعم وسود^١ ، ومقانب الملوك وبنودها ، لما سرنى أن يُنسب هذا الكتاب إلى سواي ، وإن يفوز بقصب سبقه الأبي ، لما قاسيت في تحصيله من المشقة ، وطويت في تكميله من طول الشقة . . ولو أنصف أهل الأدب لاستغنوا به عن المأكَل والمشرب^(٢) » .

طبع معجم الأدباء ثلاث طبعات رئيسية :

— الأولى : نشرها واعتنى بتصحيحها المستشرق « مرجليوث » ، وطُبعت في أوروبا في سبعة أجزاء بين سنتي ١٩٠٧ — ١٩٢٦ م بعنوان « ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب » ، وهو أحد الأسماء الثلاثة التي عُرف بها هذا الكتاب . ثم أعيدت طباعته وتصويره في مصر ولبنان غير مرة .

(١) يقول الزركلي عن كتاب معجم الأدباء : « وفي النسخة المطبوعة نقص ، استُدرك بتراجم ملفقة دست فيه » . وقد نشر عبد العزيز الميمني في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (مج ٤٠ : ١٩٦٥) استدراكات وتصحيحات على الكتاب بعنوان : « طُرر على معجم الأدباء » .

(٢) النعم ، بفتح النون والعين : الأبل . والمقانب : الخيول تجتمع للغارة . والبنود : الرهايات .

— **والثانية :** نشرت في مصر بإشراف د. أحمد فريد الرفاعي في ٢٠ جزءاً (مطبوعات دار المأمون) بين سنتي ١٩٣٦ - ١٩٣٨ م = ١٣٥٥ - ١٣٥٧ هـ بعنوان « معجم الأدباء » وتمتاز هذه الطبعة بزيادة في التعليقات ، مع فهرس وافية . ثم طبعت مصورة في بيروت حيث نشرت لها « دار المستشرق » وأغفلت ذكر تاريخ التصوير . وقد ظهرت هذه الطبعة المصورة في الاسواق في أوائل عشر السبعين .

— **والثالثة :** طبعت في المطبعة المرتضوية بالنجف ، سنة ١٣٥٨ هـ في ثلاثة مجلدات .

* * * *

وفيات الأعيان

لابن خلكان

أبو العباس ، أحمد بن محمد ، المعروف بابن خلكان (١) . وقد عاش معظم القرن السابع للهجرة « ٦٠٨ - ٦٨١ هـ » . وهو مؤرخ ثقة ، وأديب حجة ، تنقل بين العراق ومصر وبلاد الشام ، وولاه الملك الظاهر بيبرس قضاء الشام ، وبقي في هذا المنصب بضع عشرة سنة ، يتركه حيناً ويعود إليه حيناً آخر . كما تولى التدريس في كثير من مدارس دمشق وفي هذه المدينة توفي ، ودفن في سفح جبل قاسيون .

وكتابه الذي اشتهر اختصاراً باسم « وفيات الأعيان (٢) » هو طویل العنوان وهو بتمامه : « وفیات الأعیان ، وأنباء أبناء الزمان ، مما ثبت بالنقل أو السماع ، أو أثبتته العيان » . وقد بين سبب إطلاله فقال : « ليُستدل على مضمون الكتاب بمجرد العنوان » . وكان المؤلفون في تلك العصور يحرسون على أن يكون العنوان دالاً على المضمون ، ومحققاً - في الوقت نفسه - موسيقياً السجع والفاصلة وإن طال . ومن هذا القبيل كتاب « صبح الأعشى في صناعة الانشا » للقلقشندي ، وكتاب « المستطرف من كل فن مستظرف » للأبشيهي .

وكتاب « وفیات الأعیان » في طليعة كتب التراجم العامة ، ضبطاً واحكاماً وغزارة . وهو لا يقتصر على فئة معينة من العلماء أو الملوك أو الشعراء ، بل يذكر كل من له شهرة بين الناس ، أو كان من ذوي النباهة : من الفقهاء ، والمتصوفة ، والشعراء ، والأطباء ، والأدباء ، والنحاة ، واللغويين ، والمغنين ، وشهيرات النساء . الخ ، حتى بلغ عددهم ٨٥٥ علماً ، بدءاً من القرن الهجري الأول ، حتى عصر المؤلف في القرن السابع .

وممن ترجم لهم ابن خلكان في كتابه : أبناء الأثر الثلاثة ، والأخفش الأصغر ، والأخفش الأكبر ، وأسامة بن منقذ ، والبحتري ، وأبو العلاء المرعي ، ورابعة العدوية ، وصلاح الدين الأيوبي ، والطبري المؤرخ ، وجعفر

-
- (١) بكسر الغاء ، مع تشديد اللام المكسورة أيضاً . ويجوز فتح الغاء .
 (٢) بفتح الواو والفاء ، جمع وفاة . ولا يجوز كسر الفاء وتشديد الياء ، وهذا خطأ شائع على الألسنة .

البرمكي ، وشهاب الدين السهروردي ، والبخاري المحدث ، والامام الشافعي ،
والشريف الرضي ، ٠٠٠ الخ .

ويقوم منهجه وخصائصه على ما يلي :

١ - رتب أسماء الأعلام على حروف المعجم ، بحسب الحرف الأول لكل
علم ، بدءاً من الهمزة الى الياء . وتنوعت تراجمه طولا وقصراً وتوسطاً ،
وقد يفصل في بعض الحوادث التاريخية ، والأخبار والأشعار التي تتصل
بصاحب الترجمة .

٢ - أغفل تراجم معظم الصعابة والتابعين والخلفاء ، اكتفاء بالمصنفات
الكثيرة التي تتحدث عنهم وتترجم لهم ، الا جماعة يسيرة منهم تدعو حاجة كثير
من الناس الى معرفة أحوالهم .

٣ - وعني المؤلف في الوقت نفسه بذكر أعلام زمانه الأفاضل ، ممن
شاهدهم ونقل عنهم ، او كانوا في زمنه ولم يرهم ، ليتعرف سيرتهم من يأتي
بعدهم .

٤ - وكان هم ابن خلكان العناية باثبات سنة الوفاة لكل علم بدقة ،
وتحري الصواب والصحة في ذلك ، وعنوان كتابه يؤكد ذلك . كقوله في ذكر
وفاة نبطويه النحوي :

« توفي في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، يوم الأربعاء لست خلون
منه ، بعد طلوع الشمس بساعة . وقيل : « توفي سنة أربع وعشرين . ودفن
ثاني يوم بباب الكوفة » .

وكتاب « وفيات الأعيان » من الكتب الأساسية في التراجم العامة ، ولعله
أشهر كتب التراجم القديمة ، لا يستغني عنه مؤلف أو باحث . وهو كتاب
كثير التحقيق ، ينفق نظائره في الضبط والاحكام ، واصدار الاحكام الناضجة
على ما يورده من القصائد والمقطوعات الشعرية (١) .

وشهرته هذه جعلته ينال حظوة لدى الباحثين والمؤلفين من بعده ، اذ
قاموا بتأليف كتب تهتدي بهديه ، وتستدرك ما فاتته ، مثل :

(١) طبع « وفيات الاعيان » عدة مرات . وأجود طبعاته تلك التي حققها احسان
عباس ، وطبعت في بيروت سنة ١٩٦٨ - ١٩٧٢ في ثمانية مجلدات .

١ - **فوات الوفيات** : لابن شاعر الكتبي ، الذي عاش في القرن الثامن الهجري (- ٧٦٤ هـ) . ويضم هذا الكتاب حوالي ٥٠٠ ترجمة ولكنه دون كتاب ابن خلكان من حيث الضبط والعناية . طبع غير مرة . وأجود طبعاته وأكملها ، تلك التي حققها د . احسان عباس وطبعت في بيروت سنة ١٩٧٣ م ، في خمسة مجلدات .

٢ - **الوافي بالوفيات** : لصالح الدين الصفدي ، من القرن الثامن أيضا (- ٧٦٤ هـ) . وهو كتاب ضخم جدا ، طبع منه بضعة عشر جزءا .

٣ - **درة العجال في أسماء الرجال** : لأبي العباس المكناسي ، الشهير بابن القاضي (- ١٠٢٥ هـ) وهو يترجم لمن عاش بعد ابن خلكان حتى عصر المؤلف وقد استهله المكناسي بالترجمة لابن خلكان نفسه . ويقع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء ، حققها محمد الاحمدي أبو النور ، وطبعت في القاهرة سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

* * * *

الفهرست لديته النديم

عاش أبو الفرج محمد بن اسحق النديم ببغداد في القرن الرابع الهجري •
و « النديم » يرد في بعض المصادر وصفاً له ، وفي بعضها الآخر وصفاً لأبيه
« أبي يعقوب ، اسحق » • ولا يبعد أيضاً أن يكون النديم هو الجد الأعلى
للأسرة ، والذي كان ينادم بعض الخلفاء أو الامراء ، فأصبح اسمه هذا بعد
ذلك لقباً للأسرة كلها •

وتضمن المصادر بأعطائنا تفصيلات واضحة عن ابن النديم ، ذلك الذي
قدم للثقافة العربية والمترجمة كتاباً هاماً لا يستغني عنه باحث أو دارس
لترائنا العربي في القرون الأربعة الأولى للهجرة ، وما أبدعته القرائح من
الكتب والمصنفات في تلك القرون •

كان والد ابن النديم وراقاً مشرباً في بغداد ، ونشأ ابنه على ذلك أيضاً •
وهذا ما أتاح له أن يتصل بالعلماء والأدباء والشعراء ، ويطلع على مختلف
المصنفات من خلال تحاطيه تلك المهنة • ومن العلماء الذين تتلمذ لهم أو أخذ
عنهم : أبو سعيد السيرافي ، وأبو الفرج الأصفهاني ، والمرزباني ، وغيرهم من
علماء الأدب ، والتاريخ ، والعربية ، والفقه ، والحديث ، والمنطق والعلوم
اليونانية •

وأتيح له أن يذهب الى الموصل وقيم فيها ربحاً من الزمن ، ويتصل
ببعض علمائها وأدبائها ويأخذ عنهم • ثم يعود الى بغداد ، وفيها توفي سنة
٣٨٠ هـ (١) •

كل ذلك جعل من ابن النديم رجلاً عالماً وأديباً مطلعاً على أنواع من
العلوم ومشاركاً فيها ، وهذا ما أتاح له أن يؤلف عدة كتب ، منها : الفهرست ،
وكتاب « الاوصاف والتشبيهات » •

(١) هذا التاريخ هو الذي نص عليه الصنفدي في كتاب « الوافي بالوفيات » ويكاد
يكون هو الثابت في تحديد وفاة ابن النديم • ومن الباحثين من يجعل وفاته في
نهاية القرن الرابع ، أو أوائل القرن الخامس • وهذا الرأي لا يعول عليه
كثيراً ، لقرائن كثيرة لا مجال لتفصيلها هنا

وكتاب « الفهرست » (١) أول كتاب مفصل من نوعه يؤلف في تراثنا العربي (٢) : فهو يستوعب ما وصل اليه علم ابن النديم من الكتب العربية المؤلفة والمترجمة ، ويصنفها في أبواب متنوعة بحسب موضوعاتها ، ويترجم لأصحابها ويبين طبقاتهم ومواطنهم ووفياتهم باختصار حيناً ، وتبسط قليل حيناً آخر . وبذلك يعد مصدراً قيماً لمن يريد أن يرصد النتاج الفكري للعرب منذ أن عرفوا التدوين والتأليف حتى نهاية القرن الرابع الهجري . فهو يجمع بين احصاء العلوم ، وبيان طبيعتها وحدودها ، والتعريف بكتبها المؤلفة فيها ، شمولاً وتقصيماً ، وما قام به أصحاب تلك الكتب من جهود أعطت أبنع الثمرات . وقد آفاد في ذلك من مهنة الوراقة والاتصال بالعلماء والمكتبات الخاصة والعامة في كل من بغداد والموصل .

وربما ورد اسم هذا الكتاب في بعض المصادر ، بزيادة يسيرة عليه ، فقد سماه ياقوت « فهرست الكتب » ، كما سماه الصفدي « الفهرست في أخبار الأدباء » . وقد كان ابن النديم يجمع مواد كتابه وينسجها من خلال عمله في الوراقة واتصاله بالعلماء والكتب ، ولما انتهى من ذلك شرع في كتابته وتصنيفه سنة ٣٧٧ هـ . ويبدو أنه انتهى منه خلال هذا العام نفسه ، لأنه أشار الى ذلك في عدة مواضع منه كقوله ، مثلاً ، في ترجمة المرباني : « ويحيا الى وقتنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمئة » . وهذا التاريخ نفسه أثبتته ابن النديم في مقدمة كتابه ، وهو يفصل موضوعه ومحتواه ، فقال :

« فهذا فهرست كتب جميع الامم من العرب والعجم ، الموجود منها بلمه العرب وقلها ، في أصناف العلوم ، وأخبار مصنفاتها ، وطبقات مؤلفيها ، وانسابهم ، وتاريخ مواليدهم ، ومبلىغ أعمارهم ، وأوقات وفاتهم ، وأماكن بلدانهم ، ومناقبهم ومثالبهم ، منذ ابتداء كل علم اخترع الى عصرنا هذا ، وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمئة للهجرة » .

(١) كلمة « الفهرست » أو « الفهرس » بكسر الفاء والراء ، أعجمية الاصل ، دخلت الى اللغة العربية عن طريق الفرس . وجمع العرب « الفهرس » على « فهارس » ، واشتقوا منها فعلاً فقالوا : فهرس فلان الكتاب فهرسة .

(٢) هناك محاولتان أخريان قام بها رجالان معاصران لابن النديم . أحدهما سبقه قليلاً وهو الفارابي (٣٣٩ هـ) في كتاب « احصاء العلوم » ، والآخر كان في زمنه وهو محمد بن أحمد الخوارزمي (٢٨٧ هـ) في « مفاتيح العلوم » . وهذان الكتابان موجزان جداً ، ثم ان مؤلفيهما يقتصران على التعريف ببعض علوم عصرهما وجوانب من مسائلها باختصار ، دون التعرض للمؤلفين ومصنفاتهم بتعريف أو توضيح .

ومن خلال عمل ابن النديم في هذا الكتاب يلاحظ قارئه أن المؤلف عالم كبير وأديب واسع الاطلاع ، وقد أوتي حظاً كبيراً من المهارة في التصنيف وفي التعريف بالعلوم وصحابها ، على منهج سليم ، وبراعة فائقة . وقد حرص على أن يطلع على كل الكتب التي تحدث عنها في كتابه ، وألا يفوته شيء منها ، حتى قال فيه ياقوت : « مصنف كتاب الفهرست الذي جود فيه ، واستوعب استيعاباً يدل على اطلاعه على فنون من العلم ، وتحقيقه لجميع الكتب » .

وكان ابن النديم يترك في بعض المواضع من كتابه فراغات مناسبة ، ليملأها فيما بعد ، أو يملأها غيره ممن يقتني نسخة من الكتاب ، فهو يقول في ترجمة « الامام » الناصر للحق الحسن بن علي « بعد أن يورد أسماء كتبه التي وقف عليها بنفسه : « هذا ما رأيناه من كتبه » . وزعم بعض الزيدية أن له نحواً من مئة كتاب ، ولم نرها . فان رأى ناظر في كتابنا شيئاً منها الحقها بموضعها ان شاء الله » .

وهكذا كان ابن النديم اذن يعاود النظر في كتابه ، ويضيف اليه — في تلك الفراغات — ما يستجد من معلومات عن الكتب والمؤلفات العربية والمنقولة ، حتى أصبح كتاباً فريداً يضم بين دفتيه ثقافات واسعة ، ومعالم حضارة غنية ، كما أنه يحتوي أيضاً على أحسن إيضاح لأنواع الخطوط والاقلام العربية وغير العربية ، وأنواع الورق الذي كان يستعمل في الكتابة ، الى جانب كل ما يتصل بانتقال الثقافة اليونانية وغيرها الى العرب .

هذا ، ومن المفيد هنا أن نذكر المنهج الذي سار عليه ابن النديم في تنظيم مواد كتابه وتوزيعها ، وكيف ابتداءً ؟ والام انتهى ؟

لقد قسم كتابه الى عشرة أقسام ، سمى كلا منها « مقالة » بمعنى الباب ، وقسم كل مقالة الى عدة « فنون » ، بمعنى الفصول ، وبلغ عددها ٣٢ فناً في المقالات التسع الاولى .

ففي المقالة الاولى — التي قسمها الى ثلاثة فنون — يتحدث عن لغات الامم من العرب والنجم ، وصفات أقلامها وأنواع خطوطها وأشكال الكتابة لديها ، ثم يعرج على الحديث عن الكتب السماوية من تورا و انجيل وقرآن ، ليصل بعد ذلك الى تفصيل الكلام في تدوين المصاحف وفي علوم القرآن الكريم ، وأسماء الكتب المؤلفة في القراءات وأخبار القراء وما الى ذلك .

وفي المقالة الثانية ، بفنونها الثلاثة أيضاً ، يتكلم على النحو والنحويين من بصريين وكوفييين وعلى اللغويين ، وأخبارهم وأسماء مؤلفاتهم .

ويخصص المقالة الثالثة للأخبار والآداب والسير والأنساب . وللشعر والمغنين والكتب المؤلفة في ذلك ، ويضيف إليها أخبار الملوك والكتاب والمدرسين وعمال الخراج وأصحاب الدواوين وأسماء كتبهم . وتقع هذه المقالة في ثلاثة فنون أيضاً .

أما المقالة الرابعة – وهي فنان اثنان – فقد جعلها ابن النديم للشعر والشعراء منذ العصر الجاهلي إلى عصره ، وصناع الدواوين الشعرية ، وأسماء الرواة وما جمعوه من دواوين للشعراء أو للقبائل .

والمقالة الخامسة : تناولت علم الكلام والمتكلمين ، وأصحاب الفرق الدينية المختلفة من معتزلة ومرجئة وشيعية ، وجبرية ، وخوارج ، وزهاد ، ومتصوفة ، وأخبارهم ، وأسماء كتبهم ، وهذه المقالة موزعة على خمسة فنون .

والمقالة السادسة : في الفقه ، والفقهاء ، والمحدثين ، وما صنّفوه من كتب . وهي موزعة على ثمانية فنون .

والمقالة السابعة – بفنونها الثلاثة – في أخبار الفلاسفة والمناطق والعلوم القديمة من طب ، وهندسة ، وموسيقا ، وحساب ، وتنجيم ، وصنع الآلات المختلفة . والكتب المؤلفة في ذلك .

أما المقالة الثامنة : فهي في الأسمار ، والخرافات ، والسحر ، والشعوذة ، ومعان شتى ألفت فيها كتب كالفأل ، والفروسية ، والبيطرة ، وتعبير الرؤيا ، وما إلى ذلك ، في ثلاثة فنون .

والمقالة التاسعة : في المذاهب والاعتقادات لدى الأمم القديمة ، ولا سيما الصابئة والمناوية ، والخرمية ، ومذاهب الهند والصين ، في فنين اثنين .

وينتهي الكتاب بالمقالة العاشرة ، ولم تقسم إلى فنون ، وكأنها كلها فن واحد ، وقد خصصها ابن النديم لأخبار الكيميائيين والصنّوعيين من القدماء

والمحدثين وأسماء كتبهم ، مثل هرمس البابلي، وخالد بن يزيد بن معاوية ،
وجابر بن حيان ، وذبي النون المصري ، ومحمد بن زكريا الرازي .

وابن النديم في كل مقالة من مقالاته المشر وما فيها من فنون ، يتحدث
عن أصحاب كل علم ، أو موضوع ، وما صنّفوه في ذلك من كتب أو رسائل ،
ويضيف الى ذلك كثيراً من الاخبار والآراء والاحكام التي تأتي متناثرة في
مطاوي فنون الكتاب ومقالاته .

وقد طبع « الفهرست » مراراً في أوروبا ، ومصر ، وبيروت ، وإيران ،
وترجم الى عدة لغات أجنبية ، كالفارسية والانكليزية والفرنسية .

وأجود طبعاته اثنتان :

١ - طبعة ليبزيغ بألمانيا : حققها المستشرق « فلوجل » ونشرت سنة
١٨٧١ - ١٨٧٢ م . ثم طبعت في بيروت بطريقة التصوير ١٩٦٤ .

٢ - طبعة طهران ١٩٧١ م بتحقيق رضا تجدد . وهي أكمل طبعات
« الفهرست » وأكثرها دقة وعناية .

اما الطبعات الاخرى فكلها تجارية وغير علمية .



كشف الظنون لهاجي نهنيش

هذا الكتاب ، كالفهرست ، من مسارد العلوم والمصنفين معاً ، ألفه مصطفى ابن عبد الله ، المعروف بهاجي خليفة ، وهو عالم تركسي مستعرب ، ومؤرخ بحاجة ، عاش في القسطنطينية « استانبول » بين سنتي ١٠١٧ - ١٠٦٧ هـ ، وتنقل في حياته بين بلاد شتى : كبداد ، وديار بكر ، والشام ، ومكة .

وكتابه « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » من أعظم الكتب المؤلفة في موضوع التعريف بالمصنفات المختلفة وأصحابها ، إذ بلغ عدد الكتب التي عرف بها ١٤٥٠٠ كتاب ، وعدد المؤلفين ٩٥٠٠ ، أما العلوم والفنون التي تحدث عنها وشرحها فكان عددها ٣٠٠ .

وهو مصدر أساسي في هذا الباب ، ويمد أنفع وأجمع كتاب في موضوعه لما فيه من استقصاء وشمول ، ورصد لمعظم التراث العربي خلال عشرة قرون سابقة للمؤلف ، مما صنف بالعربية والفارسية والتركية ، وما كان مترجماً إلى العربية من هاتين اللغتين .

ومنهج المؤلف في كتابه يقوم على الركائز الآتية :

١ - مهد للكتاب بمقدمة طويلة تحدث فيها عن العلم ومنزلته ، وأقسام العلوم ، والحاجة إلى التدوين والتأليف ، ومراتب العلم وشرفه .

٢ - رتب مواده على حروف المعجم ، وراعى في ترتيبه الحرف الاول فالثاني فالثالث . . . وهكذا ، سواء في ذلك أسماء الكتب وأسماء العلوم :

أ - فإذا أردت البحث عن كتاب ما ، وجدت ضالتك في باب الحرف الاول من اسم ذلك الكتاب ، فأدب الكاتب لابن قتيبة في باب الهمزة ، ومثله الأغاني للأصفهاني ، والحماسة في باب الحاء ، ووفيات الأعيان في حرف الواو .

وترى المؤلف يذكر لك مع اسم الكتاب اسم صاحبه ، مصحوباً بتعريف يسير موجز للمرجل ، ووصف للكتاب وموضوعه بايجاز أيضاً . وقد يذكر سطرأ أو سطرين من مقدمة ذلك الكتاب ، ومعنى ذلك أن كتب العالم الواحد مفرقة على أبواب متعددة ، بحسب الحروف الهجائية التي تبدأ بها .

ب - وإذا كنت ترغب البحث عن علم من العلوم ، فاطلبه في باب الحرف الأول من اسم ذلك العلم ، فالفقه في الفاء ، والنحو في النون ، والبلاغة في الباء ، والتاريخ في التاء . وهكذا .

وتراه في حديثه عن كل علم ، يعرف به ، ويبين أهم موضوعاته وأركانه وفروعه ، ويضيف الى ذلك ذكر بعض الكتب والشروح المؤلفة في هذا العلم ، ولا سيما التي تحمل اسم العلم نفسه ، مثل : « الحيوان » و « التاريخ » و « الآثار » . . .

يقع « كشف الظنون » في مجلدين ضخمين ، وقد استلوك عليه ، بعد ذلك ، أسماعيل البغدادي « - ١٩٢٠ م » كثيراً مما فاته ، وجمع مواده في كتابين الحقاً بكشف الظنون ، وكانا بمثابة الذيل له ، وهما :

١ - « ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون » : جزآن . وهو مرتب على الحروف الهجائية لأسماء الكتب فقط ، دون أسماء العلوم ، والبغدادي يعرف غالباً بصاحب الكتاب تعريفاً موجزاً جداً ، على طريقة كشف الظنون تماماً .

٢ - « هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين » : جزآن أيضاً ، رتب فيه البغدادي أسماء المؤلفين ترتيباً هجائياً من الألف الى الياء ، حيث يترجم للمؤلف ترجمة يسيرة جداً ، ثم يعدد أشهر مؤلفاته . فهو يختلف اذن عن ايضاح المكنون في منهجه وطريقته ، فالايضاح يرتب الكتب ، والهدية يرتب المؤلفين .

وبذلك يصبح كشف الظنون ، مع ملحقاته وذيلوه ، ستة أجزاء ، تطبع مجتمعة ، بين الحين والآخر ، حتى تعددت طبعتها في أوروبا ، ومصر ، وإستانبول ، ولبنان .



كتاب «الأعلام» للزركلي

خير الدين الزركلي شاعر سوري معاصر (١٨٩٣ - ١٩٧٦ م) درس في دمشق وبيروت ، وتتلذذ لرجال الفكر والاصلاح . وهو من ذوي الجهاد الوطني في ميادين الصحافة والشعر ، ومن الرواد الأوائل لديباجة الشعر العربي المتين .

وكتابه « الأعلام » مصدر أساسي ثمين في التراجم العامة ، ومعجم شامل مركز لتراجم أشهر الرجال والنساء من العرب ، وأبرز المستعربين والمستشرقين في كل علم وفن ، خلال حقبة طويلة تمتد بضعة عشر قرناً ، منسند العصر الجاهلي حتى العصر الحديث . وقد اقتصر في تراجم المعاصرين على من أدركتها الوفاة فحسب ، دون الأحياء .

واعتمد الزركلي في سبيل ذلك على مئات المراجع والمصادر : من كتب مطبوعة ومخطوطة ، ومن صحف ومجلات ، ووثائق مختلفة ، وعلى صلاح بالشخصيات المعاصرة ومن يلوذ بها .

وتتجلى خصائص كتاب «الأعلام» في الأمور التالية :

١ - الأسماء فيه مرتبة على الحروف الهجائية ، بحسب الحرف الأول مع مراعاة الحرف الثاني والثالث . . . ، وهو يراعي ذلك في أسماء الآباء أيضاً .

٢ - يذكر مع كل علم سنة ولادته وسنة وفاته بالتاريخين : الهجري والميلادي ، ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ولو على وجه التقريب ، وإذا لم يمكن ذلك أغفله .

٣ - اذا تشابه علمان فأكثر في الاسم واسم الأب ، فان المؤلف يرتب الأسماء عندئذ بحسب تاريخ الوفاة ، الأقدم فالأقدم . ففي باب الحاء مثلاً نجد الاعلام التالية التي يحمل كل منها اسم « الحسن بن علي » ، ويلاحظ فيها تسلسل سنوات الوفاة :

- الحسن بن علي بن أبي طالب « - ٥٠ هـ » .
- الحسن بن علي بن فضال التيمي « - ٢٢٤ هـ » .

- الحسن بن علي الهادي الحسيني « ٢٦٠ هـ » .
- الحسن بن علي المتعزي « ٢٩٠ هـ » ٠٠٠ الخ .

٤ - اذا كان القارئ يجهل الاسم الأصلي للعلم ، بحث عنه في اللقب الذي يشتهر به ذلك العلم : كالجاحظ ، (في حرف الجيم) ، أو في كنيته : كأبي جهل ، (في حرف الجيم أيضاً) ، أو في نسبه : كالزمخشري (في حرف الزاي) . وهناك يحيله المؤلف على الموضع الأصلي للعلم ، بعد أن يرشده الى اسمه واسم أبيه ، وسنة وفاته ، على النحو التالي :

باب الجيم : الجاحظ = عمرو بن بحر ٢٥٥ هـ (فنعود الى حرف الميم ، مع الانتباه الى سنة الوفاة أيضاً)

باب الجيم : أبو جهل = عمرو بن هشام ٢ هـ (فنعود الى حرف الميم ، مع الانتباه الى سنة الوفاة أيضاً)

باب الزاي : الزمخشري = محمود بن عمر ٥٣٨ هـ (فنعود الى حرف الميم ، مع الانتباه الى سنة الوفاة أيضاً)

٥ - أغفل المؤلف الفاظ « أبو ، ابن ، أم » في صدر أسماء الأعلام : فأبو بكر في حرف الباء ، وابن المقفع في حرف الميم ، وأم كلثوم في حرف الكاف . وهكذا .

٦ - ذيل المؤلف كل ترجمة ، في الهامش ، بذكر أهم المصادر والمراجع التي يستطيع الباحث العودة إليها اذا رغب في التوسع والافاضة ، كما أثبت نماذج مصورة كثيرة من خطوط كثير من الأعلام الذين ترجم لهم ، وتوقيعاتهم ، وعناوين كتبهم ، وفيه أيضاً صور شخصية لكثير من المعاصرين .

طبع كتاب « الأعلام » أول مرة بمصر سنة ١٩٢٧ م في ثلاثة أجزاء . ثم طبع ثانية وثالثة سنة (١٩٥٩ ، ١٩٧٠ م) في أحد عشر جزءاً ، بعد ادخال زيادات وتراجم جديدة عليه . وأصبح في طبعته الرابعة اللبنانية ١٩٧٩ م ثمانية مجلدات ضخمة ، تفوق سابقتها من حيث الاكتمال والعناية والاتقان . وأصبحت هي المعول عليها فيما صدر بعد ذلك من طبعات مصورة لذلك الكتاب .

* * * *

معجم المؤلفين

لعمري رضا كماله

عمر رضا كماله : باحث ومؤلف سوري معاصر . ولد في دمشق سنة ١٩٠٥ م وتلقى العلم في مدارسها ، وعلى بعض شيوخها : ثم انصرف إلى العمل في التجارة ، ولكن ما لبث أن استهواه البحث العلمي فانصرف إلى الكتابة والتأليف . وعين في تلك الاثناء موظفاً في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، ثم أصبح مديراً لها . وهذا ما أتاح له المطالعة ومتابعة البحث والتأليف طوال ٣٢ عاماً أمضاهما في تلك « الدار » ، موظفاً أو مديراً ، وعمل خلالها بجمع وأناة ومثابرة ، وأمد المكتبة العربية بمؤلفات وموسوعات نفيسة ، حتى بلغ عدد المطبوع من مؤلفاته حتى اليوم ٦٩ كتاباً ، أشهرها : معجم المؤلفين ، ومعجم قبائل العرب ، وأعلام النساء ، والعالم الاسلامي ، ومجموعة « حضارة العرب والاسلام » بمجلداتها الستة . وتوفي سنة ١٩٨٧ م .

وقتابه الضخم « معجم المؤلفين » يتناول إجم مصنفى الكتب العربية ، من عرب وعجم ، ممن سبقوا إلى رحمة الله ، منذ بدء تدوين الكتب حتى العصر الحاضر : كالجاحظ ، وبديع الزمان الهمداني ، والفارابي ، والثعالبي ، والمعري ، وابن تيمية ، وابن جبير ، والشهاب الخفاجي ، وعبد القادر البغدادي ، وحمد فارس الشدياق ، ومحمود سامي البارودي ، وحافظ إبراهيم .

وضم إليهم تراجم الشعراء والرواة الذين جمعت دواوينهم أو آثارهم بعد وفاتهم : كأمير القيس ، والحطيئة ، والبحري ، وأبي العتاهية ، والمتنبي ، وإبراهيم طوقان .

ونذكر فيما يلي أبرز خصائص هذا الكتاب والطريقة التي سار عليها مؤلفه في تنظيمه وترتيبه :

١ - اقتصر المؤلف على المترجمة لمن تركوا مؤلفات بالغة العربية ، من العرب والعجم - متابعاً في ذلك ياقوت الحموي في كتابه « معجم الأدباء » - إلا أنه اكتفى بإثبات من عرف تاريخ ولادته ووفاته منهم ، أو عرف الزمن الذي كان حياً فيه .

٢ - رتب الكتاب على الحروف الهجائية ، من « باب الهمزة » الى « باب الياء » بحسب الحرف الأول من اسم المترجم ، مع مراعاة الحرف الثاني ، وما بعده أيضاً ، في اسمه ، واسم أبيه وجده . فاذا اتفق اسما الأبوين في ترجمتين متواليتين روعي الحرف الأول من اسم الجد . واذا أغفل اسم الأب أو الجد ، حلت محلها الشهرة أو اللقب أو النسبة في الترتيب ، مع اسقاط « ال » التعريف وكلمة « بو » من الاعتبار . وهذان مثالان لاسمي « أبان » و « أديب » .
يوضحان طريقة المؤلف في ترتيب تراجمه :

١ - أبان بن تغلب بن رباح . . . (١٤١ - ٠٠٠ هـ)
(٧٥٨ - ٠٠٠ م)

أبان بن عبد الحميد بن لاحق . . . (القرن الثاني الهجري)
(القرن الثامن الميلادي)

أبان بن عبد الملك النخعي . . . (القرن الثاني الهجري)
(القرن الثامن الميلادي)

٢ - أديب بن عبد الله اسحاق الدمشقي (١٢٧٢ - ١٣٠٢ هـ)
(١٨٥٦ - ١٨٨٥ م)

أديب عزة
(كان حياً قبل ١٢٨٥ هـ)
(كان حياً قبل ١٨٦٨ م)

أديب بن محمد بن سعيد التقي (١٣١١ - ١٣٦٤ هـ)
(١٨٩٣ - ١٩٤٥ م)

أديب نظمي
(١٣٣٧ - ٠٠٠٠ هـ)
(١٩١٨ - ٠٠٠٠ م)

٣ - في ترجمة كل علم ، يبدأ المؤلف - كما رأيت - بذكر اسم المترجم وشهرته ، وبجانبه ولادته ووفاته - أو الزمن الذي كان حياً فيه - بالتاريخين الهجري والميلادي . وتحت هذا العنوان يترجم للعلم باختصار ، ذاكراً نسبته وكنيته ولقبه ، واختصاصه في العلم ، وشهر ولادته ومكانها ، ونشأته ، ومن أخذ عنهم ، والمناصب التي تولوها ومكان وفاته . وينتهي الترجمة بذكر مؤلفات المترجم اذا كانت اقل من خمسة ، والا اكتفى بخمسة كتب للذين أكثروا من التصنيف ، ينتخبها من علوم متنوعة تمثل مختلف الجوانب الفكرية للمترجم ، دون النظر الى قيمتها العلمية .

ويذيل المؤلف كل ترجمة بذكر مصادرها المختلفة ، فيبدأ بالمصادر المخطوطة ويشير إليها بحرف « خ » ، فالمطبوعة بـ « ط » ، فالمجلات بـ « م » ، فالجرائد بـ « ج » . وعندما يذكر المجلات أو الجرائد يشير إلى السنة أو المجلد بحرف « س » أو بكلمة « السنة » ، وإلى العدد أو الجزء بـ « ع » أو بكلمة « العدد » ، وقد يكتفي بذكر رقم السنة أو المجلد ، بدلا من حرف « س » .

وهذا مثال لطريقة المؤلف في الترجمة وذكر مصادرها :

محمد البوصيري (٦٠٨ - ٦٩٤ هـ)
(١٢١١ - ١٢٩٤ م)

محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله الصنهاجي ، الدلاصي ، البوصيري (شرف الدين ، أبو عبد الله) صوفي ، من أهل الطرق ، ناظم ، ولد بدلاص في أول شوال ، ونشأ في أبو صير ، وتوفي بالاسكندرية . من آثاره : قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية ، المعروفة بالبردة .

(خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية .

(ط) الصفدي : الوافي ٣ : ١٠٥ - ١١٣

ابن العماد : شذرات الذهب ٥ : ٤٣٢

حاجي خليفة : كشف الظنون ١٣٣١ ، ١٣٤٩

حسن الكوهن : جامع الكرامات ٨١ ، ٨٢

نور عثمانية كتبخانة ٢٣٧

البغدادي : هدية العارفين ٢ : ٢٣٨ - ٢٠٠

(م) محمد سعيد باصيل : الحج ٩ : ٩٩ - ١٠٣ ، ١٣٥ - ١٤١

لواء الاسلام : س ٣ ، ع ٦ ، ص ٣٣ - ٣٧ ، ع ٨ ، ص ٣٤ - ٤٠

محمود عرنوس : المعرفة بالقاهرة ٣ : ٢٨٩ - ٢٩٤ .

٤ - ولا شك أن المثور على ترجمة العلم مباشرة ، هو من الصعوبة بمكان - بهذه الطريقة - اما لجهلنا اسمه ومعرفتنا بشهرته أو نسبه فقط ، واما لمعرفتنا اسمه دون اسم أبيه ، وهذا ما جعل المؤلف يتبع الأجزاء الثلاثة عشر من « معجم المؤلفين » بجزأين آخرين ١٤ - ١٥ للاحالات ، يتضمنان فهرساً هجائياً - من باب الألف إلى باب الياء - للنسب والألقاب والكنى التي

وردت في معجم المؤلفين ، والى جانب كل منها اسم المترجم واسم أبيه ، مع رقمي الجزء والصفحة اللذين وردت فيها ترجمته .

وإذا تشابهت النسب أو الألقاب أو الكنى ، عمد المؤلف الى توضيح كل منها ببعض الصفات ، لتمييزها عن غيرها . ومثال ذلك في باب الطاء :

الطباخ (الحلبي) = محمد راغب ٩ : ٣٠٥
الطباخ (المرقى) = محمد الطباخ ١٠ : ١٠٣

وفي باب القاف :

ابن قتيبة (الأصفهانى) = ابراهيم بن قتيبة ١ : ٧٧
ابن قتيبة (الثقفى) = بكار بن قتيبة ٣ : ٥٤
ابن قتيبة (الديلمى) = عبد الله بن مسلم ٦ : ١٥٠ ، ١٣ : ٤٠٢

وقد بذل المؤلف جهوداً كبيرة لجمع أكبر عدد من التراجم في كتابه ، وذكر كل ما يرشد الباحث الى ضالته المنشودة بلا غناء ولا نصب . واعتمد على كثير من المصادر العربية والأجنبية ، وتحرى الحقيقة والصواب ، ما استطاع الى ذلك سبيلاً (١) .

ظهرت الطبعة الأولى من «معجم المؤلفين» في دمشق ، بأجزائه الخمسة عشر ، بعد أن امتدت طباعته عدة سنوات ١٩٥٧ - ١٩٦١ م . ثم صورت هذه الطبعة في بيروت ، كما هي .

وبعد بضع وعشرين سنة ، أنجز مؤلفه مجلداً آخر ضخماً ، في ٨٩٣ صفحة ، سماه «المستدرك على معجم المؤلفين» ، وطبع هذا المجلد في بيروت سنة ١٩٨٥ م . ويتضمن عدة ملاحق :

١ - ترجمة لمؤلفه عمر رضا كحالة ، بقلمه ، مقدارها ثلاث صفحات .

(١) ومع ذلك ، وقعت في الكتاب هنات ومفوات لا يخلو منها أمثاله ، ولا تنال من منزلته ، بعد أن نهض صاحبه وحده بعبء تأليفه وإعداده . وقد نشر ادريس القيطوني ، من المغرب ، جملة من الملاحظات على الكتاب في مقاله « نظرة في معجم المؤلفين » التي نشرها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٢ : ٢٩٩ - ٣٢٠ لسنة ١٩٦٧ .

٢ - تراجم المصنفين الذين فات المؤلف ذكرهم ، أو ذكر آثار أخرى لهم ، في أصل كتابه ، أو تراجم الذين توفوا في السنوات التي أعقبت ظهور الطبعة الأولى من الكتاب ، مع إضافات واستدراكات أخرى . ورتبت الأسماء كلها على حروف المعجم « ص ١١ - ٨٥٧ » .

ويلاحظ أن المؤلف أطال في كثير من التراجم ، هنا ، كما أنه لم يكتف بذكر خمسة مصنفات لكل صاحب ترجمة ، بل زاد على ذلك في كثير من الأحيان ، خلافاً لما جرى عليه في أصل كتابه .

٣ - تراجم لأعلام جدد لم يذكروا في الأصل ولا في المستدرك . وعددهم ٤٩ ومعظمهم من المعاصرين (ص ٨٥٩ - ٨٦٥) . وقد رتبت أسماؤهم على حروف المعجم .

٤ - ملحق بأعلام ذكروا في أصل الكتاب ومعظمهم من القدماء ، وظفر المؤلف بفوائد يسيرة تتعلق بتراجمهم ومصادرهم وآثارهم ، لم يتح له إضافتها في مواضعها من القسم الثاني من مستدركه هذا ، فأضافها هنا ، ورتب أسماء أصحابها على حروف المعجم أيضاً ، (ص ٨٦٧ - ٨٩٣) (١) .



(١) يفتقر هذا المجلد برمته الى فهرس هجائي شامل للنسب والألقاب والكنى ، شبيه بما صنعه المؤلف في جزأي الاحالات (١٤ - ١٥) ، لتتحقق الفائدة منه على الوجه الأكمل .

كما يحتاج هذا المجلد نفسه الى جدول تصحيح فيه الاغلاط المطبعية الكثيرة التي تناثرت في صفحاته . ويبدو أن المؤلف لم يشرف بنفسه على طباعة الكتاب وتصحيح مجاريه .

أعلام النساء لعمريضا كاتبة

هذا الكتاب « أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام » (١) يترجم لأكثر عدد أمكن المؤلف جمعه من أعلام النساء في العالمين العربي والاسلامي ، منذ أقدم المصور حتى العصر الحديث ، ممن كان لهن أثر بارز في العلم والحضارة والأدب والفن ، والسياسة والدهام ، والنفوذ والسلطان ، والبر والاحسان ، والزهد والورع . . . وبذلك يكشف لنا صفحات ناصعات من تاريخ المرأة في تراثنا وحضارتنا على مدى قرون متعاقبة : كالخنساء ، وخولة بنت الأزور ، ورابعة العدوية ، والزبائ ، والملكة بلقيس ، وشجرة الدر ، وملك حفني ناصف ، ووردة بنت ناصيف اليازجي . . الخ .

ومن ثم ، كان هذا الكتاب أوفى مرجع حتى اليوم لتراجم شهيرات النساء ، حتى بلغ عددهن فيه حوالي ٢٦٠٠ امرأة ، من عصور مختلفة ، وقد وقف المؤلف عند نهاية الثلث الأول من القرن العشرين تقريباً ، ولم يترجم من المعاصرات الا للنساء اللواتي أدركنهن الوفاة .

وقد سار عمر رضا كحالة في كتابه وفق المنهج التالي :

١ - رتب أسماء النساء على الحروف الهجائية ، من الهمزة الى الياء ، أسوة بالموسوعات العلمية والتاريخية والمعاجم اللغوية لتكون تلك الأسماء قريبة المتناول . فاسم « آمنة » في باب الهمزة ، و « حليلة » في باب الحاء ، و « شجرة الدر » في باب الشين . . وهكذا .

٢ - وأهمل صدور الأسماء التي تبدأ بلفظ « أم » أو « ابنة » أو « بنت » أو « أخت » ، وأخذ الجزء الثاني من الاسم - أي المضاف إليه - فوضعه في موره من الباب :

فأم تأبط شراً : في باب التاء
وابنة الحكم : في باب الحاء

(١) سبيل التعريف بمؤلفه ص ٢١٣ عند الكلام على كتابه « معجم المؤلفين » .

وبنت الشريف المرتضى : في باب الشين

وأخت الحاجز الأزدي : في باب الحاء

٣ - وإذا تعددت أسماء المرأة أو ألقابها ، فإن المؤلف يحيل القارئ الى الاسم الأكثر ثبوتاً وشيوعاً . ففي باب التاء يذكر « تماضر بنت عمرو » ويقول لك : « انظر الخنساء بنت عمرو » . أي في باب الخاء . وفي باب العين يذكر « أم العزّ بنت أبي حيان » ويكتب الى جانب اسمها : « نضار بنت محمد بن يوسف » حيث يحيلك الى باب النون .

٤ - وتراجم النساء في الكتاب تختلف طولاً وقصراً وتوسطاً ، بحسب شهرة المرأة نفسها ، فقد تقصر ترجمتها حتى تصبح جملة أو جملتين ، كقوله : « عائشة بنت المقدم : محدثة ، سمعت سنن الدارقطني » . وقد تطول الترجمة وتتخللها الأخبار والأشعار ، كما في ترجمة « عائشة بنت أبي بكر الصديق » التي بلغت ١٢٣ صفحة .

٥ - وقد ذيل المؤلف كل ترجمة بالمصادر التي رجع اليها واستمد منها مادة الترجمة ، سواء أكانت مطبوعة أم مخطوطة ، مستفيداً في ذلك من ذخائر المكتبة الظاهرية بدمشق ، لتساعد القارئ على التوسع في البحث والاطلاع ، وتأخذ بيده الى تفاصيل أخرى لم يتسع لها حيز الكتاب . الا أن المؤلف - عندما يسرد المصادر - يكتفي بذكر أسم المصدر ومؤلفه ، ويغفل ذكر الصفحات التي وردت فيها الترجمة ، ومكان طبع الكتاب وتاريخه .

ومن هذا كله ، ندرك أن كتاب « أعلام النساء » يسد ثغرة واسعة في بابيه - شأن كتابي « معجم المؤلفين » و « معجم قبائل العرب » للمؤلف نفسه - فهو مرشد ميسر للباحثين ، يخفف عنهم كثيراً من العناء الذي يصادفونه في السعي وراء تراجم النساء ، ويغنيهم عن التنقيب في بطون الاسفار المطبوعة والمخطوطة ، كما أن هذا الكتاب يميظ اللثام عن الأدوار المختلفة التي مرت بها المرأة في تاريخ العرب والاسلام ، وذلك من خلال ما حوته تراجم النساء من أخبار وأشعار وفوائد تتعلق بمختلف جوانب الحياة ، الأدبية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وما الى ذلك .

طبع كتاب « أعلام النساء » مرتين بدمشق ، الأولى سنة ١٩٤٠ م ، والثانية سنة ١٩٥٩ في خمسة أجزاء تشتمل على ألفي صفحة تقريباً . وقد اضاف

المؤلف الى الطبعة الثانية عدداً آخر من شهيرات النساء اللواتي عثر عليهن بعد الطبعة الأولى . وفي آخر كل جزء من الأجزاء الخمسة فهرس هجائي بأسماء اعلام النساء اللاتي وردت تراجمهن في هذا الجزء .

ونورد ، فيما يلي ، مثالا من كتاب « اعلام النساء » يتضمن الترجمة الكاملة لزرقاء اليمامة ، كما جاءت في باب الزاني :

زرقاء اليمامة (١)

كانت ترى الجيش من مسيرة ثلاثين ميلا . فغزا قومها طسم في جيش حسان بن تبع ، فلما صاروا بالجوف على مسيرة ثلاثة أيام ، صعدت فنظرت الى الجيش وقد أمروا أن يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ، ليلبسوا عليها . فقالت : يا قوم ، قد أتتكم الشجر^(١) أو أتتكم حِمير . فلم يصدقوها ، وقالوا لها : قد خرفت وذهب عقلك ، ورق بصرك . فقالت على مثال رجز :

أقسم بالله لقد دب الشجر أو حِمير قد أخذت شيئا يجر

فلم يصدقوها . فقالت : حلف بالله ، لقد اري رجلا ينهس كتفا ، أو يخصف النعل . فلم يصدقوها ، ولم يستمدوا ، حتى صبحهم حسان واجتاحهم . فأخذ الزرقاء فتشق عينيها ، فاذا فيهما عروق سود من الأثمد ، من كثرة ما كانت تكتحل به . وكانت أول من اكتحل بالأثمد عند العرب .

(الأغاني للأصبهاني . صبح الانسى للقلقشندي . العقد الفريد لابن عبد ربه . جمهرة الامثال للمسكري . مجمع الأمثال للميداني . فرائد الألل للأحدب) .

(١) قال الجاحظ . انها من بنات لقمان بن عاد . وان اسمها عنتر . وقال المسكري : اسمها « اليمامة » ، وبه سمي بلدها . وهي من بنات لقمان بن عاد . وقيل : من جديس .

(٢) أي احتال من غزاهم ، فقطعوا شجرا وأمسكوها أمامهم بأيديهم . لتستر كل شجرة منها الفارس اذا حملها .

معجم البلدان

لياقوت الحموي

نشأ علم الجغرافية عند العرب في القرن الثالث الهجري ، وان كان لهم منذ جاهليتهم رحلات تجارية في الشتاء والصيف ، وأخرى في بوادي الجزيرة . وقد أسهمت عوامل مختلفة في نشوء ذلك العلم أو التمهيد له ، منذ القرن الثاني أيام الدولة الأموية : كالرغبة في حسن جباية الأموال ، وإدارة الولايات ، وإنشاء البريد ، إلى جانب الاهتمام بالحج ومنازل الحجاج ، ومواضع الاحرام .

كل ذلك كان له ثره في نمو المعارف الجغرافية ، والاهتمام بالأقاليم والمدن وما إليها ، يضاف إلى ذلك تتابع الأسفار التجارية والرحلات التي جاب أصحابها بلدانا كثيرة ، ودونوا مشاهداتهم وانطباعاتهم منذ العصر العباسي فما بعده من العصور .

واشتهر عدد من الرحالة والجغرافيين على توالي العصور ، تركوا لنا مؤلفات قيمة في هذا العلم ، بعضها ذو طابع جغرافي صرف ، من حيث وصف الممالك والبلاد ومسالكها وحدودها ، وصور أقاليم الأرض ، ومدنها وبحارها ، وبعض تلك الكتب كان دافعها الرحلات الطويلة في البلاد العربية والإسلامية ، فاتخذ أصحابها منهاج مختلف في تدوين أحوال تلك البلاد ، أما من خلال الانتقال والأسفار ، بحسب الأقاليم والمناطق ، وأما من خلال ترتيب أسماء البلاد والمناطق ترتيباً معجماً على حروف الهجاء .

وممن نبغ في هذا الميدان : ابن خردادبه ، واليعقوبي ، والمقدسي ، والهجري ، والأصطخري ، وابن جبير ، وابن بطوطة ، وياقوت الحموي ، وغيرهم .

وكتاب ياقوت الحموي : «معجم البلدان» يعد «من أشهر المعاجم الجغرافية وأكثرها نفعا وتداولاً حتى اليوم ، وهو ثمرة جهد جبار بذله المؤلف في الارتحال والمطالعة والتسجيل . والحق ان جميع البعثة في مجالات التاريخ والبلدان والجغرافيا في العالم الإسلامي مدينون للمؤلف بهذا الجهد الضخم»^(١) .

(١) المصادر العربية والعربية ، للماهر حمادة ٢٩١ . وسبق التعريف بياقوت ص ١٩٥ .

وقد أفاد ياقوت كثيراً من رحلاته وأسفاره في إيران وبلاد العرب ، وآسية الصغرى ، ومصر ؟ والشام ، وبلاد ما وراء النهر ، وخراسان ، ومكنته هذه الأسفار من جمع المواد اللازمة لكتابه النفيس .

وكان مما دفعه الى تأليف هذا الكتاب اختلاف الناس في ضبط أسماء البلدان والأمكنة والبقاع ، وافتقار الباحثين والمتعلمين الى كتاب في هذا الشأن يرجعون اليه ويعتمدون عليه .

وقد اعتمد ياقوت في تأليف كتابه وجمع مواده على مصادر ثلاثة :

١ - ما دونه كبار الجغرافيين السابقين من العرب والمسلمين ، مثل : ابن خردادبه ، والبلخي ، والاصطخري ، وابن حوقل ، وأبي عبيد البكري ، والمقدسي . . .

٢ - كتب المحاضرات وتاريخ الأدب وما اليها مما ألفه المحدثون قبله ، كالإغانى ، والأمالى للقالى ، والمقد الفريد ، والكامل للمبرد ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، وغيرها .

٣ - ما تلقاه مشافهة من أفواه الرواة ، وما شاهده بنفسه خلال أسفاره وتطوافه ، واتصاله بالعلماء الذين التقاهم وهو يتنقل من بلد الى آخر .

وقد رتب ياقوت كتابه « معجم البلدان » على حروف المعجم ، من الهمزة الى الياء ، فدمشق في حرف الدال ، وحلب وحماه وحمص في حرف الحاء ، ومنبج في حرف الميم . . . وهكذا . وهو يراعى أيضاً الحرف الثانى والثالث . . . في اثبات كل مادة ، ولا يقتصر على ذكر المدن الكبرى بل يذكر الأقضية والنواحي والقرى المختلفة والمياه التي كان لها وجود في أيامه ، مهما صغر شأنها ، وقل أن يفوته شيء منها .

وهو في ذكره للمواضع ، يضبط أسماءها ضبطاً دقيقاً ، ويبين اشتقاق هذه الأسماء وصيغها ، ثم يحدد الموضع وموقعه الجغرافى عرضاً وطولاً ، والمسافات بينه وبين ما يجاوره من المواضع الأخرى ، ويعرج على طباع أهله وخواصه الطبيعية ومعادنه ، والحوادث التاريخية التي جرت فيه ، وما اشتهر به من المعاديات ، وما ينتج من غلال ومزروعات ، ومن خرج منه أو نُسب اليه من العلماء والشعراء والأمراء والزهاد .

ويورد خلال ذلك كله كثيراً من الأخبار والأشعار ، والطرائف والقصص الخاصة والعامة ، وربما ذكر بعض الخرافات الدائنة في عصره ، مما تأباه العقول السليمة ، ولكنها لم تغب عن ذهنه ، وهو يعتذر عن ذلك بأنه ذكرها حرصاً على احراز الفوائد ، وأوردها كما سمعها ، والعهد فيها على رواتها .

وهكذا فان ياقوتاً في كتابه هذا يبدو مؤرخاً، وأخبارياً ولغوياً ، وجغرافياً، ونسابة وأديباً ، لأن كتابه يضم هذه الميادين كلها ، فجاء « معجم البلدان » كتاباً جامعاً ، كله علم وأدب ، بل هو مكتبة في كتاب ، وصاحبه مؤلف بارع ، واسع الاطلاع ، غزير المعلومات ، ناظم لأشتات الفرائد والفوائد ، قادر على ترتيبها وتنظيمها وتيسير الاستفادة منها .

وهذا الكتاب خير نتاج لياقوت ، يمثل ثقافته الواسعة المتنوعة المنظمة ، وإذا كان الجمع سمة بارزة فيه ، فان مما يرفع منزلته اعتماده القوي على التنظيم الواعي والمنهج السليم - وهو حقاً - كما يقول ياقوت نفسه - « أوحده في بابه ، مؤمراً على جميع أضرابه وأترابه ، لا يقوم بمثله الا من أيد بالتوفيق ، وركب في طلب فوائده كل طريق » .

ومع ذلك كله فان ياقوتاً لا يصغر خده مختالاً ، ولا يستبد به الغرور ، شأن كثير من أدعياء العلم والمعرفة ، بل يقول في تواضع جم : « ولا أدعي أنني لم أغلط ، ولا شمنخ بأنني لم أك في عشواء أخبط ، والمقر بذنبي يسأل الصفح ، فان أصبت فهو بتوفيق الله ، وان أخطأت فهو من عوائد البشر » .



طبع « معجم البلدان » في أوروبا ١٨٦٨ م ، ومصر ١٣٢٣ هـ ، ولبنان ١٩٥٧ م ، في عدة مجلدات يختلف عددها وحجمها بحسب كل طبعة . على أن طبعة مصر - وهي في ثمانية أجزاء - انفردت بأن نشرها « أمين الخانجي » أضاف إليها جزأين آخرين بعنوان « منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان » ضمنهما ما أغفله ياقوت من المدن والمواضع المختلفة ، وجرى فيهما على طريقة ياقوت ، من حيث الترتيب الهجائي للمواد ، والتعريف بها .



الفهارس العامة

- ١ - فهرس الأعلام المترجمين
- ٢ - فهرس الأشعار
- ٣ - فهرس التعريفات والمصطلحات
- ٤ - فهرس أسماء الكتب

فهرس الأعلام المترجمين^(١)

- ٥٧ ابن الأثير : مجد الدين ، المبارك بن محمد « - ٦٠٦ هـ »
- ١٦٢ ابن اسحق : محمد بن اسحق المطلبي « - ١٥١ هـ »
- ٢٠١ ابن خلكان : أبو العباس ، أحمد بن محمد « - ٦٨١ هـ »
- ١٦١ ابن سلام الجمحي : أبو عبد الله ، محمد بن سلام « - ٢٣٢ هـ »
- ٧٦ ابن سيده الأندلسي : علي بن اسماعيل « - ٤٥٨ هـ »
- ٣٨ ابن الشجري : هبة الله بن علي « - ٥٤٢ هـ »
- ١٤١ ابن عبد ربه الأندلسي : أحمد بن محمد « - ٣٢٨ هـ »
- ١٣٤ ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم « - ٢٧٦ هـ »
- ٩٤ ابن منظور : محمد بن مكرم « - ٧١١ هـ »
- ٢٠٤ ابن النديم : أبو الفرج ، محمد بن اسحق « - ٣٨٠ هـ »
- ٢٨ أبو تمام الطائي : حبيب بن أوس « - ٢٣١ هـ »
- ١٦١ أبو خليفة الجمحي : الفضل بن الحباب « - ٣٠٥ هـ »
- ٥٥ أبو زيد الأنصاري : سعيد بن أوس « - ٢١٥ هـ »
- ٢٣ أبو زيد القرشي : محمد بن أبي الخطاب « ق ٤ - ٥ هـ »
- ١٧٣ أبو الفرج الأصفهاني : علي بن الحسين « - ٣٥٦ هـ »
- ١٤٣ أبو علي القالي : اسماعيل بن القاسم « - ٣٥٦ هـ »
- ١٠١ أبو عمرو الشيباني : اسحق بن مِرار « - ٢٠٦ هـ »
- ١٧٥ أبو قطيفة المعيطي : عمرو بن الوليد « - ٧٠ هـ »
- ٥٦ الأخفش الأصغر : علي بن سليمان « - ٣١٥ هـ »
- ٢٠ الأصمعي : عبد الملك بن قريب « - ٢١٦ هـ »
- ٥٩ الأنباري : أبو بكر ، محمد بن القاسم « - ٣٢٨ هـ »

(١) ذكرنا في هذا الفهرس أسماء كل من وردت لهم ترجمة ، من مؤلفين وغيرهم .

- ٣٤ البحتري : الوليد بن عُبَيْد « - ٢٨٤ هـ »
البوصيري = محمد البوصيري
- ٧٤ الثعالبي : أبو منصور ، عبد الملك بن محمد « - ٤٢٩ هـ »
- ١٢٧ الجاحظ : أبو عثمان ، عمرو بن بحر « - ٢٥٥ هـ »
- ٩٢ الجوهري : اسماعيل بن حماد « - ٣٩٣ هـ »
- ٢٠٩ حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله « - ١٠٦٧ هـ »
- ٦٢ الحريري : القاسم بن علي « - ٥١٦ هـ »
- ١٥٠ الحصري القيرواني : أبو اسحق ، ابراهيم بن علي « - ٤٥٣ هـ »
- ١٥٠ الحصري القيرواني : أبو الحسن ، علي بن عبد الغني « - ٤٨٨ هـ »
- ٤٦ الخالديان : محمد « - ٣٨٠ هـ » ، وسعيد « - ٣٩١ هـ »
- ٨٥ الخليل بن أحمد الفراهيدي « - ١٧٥ هـ »
- ٢١١ خير الدين الزركلي « - ١٩٧٦ م »
- ٢٢٠ زرقاء اليمامة
الزركلي = خير الدين
- ١٠٣ الزمخشري ، محمود بن عمر « - ٥٣٨ هـ »
- ١٦٧ زهير بن أبي سلمى « - ١٣ ق هـ »
- ١٧٥ سعيد بن العاص (والي المدينة) : « - ٥٩ هـ »
- ١٨٨ السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر « - ٩١١ هـ »
- ٤٧ عبد العزيز الميمني الراجكوتي « - ١٩٧٨ م »
- ٢١٣ عمر رضا كحالة : « - ١٩٨٧ م »
- ٩٧ الفيروزآبادي : مجد الدين ، محمد بن يعقوب « - ٨١٧ هـ »
- الفضل بن الحباب = أبو خليفة الجمحي
- ١٦٧ قدامة بن موسى « - ١٥٣ هـ »
- ٦٥ قطرب : أبو علي ، محمد بن المستنير « - ٢٠٦ هـ »

- ١٨٥ القفطي : جمال الدين ، علي بن يوسف « - ٦٤٦ هـ »
١٣٨ المبرد : أبو العباس ، محمد بن يزيد « - ٢٨٥ هـ »
٢١٥ محمد البوصيري : محمد بن سعيد « - ٦٩٤ هـ »
٤١ محمود سامي البارودي : « - ١٩٠٤ م »
١٠٥ المطرزي : ناصر الدين بن عبد السيد « - ٦١٠ هـ »
١٧ المفضل الضبي : المفضل بن محمد « - ١٦٨ هـ »
التديم = ابن التديم
١٩٥ ياقوت الحموي : ياقوت بن عبد الله « - ٦٢٦ هـ »



فهرس الأشعار

الصفحة	الشاعر	البحر	كلمة القافية	أول البيت
- ع -				
٨٣	أبو الفرج المعافري	البسيط	واحصاء	يا سائلي
- ب -				
٤٣	أبو تمام الطائي	البسيط	واللعب	السيف
٦٩	ذو الرمة	البسيط	عرب	ديار
٩٢	ابن عبدوس	المنسرح	الأدب	هذا
- ح -				
٣٥	ابن الاطنابة	الوافر	الرييح	أبت لي
- د -				
٢٢	دريد بن الصمة	الطويل	الغد	أمرتهم
٤٣	ابن الرومي	الطويل	عندي	بكاؤكما
٣٦	المقنع الكندي	الطويل	حمدا	يعاتبني
١٧٦	عمر بن أبي ربيعة	مجزوء الخفيف	غدا	قل لهند
١٥٠	أبو الحسن الحصري	المتدارك	موعدة	يا ليل
- و -				
٢١	عروة بن الورد	الطويل	فاسهري	أقيلي
١٧٦	مجنون ليل	الطويل	بصير	دهوت

الصفحة	الشاعر	البحر	كلمة القافية	اول البيت
٢٥	النايعة الذبياني	البسيط	وأحجار	عوجوا
٩٩	عبد الغني النابلسي	الكامل	المفتري	من قال
- س -				
١٥٠	أبو اسحق الحصري	الوافر	لرمسي	كتمت
٩٩	نور الدين المكي	الكامل	القاموسا	مذممة
- ض -				
٢٩	حطان بن المعلى	السريع	خفض	أنزلني
- ع -				
١٩	أبو ذؤيب الهذلي	الكامل	يجزع	أمن المتنون
- ف -				
٣٣	القارعة الشيبانية	الطويل	طريف	أيا شجر
٤٠	ميسون بنت بحدل	الوافر	منيف	لبيت
- ق -				
٣١		البسيط	صندوق	علمي
١٨	تأبط شراً	البسيط	طراق	يا عيد
١٦٧	زهير بن أبي سلمى	البسيط	طرقا	قد جعل
- ك -				
٦٤	زهير بن أبي سلمى	البسيط	لبك	رد
- ل -				
١٠٤		الطويل	خليل	فلو كنت

الصفحة	الشاعر	البحر	كلمة القافية	اول البيت
--------	--------	-------	--------------	-----------

- م -

١٨٠	ابن قلاقس	مجزوء الكامل	قديمه	أبيات
٥٩		السريع	يعلم	ليس

- ن -

٥٦	العيان بن سهلة	الطويل	بستان	مررت
١٧٥	أبو قطيفة المعيطي	البسيط	جيرون	القصر
٣٠	بشامة بن حزن	البسيط	قاسقيننا	أنا محيوك
٢١	سحيم بن وثيل	الوافر	تمرفوني	أنا ابن
٤٨	عبد الشارق بن عبد العزى	الوافر	فارتمينا	فلما أن

- ي -

١٩	عبد يغوث	الطويل	ألا لا تلوماني ولا ليا	
٢٧	مالك بن الريب	الطويل	النواجيا	ألا ليت
٥٩		الطويل	وراثيا	أترجو

أنصاف الأبيات

١٠٤	الطويل	فلم يحل في العيتين بعدك منظر
-----	--------	------------------------------

الأرجاز

٦٦	قطرب	والتمتع	يا مولعاً
٢٢٠		يجر	أقسم
٧٨		الحلق	مجوع

فهرس التعريفات والمصطلحات

- الأدب ، والأدباء : ١٢٥ ، ١٩٣ ، ١٩٦
- أركان كتب الأدب : ١٢٧ ، ١٤٦
- الأسانيد : ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٧٦ ، ١٩٨
- الاستطراد : ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٧٧
- الأصوات = صوت ، الأغاني
- الأضداد « في اللغة » : ٥٨
- الأغاني « بمعنى الأصوات أو الألحان » : ١٧٣
- أغراض الشعر « موضوعاته العامة » : ٢٨ ، ٢٩
- أقسام الشعر : ١٦٩
- الأمالي « وانظر : المجالس » : ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٤٨
- الأملية ، الاملاء = الأمالي
- أنساب العرب : ١٦٣
- التراجم العامة : ١٥٨
- الترتيب الأبجدي « عند المشاركة » ٨٢ ، ٨٥
- الترتيب الأبجدي « عند المغاربة » ٨٢
- الترتيب الصوتي أو المخرجي ٨٣ ، ٨٥
- الترتيب الهجائي أو « الألفبائي » عند المشاركة : ٨٣ ، ٨٥ ، ٩٠
- الترتيب الهجائي أو « الألفبائي » عند المغاربة : ٨٤
- الجرح والتعديل « أو معرفة الرجال » ١٥٥
- الجغرافية عند العرب ٢٢١
- الحرف « بمعنى الكلمة » ٥٩
- حروف المعجم = حروف الهجاء

- حروف الهجاء ، الحروف الهجائية « عند المشاركة » : ٦٩ ، ٨٣
- حروف الهجاء ، الحروف الهجائية « عند المغاربة » : ٨٤
- حساب الجمل « بضم الجيم وتشديد الميم المفتوحة » : ٨٢
- الحماسة « معناها ، اطلاقها » : ٣٥ ، ١٤٥
- حماسي : ٢٨
- حماسية : ٢٨
- حوشيّ الكلام : ١٦٧
- الخارجي : ١٣٦
- الخنز : ٥٦
- دواعي نظم الشعر : ١٧٠
- الديوان ، الدواوين : ١٢٧ ، ١٤٦
- الرحالة العرب : ٢٢١
- رواية الشعر : ١٤
- الروي : ٤٢
- الشاعر المتكلف ، والشاعر المطبوع : ١٧٠
- الشعر الموضوع : ١٦٢
- الشعوبية : ١٢٨ - ١٢٩
- شياطين الشعراء : ٢٤
- الصّحفي « بضم الصاد » : ١٥ ، ٥٢ ، ١٦٢
- الصوت « النغم الموسيقي » : ١٧٤
- الضرائر الشعرية : ١٧١
- الطبقات : ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٩١ - ١٩٣ ، ٢٠٥
- عصور الادب العربي : ٨
- الاعتنسية : ٨٧

- عنوان الكتاب : ٢٠١
- عيوب الشعر : ١٧١
- الغريبان « في اللغة » ٥٦
- « فَعَلَ وَأَفْعَلَ » ، أو « فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ » : ٦٧
- الفن « بمعنى الفصل » : ٢٠٦
- الفهرس ، والفهرست : ٢٠٥
- القاموس « بمعنى المعجم » : ٧٠ ، ٩٧
- الكتاب « بمعنى الباب » : ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤١
- كتب الاختيار « المجموعات الشعرية » : ١٦
- كتب الأمالي والمحاضرات : ١٣٩ ، ١٤٨
- كتب التراجم : ١٥٤
- كتب المجالس = المجالس ، كتب الأمالي والمحاضرات .
- الكشكشة : ٨٧
- اللحن « في اللغة » ٦٠ ، ١٣٦ - ١٣٧ ، ١٦٣ ، ١٧٥ ، ١٩٢
- اللحن « في الغناء » ١٧٥
- اللفظة : ٥١
- المتفق والمفترق : ١٩٠
- مثلثات الكلام : ٦٥
- المجالس « وانظر : الأمالي » : ١٤٥
- المجمهرات : ٢٥ ، ٢٦
- المجموعات الشعرية « كتب الاختيار » : ١٦
- المدرسة الأوسية : ١٤
- المذاهب : ٢٥

١٩١	مراتب ، ج مرتبة - « وانظر : طبقات »
٢٧ ، ٢٥	المراثي :
١٦٩ ، ١٣٦	المساواة بين القديم والمحدث :
٥٢	المشافهة :
٢٥	المشويات :
٨٢	معاجم الألفاظ :
٧٢	معاجم المعاني :
١٦٧	المعاطلة :
١٨٢ - ٦٩	المعجم :
٤٤ ، ٢٤	المعلقات :
٢٠٧ - ٢٠٦	المقالة « بمعنى الباب » :
١٧٠	المقامات :
٢٥	الملحقات :
٢٥	المنتقيات :
٤٨	المنصفات :
١٧٠	منهج القصيدة العربية :
١٩٠ ، ١٨١	المؤتلف والمختلف :
٢٩ ، ٢٨	موضوعات الشعر « أغراضه العامة » :
٥٥	النوادر « في اللغة » :
٢٠١	الوفيات :

فهرس أسماء الكتب^(١)

- أحصاء العلوم : للفارابي « - ٣٣٩ هـ » ٢٠٥
- أخبار النحويين البصريين : لأبي سعيد السيرافي « - ٣٦٨ هـ » ١٩٩
- الاختيارين = كتاب الاختيارين
- أراجيز العرب = كتاب أراجيز العرب
- أساس البلاغة : للزمخشري « - ٥٣٨ هـ » ١٠٣
- الأشباه والنظائر : للخالدين ، محمد « - ٣٨٠ هـ » وسعيد « - ٣٩١ هـ » : ٤٦
- الأصمعيات : للأصمعي « - ٢١٦ هـ » ٢٠
- الأضداد = كتاب الأضداد
- الأعلام للزركلي = كتاب الأعلام
- أعلام النساء : لعمر رضا كحالة « - ١٩٨٧ م » ٢١٣
- الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني « - ٣٥٦ هـ » ١٧٣
- الافصح في فقه اللغة : لعبد الفتاح الصعيدي ، وحسين يوسف موسى ٨٠
- الألفاظ : لابن السكيت « - ٢٤٤ هـ » ٧٣
- الألفاظ الكتابية : لعبد الرحمن الهمداني « - ٣٧٠ هـ » ٧٣
- الأمالي = كتاب « الأمالي »
- الأمالي والنوادر : لأبي علي القالي « - ٣٥٦ هـ » ١٤٥
- انباء الرواة : للقفطي « - ٦٤٦ هـ »
- ايضاح المكنون : لاسماعيل البغدادي « - ١٩٢٠ م » ٢١٠
- البارع = كتاب « البارع »

(١) ذكرنا في هذا الفهرس أسماء الكتب التي ورد تعريف بها ، وان كان يسيراً ،
أو كانت موضع دراسة ، سواء أكانت هذه الدراسة مفصلة أم موجزة -

- ١٨٨ بغية الوعاة : للسيوطي « - ٩١١ هـ »
- ١٢٧ البيان والتبيين : للجاحظ « - ٢٥٥ هـ »
- ٩٩ تاج العروس من جواهر القاموس : للزبيدي « - ١٢٠٥ هـ »
- ١٨٠ تتمة اليتيمة : للثعالبي « - ٤٢٩ هـ »
- التراجم = كتب التراجم
- ١٢٠ ، ١٠٠ ترتيب القاموس المحيط : الطاهر أحمد الزاوي
- الترجمة « بمعنى السيرة » = كتب التراجم
- ١١٩ تكملة المعاجم العربية : للمستشرق دوزي « - ١٨٨٣ م »
- ٧٣ التلخيص في معرفة الأشياء : لأبي هلال العسكري « - ٣٩٥ هـ »
- ١٤٩ ، ١٤٨ التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه : للبكري « - ٤٨٧ هـ »
- ٩٤ تهذيب الصحاح : لمحمود الزنجاني « - ٦٥٦ هـ »
- ١٥٢ جمع الجواهر في المثلح والنوادر : لأبي اسحق الحصري القيرواني « - ٤٥٣ هـ »
- ٢٣ جمهرة أشعار العرب : لأبي زيد القرشي « ق : ٤ - ٥ هـ »
- ١٠١ جمهرة اللغة : لابن دريد « - ٣٢١ هـ »
- ٧٣ جواهر الألفاظ : لقدامة بن جعفر « - بعد ٣٢٠ هـ »
- الجيم = كتاب الجيم
- ٢٨ الحماسة : لأبي تمام الطائي « - ٢٣١ هـ »
- ٣٤ الحماسة : للبحتري « - ٢٨٤ هـ »
- ٤٦ الحماسة البصرية : لصدر الدين البصري « - ٦٥٦ هـ »
- ٣٨ الحماسة الشجرية : لابن الشجري « - ٥٤٢ هـ »
- ١٣٢ حياة الحيوان : لكمال الدين الدميري « - ٨٠٨ هـ »
- ١٣٠ الحيوان : للجاحظ « - ٢٥٥ هـ »
- ٢٠٣ درة البحال في أسماء الرجال : للمكناشي « - ١٠٢٥ هـ »
- ٦٢ درة الفواص في أوهام الفواص : للحريزي « - ٥١٦ هـ »

- ديوان الهذليين : جمعه أبو سعيد السكري « - ٢٧٥ هـ » ٤٥
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : لابن بسام الأندلسي « - ٥٤٢ هـ » ١٨٣
- ذيل الأمالي والنوادر : لأبي علي القالي « - ٣٥٦ هـ » ١٤٥
- ذيل زهر الآداب = جمع الجواهر
- ذيل المعاجم العربية : للمستشرق فانيان « - ١٩٣١ م » ١٢٠
- الرائد : لجبران مسعود
- رجال المملكات العشر : لمصطفى الغلاييني « - ١٩٤٥ م » ٤٥
- رغبة الآمل من كتاب الكامل : لسيد بن علي المرصفي « - ١٩٣١ م » ١٤٠
- زهر الآداب : لأبي اسحق الحصري القيرواني « - ٤٥٣ هـ » ١٥٠
- سحر البلاغة وسر البراعة : لأبي منصور الثعالبي « - ٤٢٩ هـ » ٧٤
- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي : للبكري « - ٤٨٧ هـ » ١٤٨
- شاعرات العرب : لعبد البديع صقر ٤٧
- شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام : لبشير يموت « - بعد ١٩٣٤ م » ٤٧
- شرح القصائد التسع المشهورات : لأبي جعفر النحاس « - ٣٣٨ هـ » ٤٤
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : لأبي بكر الانباري « - ٣٢٨ هـ » ٠
- شرح القصائد العشر : للخطيب التبريزي « - ٥٠٢ هـ » ٢٤٦
- شرح المملكات السبع : للزوزني « - ٤٨٦ هـ » ٤٤
- شعر الخوارج : لاحسان عباس ٤٧
- الشعر والشعراء : ابن قتيبة « - ٢٧٦ هـ » ١٦٩
- شواهد لسان العرب : عبد الفتاح قتلان « - نحو ١٩٣١ م » ٩٧
- الصحاح : للجوهري « - ٣٩٣ هـ » ٩٢
- الصحاح في اللغة والعلوم : نديم مرعشلي ، وأسامة مرعشلي ٩٤ ، ١٢٠
- طبقات فحول الشعراء : لابن سلام « - ٢٣٢ هـ » ١٦١

- طبقات النحويين واللغويين : للزبيدي الأندلسي « - ٣٧٩ هـ » ١٩٢
- الطرائف الأدبية : لعبد العزيز الميمني « - ١٩٧٨ هـ » ٤٧
- العقد الفريد : لابن عبد ربه الأندلسي « - ٣٢٨ هـ » ١٤١
- العين = كتاب « العين »
- عيون الأخبار : لابن قتيبة « - ٢٧٦ هـ » ١٣٤
- فقه اللغة : للثعالبي « - ٤٢٩ هـ » ٧٤
- فن التراجع = كتب التراجع
- الفهرست : لابن النديم « - ٣٨٠ هـ » ٢٠٤
- فوات الوفيات : لابن شاکر الكتبي « - ٧٦٤ هـ » ٢٠٣
- القاموس الجديد للطلاب : لعلي بن هادية وزميلييه ١١٩
- القاموس المحيط : للفيزابادي « - ٨١٧ هـ » ٩٧
- الكامل = كتاب « الكامل »
- كتاب الاختيارين : للأخفش الأصغر « - ٣١٥ هـ » ٤٥
- كتاب أراجيز العرب : لمحمد توفيق البكري « - ١٩٣٢ م » ٤٧
- كتاب الأضداد : لأبي بكر الأنباري « - ٣٢٨ هـ » ٥٨
- كتاب « الأعلام » : للزركلي « - ١٩٧٦ م » ٢١١
- كتاب « أفعال » : لأبي علي القالي « - ٣٥٦ هـ » ١٤٤
- كتاب « الأمالي » : لأبي علي القالي « - ٣٥٦ هـ » ١٤٣
- كتاب البارع : لأبي علي القالي « - ٣٥٦ هـ » ١٤٤
- كتاب الجيم : لأبي عمرو الشيباني « - ٢٠٦ هـ » ١٠١
- كتاب « العين » : للخليل بن أحمد الفراهيدي « - ١٧٥ هـ » ٨٥
- كتاب « الكامل » : للمبرد « - ٢٨٥ هـ » ١٣٨
- كتاب النوادر : لأبي زيد الأنصاري « - ٢١٥ هـ » ٥٥

- ٢٠٩ كشف الظنون : لحاجي خليفة « - ١٠٦٧ هـ »
- ١١٩ لاروس ، المعجم العربي الحديث : خليل الجبر
- ٩٤ لسان العرب : لابن منظور « - ٧١١ هـ »
- ١٢٠ لسان العرب المحيط : نديم مرعشلي ، ويوسف الخياط ٩٦ - ٩٧ ، ١٢٠
- ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد : للجواليقي « - ٥٤٠ هـ » ٦٧
- مبادئ اللغة : للخطيب الاسكاني « - ٤٢١ هـ » ٧٤
- متغير الألفاظ : لابن فارس اللغوي « - ٣٩٥ هـ » ٧٣
- مشكلات قطرب : لمحمد بن المستنير ، الملقب بقطرب « - ٢٠٦ هـ » ٦٥
- مجلد اللغة : لأحمد بن فارس « - ٣٩٥ هـ » ١٠٢
- مختار الصحاح : لمحمد بن أبي بكر الرازي « - ٦٦٦ هـ » ٩٤ ، ١٢٠
- مختارات البارودي : لمحمود سامي البارودي « - ١٩٠٤ م » ٤١
- مختارات من الشعر الجاهلي : لأحمد راتب النفاخ ٤٧
- المختصص : لابن سيده الأندلسي « - ٤٥٨ هـ » ٧٦
- مد القاموس : لأدوار لين « - ١٨٧٦ م » ١١٩
- مراتب النحويين : لأبي الطيب اللغوي « - ٣٥١ هـ » ١٩١
- المرجع : لعبد الله الملايلي ١١٨
- المستدرك على معجم المؤلفين : لعمر رضا كحالة ٢١٦
- المعجم لعبد الله الملايلي ١٠٩
- معجم الأدباء : لياقوت الحموي « - ٦٢٦ هـ » ١٩٥
- معجم الأعلام : لبسام عبد الوهاب الجابي ٢٤٧
- معجم البلدان : لياقوت الحموي « - ٦٢٦ هـ » ٢٢١
- معجم الشعراء : المرزباني « - ٣٨٤ هـ » ١٨٢
- معجم فيشر : للمستشرق فيشر « - ١٩٤٩ م » ١٢٠

- المعجم الفيصل : أحمد قبش . ١٠٩
- المعجم الكبير : مجمع اللغة العربية بمصر ١٠٩
- المعجم المدرسي : زين العابدين القونسي-الدمشقي-١٩٧٧م» ١٠٩
- المعجم المدرسي : محمد خير أبو جرب ، وآخرون ١٠٩
- معجم المؤلفين : لممر رضا كحالة « - ١٩٨٧ م » ٢١٣
- المعجم الوسيط : أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة ١١٣
- الملقات : لمحمد صبري الاشتر « - ١٩٧٦ م » ٤٥
- الملقات العشر وأخبار شعرائها : لأحمد الشنقيطي « - ١٩١٣م » ٤٤
- المغرب في ترتيب المغرب : للمطرزي « - ٦١٠ هـ » ١٠٥
- مفاتيح العلوم : لمحمد الخوارزمي « - ٣٨٧ هـ » ٢٠٥
- المفضليات : للمفضل الضبي « - ١٦٨ هـ » ١٧
- مقاييس اللغة : لأحمد بن فارس « - ٣٩٥ هـ » ١٠٢
- المنجد : للويس المملوف « - ١٩٤٦ م » ١١٠
- المنجد الأبجدي ١١٨
- المنجد الاعدادي ١١٩
- المنجد في الاعلام : فرديناند توتل ١١٣
- المنصفات : لعبد المعين الملوحي ٤٨
- المؤتلف والمختلف : للآمدي « - ٣٧٠ هـ » ١٨١
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء : لأبي البركات بن الأنباري « - ٥٧٧ هـ » ١٩٢**
- نقائض جرير والأخطل : لأبي تمام الطائي « - ٢٣١ هـ » ٤٥
- نقائض جرير والفرزدق : لأبي عبيدة ، معمر بن المثنى « - ٢٠٩ هـ » ٤٥
- النهاية في غريب الحديث والاثار : لمجد الدين بن الأثير « - ٦٠٦ هـ » ٥٧
- النوادر = كتاب النوادر لأبي زيد الأنصاري

- النوادر : لأبي علي القالي « - ٣٥٦ هـ » ١٤٥
- هدية العارفين : لاسماعيل البغدادي « - ١٩٢٠ م » ٢١٠
- الوافي بالوفيات : للصفي « - ٧٦٤ هـ » ٢٠٣
- الوحشيات : لأبي تمام الطائي « - ٢٣٩ هـ » ٣١
- وفيات الأعيان : لابن خلكان « - ٦٨١ هـ » ٢٠١
- يتيمة الدهر : لأبي منصور الثعالبي « - ٤٢٩ هـ » ١٧٨



﴿ تصحيح واستدراك ﴾

صادفتنا في أثناء طباعة الكتاب ، عقبات فنية حالت دون
إخراج بعض الحروف والهمزات ، وضبط الكلمات بالشكل
على الوجه الأكمل . كما وقعت بعض أغاليط مطبعية نذكرها
فيما يلي مع استدراكات ضرورية ، للتصحيح أو الإضافة .

الصفحة والسطر	الخطأ	الصواب
١٥ : ٢٣	بين الصمة	بن الصمة
٢١ : ١٨	يا ابنة	يابنة
٤٧ : ٨	بعد ١١٢٨ م	بعد ١٩٣٤ م
٥٦ : ١٣	خطئة	خطية
٦٠ : ١٦	وسرك	وترك
٧٩ : ٢١	أغصان	أعضاء
١٥٢ : ٦	الانشاء	الانشاء
١٦٩ : ٦	بعس	يحسن
١٧٣ : ٨	والمغنيين	والمغنين
١٩٦ : ١٠	المشهورين	المشهورين
٢٠١ : ١١	ثبته	أثبتته (١)
٢١٦ : ١٦	بعدن	بعد أن
٢٢٠ : ١٣	حلف	أحلف
٢٢٣ : ١٠	الكاب	الكتاب
٢٢٣ : ٨	شمخ	أشمخ



٦ : يضاف الى العاشية « ٢ » بعد السطر الأخير منها ، ما يلي :

« هذا ، إلى كتب أخرى تخصصت في المجال اللغوي ، وأفدت منها أيضاً ،
وهي : المعجم العربي : لحسين نصار ، والمعجم العربي بين الماضي

الصفحة

والحاضر : لعدنان الخطيب ، ولحن العامة : لرمضان عبد التواب ،
وعلم اللغة العربية : لمحمود فهمي حجازي ، والبحث اللغوي عند
العرب : لأحمد مختار العبر ، والمجموع العربي في لبنان : لحكمة
كشلي ، واللغة ومعاجمها : لعبد اللطيف الصوفي » .

١٧ : سقط من رأس الصفحة العنوان التالي : « الفصل الأول - المجموعات
الشعرية المشهورة » .

٤٤ : يضاف بعد « شرح المعلقات السبع » س ٢٣ ما يلي :
« د - شرح القصائد العشر : للخطيب التبريزي ، يحيى بن علي
- ٥٠٢ هـ » . طبع مراراً في مصر ولبنان وسورية . وأجود طبعاته
تلك التي حققها د . فخر الدين قباوة ، والتي ظهرت أول مرة في
حلب سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م . ثم توالى تجديدها » .

٥٦ : يضاف بعد السطر ١٣ ما يلي : « وظهرت بعد ذلك طبعة أخرى
لكتاب النوادر ، حققها د . محمد عبدالقادر أحمد ، ونشرت في بيروت
سنة ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م » .

٧٠ : يحذف الخط الممتد في السطر ٣٠ تحت عبارة « القاموس المحيط
للفيروز آبادي » .

٩٧ : « الحاشية » : تجدر الإشارة هنا الى أنه - حين قارب طبع هذا الكتاب
على الانتهاء - ظهرت طبعة جديدة من لسان العرب في ١٨ مجلداً ،
رتبت أصول المواد فيها بحسب الأوائل . وقد طبعت في بيروت سنة
١٩٨٨ م ، وأشرف عليها ووضع فهارسها علي شيري وهي أول طبعة
من « اللسان » يلحق بها مثل هذه الفهارس » .

١٥٩ : يصحح السطر الرابع من أسفل كما يلي : « والأقاليم ، وأشهر من
نسب إليها من الأعلام ، وبالمواضع التي كانت » .

١٧٧ : الحاشية (١) : يضاف الى طبعات كتاب الأغاني طبعة أخرى انتهت
في الآونة الأخيرة ، وهي « طبعة دار الشعب بمصر : بإشراف وتحقيق
إبراهيم الأبياري » . نشرت في ٢٩ مجلداً ، ظهر أولها سنة ١٩٦٩ م ،

وأخيراً سنة ١٩٧٩ م . ثم صدر من فهرسها مجلدان فقط ، يضم
أولهما ثمة أخبار أبي نواس ، فصار مجموع ما طبع منها ٣-١ مجلداً .

١٨٨ : وقع في كلمات السطر السادس ، من أسفل اضطراب وصوابه ما يلي :
« لخص فيه اللباب ، وأنجز هذا العمل في سنتين ، واحتفظ بتلك
المسودة مدة ، ثم » .

٢١٢ : تضاف العبارة التالية في أسفل الصفحة ، بعد السطر الأخير :
« واختصره بسام عبد الوهاب الجابي في مجلد واحد ضخيم ، بعنوان
« معجم الأعلام » مقتصراً فيه على ضبط الاسم ، وذكر تاريخي
الولادة والوفاة ، وقد يورد أحياناً تعريفاً موجزاً جداً بالعلم ،
وغايته توفير الاعانة المبدئية والسريعة للباحث . وقد طبع هذا
المجلد في قبرس سنة ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م » .

★ ★

الفهرس

٥	المقدمة
٨	عصور الأدب العربي
١١	الباب الأول : المجموعات الشعرية
١٣	تمهيد : في رواية الشعر العربي وتدوينه
١٧	الفصل الأول : المجموعات الشعرية المشهورة
١٧	المفضليات : للمفضل الضبي
٢٠	الأصمعيات : للأصمعي
٢٣	جمهرة أشعار العرب : للمقرئ
٢٨	حماسة أبي تمام
٣١	الوحشيات : لأبي تمام الطائي
٣٤	حماسة البحتري
٣٨	الحماسة الشجرية : لابن الشجري
٤١	مختارات البارودي
٤٤	الفصل الثاني : المجموعات الشعرية الأخرى :
٤٤	١ - التي ألفها القدماء
٤٦	٢ - التي ألفها المعاصرون
٤٩	الباب الثاني : كتب اللغة والمعاجم
٥١	تمهيد : في اللغة وجمع مقدماتها
٥٥	الفصل الأول : كتب اللغة

٥٥	كتب النوادر
٥٧	كتب الغريبين
٥٨	كتب الأضداد
٦٠	كتب اللحن وتقويم اللسان
٦٤	كتب ورسائل لغوية مختلفة
٦٤	أ - كتب الحيوان
٦٤	ب - كتب النبات
٦٥	ج - مثلثات الكلام
٦٧	د - كتب « فعل » و « أفعّل » أو « فعلت » و « أفعلت »
٦٩	الفصل الثاني : المعاجم اللغوية
٦٩	تمهيد
٧٢	معاجم المعاني
٧٢	تعريفها ، ومنزلتها
٧٣	أشهر معاجم المعاني القديمة
٧٤	فقه اللغة : للثعالبي
٧٦	المخصص : لابن سيده الأندلسي
٧٩	أشهر معاجم المعاني الحديثة
٨٠	الافصح في فقه اللغة
٨٢	معاجم الألفاظ « القديمة » وطرائقها
٨٥	طريقة الترتيب المخرجي
٨٥	كتاب العين : للخليل بن أحمد القراهيدي
٨٨	معاجم أخرى على طريقة « العين »
٩٠	طريقة الترتيب الهجائي ، أو « الألفبائي »
٩٠	الترتيب بحسب أواخر الأصول

٩٢	الصباح : للجوهري
٩٤	لسان العرب : لابن منظور
٩٧	القاموس المحيط : للفيروزآبادي
١٠٠	الترتيب بحسب أوائل الاصول
١٠٠	أشهر معاجم هذه الطريقة
١٠٣	أساس البلاغة : للزمخشري
١٠٥	المقرب : للنطري
١٠٨	معاجم الألفاظ « الحديثة »
١٠٨	تمهيد
١١٠	المنجد
١١٣	المعجم الوسيط
١١٧	معاجم أهملت الأصول المجردة
١١٩	جهود المستشرقين في التأليف اللغوي
١٢٠	قلب نظام بعض المعاجم القديمة
١٢١	نظرة نقدية
١٢٣	الباب الثالث : كتب الأدب والثقافة العامة
١٢٥	تمهيد
١٢٧	البيان والتبيين : للجاحظ
١٣٠	الحيوان : للجاحظ
١٣٤	عيون الأخبار : لابن قتيبة
١٣٨	كتاب « الكامل » : للمبرود
١٤١	العقد الفريد : لابن عبد ربه

- ١٤٣ كتاب « الأمالي » لأبي علي القالي
 ١٥٠ زهر الآداب : للحصري القيرواني
 ١٥٢ كتب أخرى في الأدب والثقافة العامة

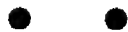
- ١٥٣ الباب الرابع : كتب التراجم وما إليها
 ١٥٤ تمهيد : في التعريف بكتب التراجم واتجاهاتها وطرائقها
 ١٦١ الفصل الأول : كتب تراجم الشعراء
 ١٦١ طبقات فحول الشعراء : لابن سلام الجمحي
 ١٦٩ الشعر والشعراء : لابن قتيبة
 ١٧٣ كتاب الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني
 ١٧٨ يتيمة الدهر : للثعالبي
 ١٨١ كتب أخرى في تراجم الشعراء
 ١٨٥ الفصل الثاني : كتب تراجم اللغويين والنحاة
 ١٨٥ انباه الرواة : للقنطري
 ١٨٨ بغية الوعاة : للسيوطي
 ١٩١ كتب أخرى في تراجم اللغويين والنحاة
 ١٩٥ الفصل الثالث : كتب التراجم العامة وما إليها
 ١٩٥ معجم الأدباء : لياقوت الحموي
 ٢٠١ وفيات الأعيان : لابن خلكان
 ٢٠٤ الفهرست : لابن النديم
 ٢٠٩ كشف الظنون : لحاجي خليفة
 ٢١١ الأعلام : لخير الدين الزركلي
 ٢١٣ معجم المؤلفين : للمسرح رضا كحالة

٢١٨	أعلام النساء : لعمر رضا كحالة
٢٢١	معجم البلدان : لياقوت الحموي

الفهارس العامة

٢٢٧	١ - فهرس الأعلام المترجمين
٢٣٠	٢ - فهرس الأشعار
٢٣٣	٣ - فهرس التعريفات والمصطلحات
٢٣٧	٤ - فهرس أسماء الكتب

٢٤٥	تصحيح واستدراك
٢٤٩	فهرس الكتاب





مطبعة دار الكتاب - دمشق

سعر البيع
للطلاب ١٠٠ ل.س